

انطولوجيا القصة الكُردية

من منشورات اتحاد الادباء الكرد- المركز العام

٤



اسم لكتاب: اتولوجيا القصة الكردية

اعداد: الدكتور هيمداد حسين

تصميم الغلاف: ناكار جليل كاكه وه يس

المطبعة: مطبعة الثقافة- اربيل

طبع على نفقة المديرية العامة للصحافة و الطباعة و النشر

رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة (٢٩٦) سنة ٢٠١٢

* حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

من منشورات اتحاد الادباء الكُرد- المركز العام

٤

انطولوجيا القصة الكُردية

اعداد و تقديم
الدكتور هيمداد حسين

مراجعة:
الدكتور عادل مجيد گرمياني

هه و النامه كتيب

كلمات لا بدّ منها

كثيرةً هي اللقاءات بين الكتاب والأدباء والمتقنين الكرّد والعرب ، وازدادت هذه اللقاءات كثرةً في السنوات الأخيرة ، وفي غالب الأحيان واثناء جلسات السمر يبدأ العتاب بين هؤلاء الأحبة ، حيث الكرّد يعتبرون عليهم قلة أهتمامهم بالأدب الكرّدي القديم والحديث ، والأشقاء العرب يشكون من قلة النتاجات المترجمة من اللغة الكرّدية الى اللغة العربية رغم كثرة المترجمين بينهم ، بل هناك من هو يحترف الكتابة باللغتين . هنا نقول بموضوعية كلا الطرفين على حق ، ولكن تبقى النية السليمة والروح الأخوية الصادقة هي المعيار الحقيقي الصادق في تعزيز الأواصر المعرفية بين الطرفين اللذين تجمعهما العديد من الأواصر الدينية والوطنية والتاريخية في هذا البلد الجميل بنخبته الثقافية والأدبية ، والجميل حضارياً بروعة النتاجات الأدبية .

لاشك أن للقصة الفنية في الأدب المعاصر والنقد الأدبي المعاصر مكنته ، لكون القصة الفنية بمستطاعها تجسيب حالات عديدة من واقع المجتمع ، بالإضافة الى تأثير الأسلوب القصصي في زيادة الوعي الفني - الأدبي لدى القراء. ونظراً لكثرة النتاجات القصصية في الأدب الكرّدي المعاصر وتعدد المشارب الفنية للقصاصين الكرّد ، ولأجل تعزيز الأواصر القصصية بين القصاصين الكرّد والعرب ، وجدّ المركز العام لاتحاد الأدباء الكرّد أن يقدم هذه الأضمامة القصصية الكرّدية المنتخبة ، ونأمل أن نتمكن من طبع أضمامة مسرحية كرّدية منتخبة ومترجمة للغة العربية في القريب العاجل ، ومثل هذه الجهود المعرفية هي من ضمن مهامنا الثقافية التي نأمل القيام بها وأنجازها خدمة لأدباءنا الكرّد المبدعين من جهة ، وخدمة للأشقاء المبدعين العرب من الذين يودون بأخلاص وحسن نيّة الأطلاع على حقيقة الأدب الكرّدي في ماضيه وحاضره ، نأمل أن تتنازل جهودنا رضى القراء الكرام.. ومن الله التوفيق . **الاتحاد الأدباء الكرّد- المركز العام- ٢٠١٢**

هه و النامه كتيب

مراحل القصة الفنية الكرديّة

القصة الفنية جنس أدبي حديث الظهور في الأدب الكردي ، تعود بداياته الى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد اختلف الباحثون الكردي الى تحديد بدايته التاريخية وتحديد النص القصصي الذي نستطيع اعتباره من الناحية الفنية كبداية موفقة للقصة الفنية الكرديّة. حول تحديد أول قصة كرديّة منشورة يشير د.عزالدين مصطفى رسول الى (أن الرسالة المولودية للشيخ حسين قاضي(١٧٩٠-١٨٧٠) هي بداية بسيطة، فالقصص القصيرة الموجودة فيها كلها دينية ومن الناحية الفنية كل الحكايات تبدأ بحكايات مفتوحة وبلا تعقيدات والولوج الى داخل الموضوع وتسرد الأحداث وتعطي الخاتمة).

وقد لعب ظهور الصحافة والمجلات والطباعة دوراً مهماً في ترسيخ وازدهار كثرة النثر الفني والذي تعد القصة جزءاً منه. ولأول مرة في كردستان الشمالية نُشرَ في مجلة (روزي كورد - شمس الكرد) قصة بعنوان (شويش) من قبل فؤاد تمو في عام ١٩١٣، وبالنسبة للقصة الكرديّة في كردستان الجنوبية نستطيع القول بأن تلك القصص القصيرة المنشورة في جريدة (پيشكه وتن - التقدم) (١٩٢٠- ١٩٢٢) هي بداية لظهور القصة الكرديّة، ويتفق غالبية الباحثين الكرد بأن عام ١٩٢٥ هو بداية ظهور القصة الفنية الكرديّة حيث نُشرَ في ذلك العام قصة (له خه وما - في منامي)، رغم أن بعض الباحثين في الرواية الكرديّة يعتبرونها مع قصة (مه سه له ي ويزدان - مسألة الضمير) كبداية للفن الروائي الكردي، ولذا بسبب اختلاط الأجناس الأدبية من قبل الباحثين الكرد اختلطت مجالات بحوثهم ، ولذا اصبح البحث في بداية ظهور القصة الفنية الكرديّة عملاً صعباً .

المرحلة الأولى (١٩٢٥-١٩٣٩)

تجتمع غالبية مضامين قصص تلك الفترة في نقطة واحدة ، وهي أظهار مشاكل المجتمع ومعلّاته بسبب الفقر والجوع ، رغم أنه يجب هنا القول بأن كافة تلك القصص من حيث الصياغة والتكنيك القصصي فيها بعض النواقص ، لكنها استطاعت تجسيد المضامين بشكل جيد ، وربط حالة التخلف بالحالة السياسية والتبعية الاقتصادية وكشف اللثام بجرأة عن الظلم الأمبريالي وعمالته ، وبخلاصة استطاعوا أن يصبحوا شاهد علي عصرهم . على سبيل المثال في قصة (في منامي) لكتبتها جميل صائب نلاحظ بسبب الفقر يترك الرجل الحالم مدينته ويتوجه الى مدينة أخرى ، ولكن في حدود مدينته يواجه صعوبات ومشاكل . وكذلك تظهر لنا هذه القصة جانب آخر ألا وهو انتشار السرقات والرشوة داخل المجتمع ، وكانت هذه الأعمال اللامشروعة تجري تحت ظل النظام . رغم أن مضمون هذه القصة لها طابع سياسي وقصد كاتبها من هذه القصة أدانة حوكماتية الشيخ محمود الحفيد ، لكنها حددت مع ذلك بعض الجوانب التي يعاني منها المجتمع .

وفي قصة (مسألة الضمير) لكتبتها أحمد مختار الجاف نرى ذات النقد الموجه للمجتمع ، ألا وهو انتشار الأمية وسدّاجة عقل الناس وتوضيح حقيقة النظام السياسي ، ونرى في قصص بيره ميرزا اهتمام أكثر بالتراث والفلكلور وقد انعكست بشكل واضح فيها ، مع عدة أمثال ونصائح للمجتمع ، وبشكل عام فإن خلاصة قصصه تتحدث عن حرية المرأة وصفة شجاعة الكردي ومضيقه وبعض الجوانب الدينية كسبب لمعالجة العقد الاجتماعية .

وفي تلك الفترة نلاحظ في قصص (محمد علي كوردي) اختيار جانب آخر من أمراض المجتمع وتوضيفها في مضامين قصصه ، فمضامين غالبية قصصه سياسية أكثر من كونها تهتم بأمراض المجتمع ، وبشكل عام تركت غالبيتها بشكل غير مكتمل ، ولا ندري سبب هذا يعود الى انصراف الكاتب عن تكملتها ، أو أن سببها يعود الى أغلاق الجريدة أو المجتمع ، ولو نظرنا اليها حسب

المعيار الفني ليومنا هذا فاتها تبدو غير ناضجة ، وغالبيتها تبدو أشبه بالتقارير اليبسة ولسن كقصص .

المرحلة الثانية (١٩٣٩-١٩٥٠)

المرحلة الثانية للقصة الفنية الكرديّة تشمل أعوام (١٩٣٩-١٩٥٠) ، وبعد أن بذلت في المرحلة السابقة بعض المحاولات البدائية من قبل بعض القصاصين ، ومع صدور مجلة (گه لاويژ - الثريا) ازدادت تلك المحاولات، ومع صدور أول عدد من هذه المجلة خصصوا قسماً خاصاً بالقصة المحلية وقسماً آخر بالقصة الأجنبية. من الضروري هنا تسليط الضوء على دور هذه المجلة في ترجمة بعض القصص الأجنبية، وتعريف قراء تلك الفترة بالأدب والأدب الأجنبي، بالإضافة الى نشر قصص القصاصين الكرديين.

كانت غالبية تلك القصص المترجمة من نتاجات بعض القصاصين من أمثال موباسان واوسكار وايلد وبلزاك ومانتول فرانس وهاتو اندرسن وتشيفوف وگوركي وتولستوي وايليا اهرنبورك .

من قصاصي مجلة (گه لاويژ) بله (واسمه الحقيقي ابراهيم احمد - المترجم) وعلاء الدين سجادي وشاكر فتاح وبيره ميرد ومجموعة أخرى ، ولكن أكثرهم نشرأ شاكر فتاح وعلاء الدين سجادي وبله . فقد نشر شاكر فتاح عدة قصص منها (مدير بك) و(العروسة والعمّة) و(النزاهة) و(له رأس وألف معاملة) و(عدة قصص أخرى . وبشكل عام جمّد في قصصه بعض نواحي صعوبة المعيشة ونواقص المجتمع الكردي ، خاصة من الناحية الدينية ينظر نحوها ويعتمد على قوى الخير والشر في معالجتها .

وكذلك في هذه المرحلة لأول مرة ظهرت قصص الأطفال وفيها جسّدت الأمثال والغير والجوانب التربوية، وكذلك جسّد المشاكل بين العروسة وعمتها وينتقد المجتمع بسبب الزواج المبكر، وجسّد المشكلة بين العلم والدين من منظار رجال الدين ، وكانت هذه القصص من الناحية الفنية ضعيفة وأتسمت

بالبساطة والسطحية، وأهتم فيها بالمضمون أكثر من أهتمامه بالشكل والتكنيك الفني .

من أبرز قصاصي تلك المرحلة هو علاء الدين سجادي ، والذي نشر عدة قصص في مجلة (كّه لاويژ) (لكونه كان رئيس تحريرها - المترجم) وكانت قصصه بشكل عام تظهر على الأغلب أضطهاد الفلاحين الكردي من قبل الأقطاعيين، وعدا هذا فقد كتب بعض القصص الخاصة بالأطفال وفيهن ينصحهم ويقدم الأمثال والعبر لهم ، ويسرد لهم بعض الحكايات العجيبة.

وألتهم القاص ابراهيم أحمد(بله) بذكاء فائق أحداث وأبطال قصصه من البيئة الكرديّة وصاغها بأسلوب محلي ، وكانت مضامين قصصه مثل كاميرا تصور الوضع السياسي والأعمال اللامشروعة آنذاك ، وجسد أيضاً الفروقات الطبقيّة للمجتمع الكردي .

كذلك لا يجوز أن ننسى دور مجلة(ده نكي گيتي تازّه - صوت العالم الجديد) في تلك المرحلة في خدمة القصة الغنيّة الكرديّة ، والتي نشرت عدة قصص كرديّة ، ومن خلالها نشر بعض القصاصين الكردي نتاجاتهم من أمثال حسين حوزني موكرياني ودلسوز واحسان مصطفى .

المرحلة الثالثة (١٩٥٠-١٩٦٠)

غالبية قصص هذه المرحلة هي من نتاجات قصاصي المرحلة السابقة ، ولكن مع الأسف ما ذكرناه عن الوضع المعقد من النواحي السياسية والاجتماعية انعكست بشكل قليل في قصص هذه المرحلة ، بل أنهم ساروا على ذات المنحى ، أو أنهم قلّدوا قصاصي ما قبلهم عن طريق طرح بعض النواقص الاجتماعية ، والتي نحن نتوخاها هنا أكثر ، مثل أنتشار الفقر والتخلف كمحصلة للوضع السياسي السابق ، فقصص (حسنوك) و(الخبز السلي) و(فقر الإنسان) فقد أظهروا عفة النساء الكرديات تجاه أحبتهن وكيف ضحوا بأنفسهم من أجل بعضيهما ، وفي غالب الأحيان نفخوا على مشاعل حياتهم وبشكل تراجيدي أنهوا حياتهم .

وظاهرة أخرى مهمة من ظواهر القصة الكرديّة لتلك الفترة بروز قصة العمال حيث بطلها من المُعدمين والمُضطهدين الكرّد ولهم فيها دور بطولي ، وكذلك كُتبت في تلك الفترة عدة قصص سياسية مثل (مخاض الشعب) لكتبتها ابراهيم أحمد (بله) وقصة (صرير السلسلة) لكتبتها مصطفى صالح كريم و(طريق النضال) لكتبتها أمين ميرزا كريم و(رسالة من السجن) لكتبتها محمد مولود مَم و عدة قصص أخرى .

المرحلة الرابعة (١٩٦٠-١٩٧٠)

في بداية أعوام الستينيات بدأت رويداً رويداً نيران ثورة وحركة التحرر الكرديّة بالأضطرام ، حتى أشتعال النار في محابهة حكومة عبد الكريم قاسم، أي حدوث وضع معقد ، والتي قطعت الطريق على الصحف والمجلات الكرديّة وتم أغلاق غالبيتها ، وبقيت بعض المجلات فقط مثل (رزگارى- الاستقلال) و(بليسه- الشعلة) و(روناهى- الضياء) ... الخ . أن البعض من الباحثين يعتبرون فترة (١٩٦٢-١٩٦٩) هي فترة الصمت للقصة الكرديّة ، ونستطيع القول بأن كتاب تلك الفترة المحددة لم يتأوا بالشيء الجديد ، من حيث التكنيك أو من حيث المضمون أو من حيث الشكل ، بل أنهم ساروا على المنهج السابق وكرروا الجوانب السابقة ، وكالمسابق تحدثوا عن مشاكل الحياة . في بداية هذه الفترة ، أي عامي (١٩٦٠-١٩٦١) ، سارت القصة الكرديّة بحالة تسريع عنيفة ، حيث تم فيها نشر عدة نتاجات جيدة من الجانب السياسي مثل قصة (آخر فدائي) لكامران موكري و(الفدائي) لرحيم قاضي و(لکني كردي) لكاوس قفطان ، ومن الناحية الاجتماعيّة نشرت عدة نتاجات جيدة مثل قصة (أنا جائع) لمحمد رشيد فتاح و(الخجل والفقر) لمحمود أحمد و(كشكول السحر) لحسن قزلجي وكذلك عدة نتاجات أخرى .

المرحلة الخامسة (١٩٧٠-٢٠١٠)

شهدت هذه الفترة جهود حثيثة أكثر لتجديد وتحديث القصة الفنية الكرديّة، خاصة بعد صدور بيان جماعة (روانگه- المرصد) المنشور في العدد الأول من مجلة (المرصد) التي صدر منها ثلاثة أعداد كان لها دوراً مشهوداً في تجديد القصة الفنية الكرديّة من حيث المضمون والصياغة القصصية. وكان من ضمن الأربعة الموقعين على هذا البيان قاصان معروفان في الأوساط الأدبية الكرديّة هما حسين عارف وكاكه مه م بوتاني، فقد لعبت هذه الجماعة الأدبية دورها في خضخضة الواقع الأدبي الراكد آنذاك بعد أعوام مليئة من التحركات والترقب السياسي الحاد ضد طموحات الشعب الكردي. وكان لصدور جريدة (هاوكاري- التضامن) ومجلة (به يان- الفجر) وديمومة صدورها بشكل منتظم طيلة ثلاثة وثلاثون عاماً وأهتمامها بنشر النتاجات القصصية الحديثة بالإضافة الى نشر العديد من القصص الأجنبية المترجمة دورهما في زيادة ازدهار القصة الفنية الكرديّة، وكان من محصلتها بروز الأقصوصة الكرديّة التي لعبت دورها في جذب انتباه القاريء الكردي الى هكذا اسلوب قصصي رشيق في الصياغة القصصية للحدث القصصي. وبعد لجوء بعض القصاصين الكرد الى الجبال للمشاركة مع أخوانهم الثوار الكرد في مقارعة النظام البعثي المباد ظهرت القصة الكرديّة السياسية المقاومة في أعوام الثمانينيات والتي تغيّر منحاهما بعد نجاح انتفاضة الشعب الكردي في آذار عام ١٩٩١، والتي شهدت بعدها طفرات نوعية وكمية في النتاج القصصي الكردي بسبب ازدياد أعداد الصحف والمجلات الكرديّة في المدن الكرديّة، وازدياد أعداد دور الطباعة والمؤسسات الثقافية التي ساهمت تدريجياً في بروز نتاجات عديدة للقصاصين الكرد الشباب، وازداد في مرحلة ما بعد انتفاضة آذار المباركة نشر الأقصوصات واحتلت مساحات جيدة من النشر القصصي.

بشكل عام يمكن تلخيص أبرز سمات القصة الفنية الكرديّة في النقاط التالية:

- ١- كان بداية ظهور القصة الفنية الكرديّة بسيطاً في مضمونه وصياغته القصصية.

- ٢- ولدت القصة الكُردية - كما يقول القاص حسين عارف - وهي تنتقد الواقع الكردي المتخلف المعاش ، وظلت السمة الواقعية النقدية والتسجيلية مسيطرة على أجواءها خلال القرن الماضي .
- ٣- تناولت القصة الفنية الكُردية الواقع السياسي والاجتماعي وجسدت جوانبها وسلطت الأضواء على ما كان يعانيه الشعب الكردي في ظلاليهما .
- ٤- كان للصحافة الكُردية دورها في ازدهار القصة الفنية الكُردية من حيث تخصيص مساحات جيدة منها لنشر القصص الكُردية والقصص المترجمة .
- ٥- شهدت القصة الفنية الكُردية خلال السبعينيات وما بعدها جهود حثيثة أكثر لتحديث وتجديد القصة الفنية الكُردية من حيث المضمون والشكل والصياغة القصصية .
- ٦- شهد القصة الفنية الكُردية بعد انتفاضة آذار عام ١٩٩١ طفرات نوعية وكمية ، وشهدت هذه الأعوام ازدهار الأقصوصة الكُردية ، ويمكننا القول بأن هذه الفترة كانت أفضل مرحلة من مراحل ميلاد وازدهار القصة الفنية الكُردية .

هه و النامه كتيب

هه و النامه ى كى
الطائر الأزرق

آزاد أرگوشى

ترجمة: مكرم رشيد الطالبانى

هه و النامهه كئيب

هناك وجه غريب يؤذيني منذ فترة ، يُريني نفسه دون أن يستسلم لي . أصبحت في حال حتى أنني حينأقف قبالة المرأة وعوضاً عن ان ارى نفسي من خلال المرأة أرى الوجه نفسه . وجهٌ ترتسم على شفقيه الأبتسامة دوماً ، تلك الأبتسامة التي أرتسمت على شفقتي والدتي مرة واحد . وكثيراً ما سألته من أنت وماذا تريدني مني ؟ ولكن بقي سؤالي دوماً بلا جواب ، وكان الوجه يختفي والأبتسامة نفسها مرتسمة على شفقيه ، وكثيراً ما كنت اقول ومن يدري يمكن ان يكون وجه امي ، ولكن لا ، ككنت والدتي قد رحلت قبل عشر سنوات . وغالباً ماكنت آتي بصورة أمي وادقق النظر فيها لفترة طويلة ، ولكن لا يمكن أن يكون ذلك الوجه وجه أمي ، من الصعب على الإنسان انب يواجه ابنتسامة ما دون أن يعرف من هو صاحبها ودون ان يستطيع الأفصاح عما يختلج في اعماقه ، لقد تسللت صاحبة ذلك الوجه الغريب رويداً رويداً إلى جميع زوايا حياتي لدرجة ضاقت علي الخناق في احلامي ، أحياناً كنت أشعر بأنها تتسلل إلى فراشي في منتصف الليل وكنت أحتضنها بشكل دون أن أشعر بأنني أحتضن أحداً ، وحين كنت أشعر بهذا الشعور كنت أراها وقد ارتدت ثياباً زرقاء ، وفي إحدى الليالي كنت قد أطفأت المصباح ، وكنت جالسا على حافة السرير وفجأة شعرت بجلوس شخص ما بالقرب مني .

كنت اسمع تنهداتها بصورة واضحة ، ودون إرادة مني مددت يدي إليها ، لا أدري حتى الآن أي موقع من جسدها لامسته يدي ، وكل ما أعرفه أن الذي لامسته يدي لم يكن اعتيادياً ، كان ناعم الملمس لدرجة شعرت بحرارته بكل ما في كياني . سحبت يدي وقلت كمن ارتكب جريمة يريد تغطيتها : لقد كتبت قصصاً عديدة ، انتزغبين أن أروي لك إحداها ؟ ولكن دون جواب . ومن ثم لم أكن أسمع صوت تنهداتها ! فأدركت بأنها غادرت المكان ، توجست خيفة فتمددت بهدوء على السرير ، وكنت قد قطعت أنفاسي أملاً في سماع صوت تنهداتها ثانية ، ولكن لم يكن هناك أي شيء سوى ظلام الليل والصمت ، وليلتها لم يغمض لي جفن حتى الفجر ، وأستيقظت في العاشرة صباحاً ، وأستولى شعور غريب على اعماقي وأدركت بأن هناك من ضاع مني وعلي البحث عنه .

ضائعة كانت أمام انظاري دوماً وقد أحتلت جلّ حياتي ، ولكن وا أسفاه لم أكن لأستطيع حتى ذلك الوقت الوصول إليها وكُن كافة أسباب ودوافع الحياة أجمعت لكي تدخل تلك النواظر السحرية حياتي ولأنظر إليهما من بعيد مندهشاً دون الحصول عليهما ، كانت الأماكن المزدهمة المليئة ضوضاءً تؤذيني ، كنت أرغب في إيجاد مكان بعيد عن كل انواع الضوضاء كي اخلد فيه للنوم فترة من الزمن كي لا يتناهى إلى أسماعي ضوضاء الامدينة ، وهكذا قررت العودة إلى قريتي التي ولدت فيها ، تلك القرية التي عشت طوال حياتي في أزقتها وحراراتها ، ولا زالت اصوات ضحكات فترة طفولتي وأصدقائي ، الذين كنا نصرخ حتى الفجر في الأزقة والحارات ، تنتاهى إلى أسماعي ، وقلت في نفسي انه من الأفضل أن أزور قريتي ، ومن المحتمل ان ارى هناك حبيبيتي الغريبة المخفية لتتقد فوادي الولهان من كل هذا القلق والأنزعاج والتشتت الذهني .

في الساعة الرابعة عصراً صعدت إلى الباص ، وقد بقي مقعد وحيد فارغاً وكان المقعد جنب السائق . أسرعرت إلى المقعد الفارغ وجلست ولم اكن قد جلست بعد حين شاهدت امرأة ترتدي ثياباً تقف في الطرف الآخر من الشارع ، كانت تنظر إليّ بشكل غريب وكأنها تريد ان تلتهمني بناظرها ، ارتسمت ابتسامة جميلة على شفتيها بشكل ظهرت اسناتها البيضاء كاللآليء البيضاء من خلال شفتيها الرقيقتين ، فقت من مقعدي بشكل لا إرادي كي أذهب إغليها ، ولكن ماكدت أقوم تماماً حتى وجدتها قد اختفت مع ابتسامتها الجميلة ، وعندها تحرك الباص وجلست بدوري في مقعدي بلا امل ، ومع أنني كنت قد رأيتها في الطرف الآخر من الشارع ، ولكن لم يكن لي رغبة في الذهاب إلى قريتي ، وكنت راغباً في الذهاب مرة اخرى .

شعرت بأن صوتاً من الأعماق يقول لي (لا تخف تعال ، تعال ، كن مطمئناً بانك ستجدني) صوتاً كان يشبه صوتي إلى حد بعيد ، وكنت قد أنشغلت بدنيابي الخاص بيّ لم لم أكن أشعر بما يجري حولي ، لذا حين نادى السائق بصوته

الأجش اخي العزيز اظن بأنك الراكب الوحيد الذي لم يدفع الأجرة ! فدفعت له الأجرة بخجل ونزلت من الباص .

أمضيت الليل في دار أحد اقاربي ، وفي اليوم التالي وبعد تناول فطور الصباح ، خرجت من الدار ، واصلت السير في طريق الينبوع القديم ، حين وصلت إلى الينبوع ، شعرت بأنني ولدت لتوي ، منذ عشرين عاماً وأنا لم أر الينبوع هذا ، جلست عند حافته وأنا أنظر إلى الأسماك الصغيرة ، التي كانت تتحرك خلال ماء الينبوع الصافي !

كنت أرغب أن اكون كذلك الأسماك ، حرّاً طليقاً ، ولكن مع الأسف لم أكن لأستطيع فعل ذلك ، لأنني كنت متيماً ، متيماً بوجه لا أعرف أين سيظهر ، لامست مياه الينبوع بأناملي ، كان الماء بارداً ، وكما كنت أفعل في عهد الطفولة تمددتُ على اصابعي وقربت شفقي من الماء وشربت رشفة او رشفتين ، لحظتها رأيت امرأة ترتدي ثياباً زرقاء كالمسابق بنفس المظهر ، والنظرات نفسها، كانت تنظر إليّ ، رفعت نظري رأيتها تقف قبالي ، كم كانت رائعة الجمال ، كانت ترتدي ثياباً زرقاء كأنها امواج البحر وقد أرتفعت بقامتها قبالي ، وقتحتُ لها ذراعي أملاً في ان تفتح هي ذراعيها لي ، ارتسمت ابتسامة حزينة على شفقيها وهزت رأسها بلا امل وقالت بصوت متهدج : إني في حضنك دوماً ، إلى متى ترغب أن تشعر بالوحدة؟

وبعد لحظات صمتٍ قالت وابتسامة حزينة على شفقيها (أحبك) وددت أن أحتضنها ، ولكن مثلما كان ديدنها اختفت في غمضة عين ، لم أكن أعرف ماذا أفعل ، فجلست لفترة بصمت وزقمت بتغطية وجهي بكفيّ وبدأت أراجع نفسي وكأني عدت إلى الماضي منذ سنين عديدة .

كانت كل الأشياء تتراءى في ذهني وكأنها ذكرى ، ذكرى هزيلة خافتة ، نظرت إلى ما يحيط بيّ ، كان الصمت يخيم على كل الامكنة وكأن العالم قد توقف عن الدوران ، لم تكن هناك حتى نسمة هواء ، وفي هذا الصمت والهدوء رأيت وجهي الذي كان يرتفع ويدنو مع مويجات الماء من خلال ماء الينبوع ، ورأيت خصلات ثلاثة من شعر رأسي وقد أدركها الشيب ، وكانت هذه هي

المرّة الأولى التي أرى فيها شعرت بيضاء في شعري ، لأنني وقبل ان اخرج من الدار كنت قد مشطت شعري جيداً ، لكنني لم أرَ شعرة بيضاء ، كان هذا هو الشيء الوحيد الذي كنت أستطيع تذكره تماماً ، حاولت كثيراً إعادة النظر في حياتي السابقة، ولكن دون جدوى ، وكأني ولدت لتوي الآن دون أن يمون لي ماضياً ، عدى سنوات مرحلة طفولتي التي لا زالت حية في أذهاني . قمت من مكاني فرأيت وردة زرقاء كانت قد نبتت عند أثار قديمها ، جلست قبالة الوردة ولم أكن قد رأيت وردة جميلة مثلها حتى ذلك الوقت ، أزحت بأطراف أصابعي الطين على جذورها ، وعند إزاحة الطين شممت رائحة كريهة منها فتقرزت وأوشكت أن أتقيأ ، وأقتلعت الوردة بسرعة

، وفرزت عنها جذورها النتننة ، ومن ثم واصلت طريقي نحو القرية ، لأن لم يبقَ لي أي دافع للبقاء في القرية والشيء الوحيد الذي كنت أفكر فيه لحظتها هو العودة إلى البيت .

وفي الطريق شممت الوردة مرات عديدة ، كان عبقها كعبق جسدي تماماً ، الذي كنت أشعر به حين أرثدي ثيابي . أخرجت دفتر مذكراتي من جيبي ووضعت الوردة بين أوراقه . وعند الغروب وصلت إلى البيت وجلست خلف منضدة الكتابة وكأني كنت قد استيقظت من نوم عميق ، كانت جل الأشياء تبدو معتماً بلا لون امام ناظريّ ، وكنت أفكر ولم أدري ما الذي حدث ، وكل ما كنت أتذكره هو انني كنت قد جلبت عند سفري هذا وردةً وكنت قد وضعتها بين اوراق مذكراتي . اخرجت دفتر المذكرات من جيبي وقتحته على مهل ، ولكن لم أرَ أثراً للوردة بين أوراقه سوى قطرات دماء لا غير !!

الجروح البيضاء

أكو كريم معروف

ترجمة: حسين عثمان نيركسه جاري

هه و النامه كتيب

ملاذ الطيور

قبالة المعسكر وبين الربايا المنهارة والتي قبل ليالي بيضت الامطار الغزيرة أرضها المالحة واطلالها، رويدا.. رويدا اخلطتها بالتراب، وصبتها في المستنقع المغطي بالطحالب والاسماك الميتة.

هناك في الجانب الآخر من المستنقع مرقد سيدة زاهدة، كانت خلال جميع الحروب الضروسة وعند حملات النهب والغنائم تقوم بالعبادة والصلاة على النبي، ذلك المرقد وكما يرويها الجنود؛ المكان الوحيد الذي لم تصلها نيران المدافع البعيدة المدى والصراخ واستغاثات الجرحى، قبيل الغروب وعند أفول خيوط الشمس من خلال غابات القصب والبحيرة الخضراء؛ تلون الطيور أجنتها بالألوان وتعود الى ملاذاتها وهو مرقد السيدة الزاهدة.

في تلك الأوقات وعلى الصخور المسطحة التي يصلي عليها المصلون ويتضرعون الى الله؛ كان صبي ناعس يبدو كأنه لم تمسه أشعة الشمس، وحول قامته قماش أبيض يقوم بفتح باب المرقد لتخرج الطيور، وبعدها تقوم طيور جارحة وأكلة اللحوم وبطات المياه بصيدها.

في الصباحات يعود الجنود مع بنادقهم الموحلة وأحلامهم الخائبة من خنادقهم المهذمة وعن طرق موحلة أسنة، والبسمات تغسل وجوههم الباكية وبعضهم قاعدون على الخلاء، ونسمات باردة تمس شباك المرقد، فتنتلق الطيور من المرقد الى أماكن بعيدة.

رأيت بين الأسراب الطائرة شعاعا ناصع البياض، شعاعا متألقا كالألنة الدنيا ومرعبا مليئا بالحسرات والألم، شعاعا يشبه في تألقه كأنه نار في الفردوس، وأمام هذا المنظر أجهشت بالبكاء.. البكاء في هذا الصباح الباكر يا الهي كم هو قاسي.. الصباح لازال (حميد بصراوي) خادرا في نومه العميق وهو يضحك بالاجازة العسكرية التي أخذها لوفاة والده، ما أردت إيقاظه من نومه العسلي، لأن ما أعرفه وأراه الآن يعرفه أيضا ويراه، الا ان أحدا في المعسكر لا يصدق

أنه أحيى مرة عن طريق طبيب المعسكر الى مستشفى عسكرية ومكث في قسم الأمراض النفسية عدة أيام وتحت رعاية مركزية.

كان حميد بصراوي من الجنود الذين يحتاج اليه القادة والضباط الكبار، ولذلك كلما جاء أمر بنقله أخفي عنه من قلم المعسكر والقادة، هذا التلاعب ب حميد بصراوي كان مستمر منذ ثلاث سنوات. انه حكى لي بأن تغييرات كثيرة حدثت في المعسكر، وعشرات اليالي مكث قرب جثث الجنود التي قطعها الكلاب قطعة قطعة، الفران والثعبان والديدان البيضاء تجمعت على اللحوم والدماء المراقبة على تلك الأرض الرطبة المالحة. حميد يؤكد لي دائما على انه لن ينسى تلك الليلة التي عاد من فرنه وهو يحمل حزمة كبيرة من الخبز البارد، في تلك الليلة الرهيبة لا يسمع صوته واستغاثته سوى جندي وحيد بقي وهو يصرخ ويستنجد ضد الكلاب السائبة وأنيابها، استمر حميد على حديثه فقال: (كان منقذي الوحيد في تلك الليلة هو الخبز، وحتى وصولي الى المرقد التهمت الكلاب الخبز وكيسه المترب، رجعت الى المعسكر والكلاب تدعك ألسنتها في دماء). حميد الآن يبكي في منامه، أرى دموعه البيضاء تسيل على بقايا الأمطار، ومنذ ثلاث سنوات يستيقظ من النوم بفرع وهو يبكي.

في قمة نشوتي وضحكي؛ أشم رائحة الخبز البارد الذي ينبعث منه البخار كبخار البحار، ارى رأي العين أصابعه وهي تمتد وتتدلى منذ ثلاث سنوات الى النار، أشخص عينيه اللتين تلوتتا بلون النار وأتعرّف على زفيره الذي يسيل من صدره وهو نائم، الصدر الذي لا يحتفظ الا بالأنفاس الأخيرة للجنود المقتولين، وذكريات الأيام التي كان على قارب صغير يجدف ويعبر المياه بين غابات القصب ويغني.

كان حميد بصراوي في صغره يجمع قطع الخبز التي تلقى في صفائح الزبالة، وكما روى لي: (وجد في البحيرة التي غطاها القصب قطعة أرض سماها (الوطن الصغير)، صنع من علب دهن الراعي والدبس تنورا، في تلك البقعة التي لا يحس فيها أحد برائحة قشرة الأشجار المحروقة والخبز المشوي، ويقوم بتحويل قطع الخبز الى العجين ليصنع منه الخبز، وفي علبة مكسورة يخلط

التمور التي أخفاها في يده بالدهن. في ذلك العالم الهاديء لا ترى الا عدة طيور وطيور مائية، حميد يحادثني وكأني جالس وسله تمر أمامي، ولحلاوته يميل ريفي.

الآن وبعد مرور ثلاث سنوات؛ لا يشتري الخبز ولا يأكل من خارج المعسكر الا حميد، يقول الجندي الذي قتل البارحة:-

- في خبز حميد عصارة رحيق التمر.
ويقول جندي آخر والذي هرب مجنوناً:-

- لو يوضع خبز حميد على عيني الميت، تعود اليه الحياة.

كان ضابط في المعسكر يسيء الظن في زوجته، في كل اجازة عسكرية يحمل معه كمية من الخبز، لأنه يعتقد ان خبز حميد بصراوي يطرد الأرواح الشريرة من البيت، لأنه يعتقد بأن كل امرأة وحيدة حين تنام فالشيطان مختبيء تحت مخدتها...! عندما يكون حميد في الخندق وحيداً ويتمدد ويستمتع الى تلك الأقاويل؛ يرنو الى المرقد وكأنه يقول لنا: (ان الطفل الذي ترك هناك.. هو أنا، وأنا عبارة عن بقايا بطن جائع وليس أي شيء آخر).

النار البيضاء

في أول يوم وصل فيه حميد المعسكر والاستقبال منه عن مهنته والعمل الذي يجيده؛ اجابهم بأسلوب فاتر: (خباز)، ثم قال: (أنا خباز ولا أعرف أي عمل غير هذا)، وهو يعتقد ان هذا العمل سينقذه في حالته هذه، ويبعده عن الخنادق الدموية والأحذية الغارقة في المياه، ولكنه لم يفكر في ان عمل الخبازة ستصبح له جحيماً صغيراً ولا يستطيع الأفلات من جحيماً المستعرة، من تلك اللحظة التي بدل ملابسه التي يفوح منها رائحة المدنية بملابس أخرى؛ بنى عند مرقد السيدة الزاهدة تتورا على بقعة أصبحت احجارها وأثربتها نتيجة مشي الجنود عليها كالطحين.

في الليالي التي يستغرق الجنود في النوم بعد أن تعبوا من اطلاق النار، يذهب حميد بصراوي نحو المرقد، من صناديق الخالية والتي جمعها الجنود قسراً

كعقاب عليهم، يبدأ بأشعال النار في تنوره، رويدا.. رويدا ومع عملية التعجين يغني أغنيته المحببة والعالقة في ذاكرته الطفولية، ثم يبدأ من خلال وهج النار بلصق الخبز بالتور.

في صباح يوم من الأيام؛ وقبل أن يعود مع خبزه خرج من شباك المرقد دخان أزرق واتجه نحو الأراضي المنخفضة فغطى السهول المالحة، كان الدخان من النوع الثقيل الذي تغيره الأمطار لونه الى الأزرق الفاتح، وبعد هزهزة الدخان ظهر ظل أبيض في صورة حمامة وكأنها تجمع الحشائش لعشها، ولكن ألحريق بدأ وكأنه أحدث عمدا، قلت ل حميد بصراوي: (هل رأيت شيئا..؟!).

- كلا

أحسست ان عينيها تقولان شيئا آخر، ولكن كان فرحا بصيانة السر لديه فقط، وبعد هنيهة من الصمت منحني الخبز وقال: (اذهب للنوم)، وقبل وصوله الخندق قال لي: (الخبز يكفيكم جميعا). الآن فهمت أن حميد بصراوي يعيش في بدايات الجنون واختلال العقل، وان تلك الأخباز كانت الوجبة الأخيرة للمعسكر.

كنت وحيدا وكأني جالس في المكان الذي سماه حميد ب (الوطن الصغير) في غابة القصب، والعلب المقعرة وقطع الخبز المرمية وسللة التمر أمامي. أشعلت نارا بيضاء وأنا جالس ولا أعرف متى أنتجنن في خندق مليء بجثث الجنود القتلى، ومتى تحضر الكلاب على جثتي الجريخة وتوغل في دمي..؟!.

عند العبور من الجروح البيضاء

شمت وهبت من المرقد رائحة الدخان و نكهة الخبز الحار، قبل عدة ليالي من اعلامنا بأن هجوما كبيرا واسعا يكاد أن يبدأ؛ لايترك حميد بصراوي نار التتور خامدا، وكانت رائحة الخبز تخيم على المعسكر، في تلك اللحظات العصيبة كان حميد يحبس دموعه الباردة البيضاء ولا تسمح لها بالسقوط، لأنه يعتقد أن سقوط دمعة يكفي لأخماد التتور، يقول في نفسه: (لمن أصنع كل هذه الكمية الكبيرة من الخبز..؟). كان حميد واثقا من لا أحد غيره سيستطيع أكل قطعة خبز، رأى حميد ذلك في المنام، ولكنه لا يتجرأ ألبوح به لأي شخص، لأنه قد عوقب مرة

و شد اذناه سابقا لأجل الحلم و رؤية المنام، و بعد ذلك العقاب أبلغوه بأن الرؤيا في الزي العسكري ممنوع ولها عواقب شديدة منها الأعدام رميا بالرصاص، اما اغفأوه في تلك المرة كان من أجل (ان الشخص الوحيد الذي يخبز للمعسكر، كان حميد وليس غيره). أنه يرى ويعرف من مكانه العالي والمطل على جميع الخنادق، كم هي اعداد الجنود الباقين، والى أي حد هم مرتبكون و مندحرون، وكم هم مبعثرون محرومون من الراحة والنوم الجائم على أهدابهم..؟.

عنا خيم الظلام على كل شيء، أو عندما كان المعسكر لازال خادرا في نومه الصباحي العميق؛ رأى حميد بصراوي عدة جنود بملابسهم الداخلية ومع جروحهم العميقة و عبر غابات القصب والمستنقعات المالحة يهربون الى الجانب الآخر لينقذوا أرواحهم بأي ثمن. هذا المنظر كان مضحكا لحميد بصراوي بقدر ما هو مؤلم، لأنه يرى رأي العين..، أن هروب أي عدد من الجنود يؤدي الى تقليل الخبز، أو بمعنى أدق، يعني الوحدة والانفراد و فقدان الأحباء والأصدقاء وهذا لا يسعده.

وقبل ليلة من الهجوم المعهود حدث ما ليس في الحسبان ومتوقعا. كان حميد أمام تنوره نائما نوما عميقا، وفي هذه الاثناء وبغثة.. سمع نداء استغاثة من جندي جريح وهو يتألم ويصيح و بيندقيه يشير الى الخنادق ويقول:(ها.. هم وصلوا.. اترك الخبز وانقذ نفسك!!..). من الشباك المكسور للمرقد أطل حميد على الخارج ورأى أن النار تحاصره من كل الجهات، وأن الهجوم الموعود انقلب الى هجوم معاكس من العدو، فها.. هو الوحيد الباقي مع تنوره ورغيفه ولا يرى أحد حوله، بخار الدم يعلو من السهل الأبيض، السهل الذي أصبح لهيبا قانيا وكان النفط سكب عليه.

أفراد مبعثرون مشنتون من الجنود انقذوا أنفسهم بالصدفة من ذلك الهجوم غير المتوقع، ووصلوا الى الجبهات الخلفية، انهم يتساءلون في ما بينهم عن مصير حميد بصراوي، منهم رأى أنه وقع في كمين لجان الاعدام، تلك اللجان تستقر في الجبهات الخلفية ومهمتها اعدام الجنود الهاربين من الجبهات الأمامية. منهم قالوا، على حافة الطريق العام بين البصرة والعمارة رموه عاريا وعلى جسده

جروح كثيرة تكفي لعشرات اعشاش العصافير. جندي آخر وهو يحمل دائما على صدره نسخة من القرآن قال: (يمينا بهذا القرآن رأيت حميد بصراوي وهو يهرب نحو غابة القصب مجروحا وهو يحمل الخبز ولفه دخان أبيض، اللهم لا تكتب عليه كفرا؛ أنه يشبه ذلك النور الذي يرسمه أحد الرسامين حول الأنبياء).

قبل عدة ليالي.. كنت منشغلا بقراءة رواية (الثلج) فجاءني نداء هاتف، كنت في حيرة من رقم الهاتف والشخص الذي يطلبني في هذا الوقت المتأخر من الليل:

- هو أنا.. من هو جنابك..؟

- (بصوت حزين)، أنا محمد خضير من البصرة.. من مدينة السياب، رأيت قبل أيام شخصا وهو يعرفك..!!

- ما اسمه..؟

- حميد بصراوي..!!

- نعم أعرفه.. وكنت معه مدة طويلة وفي معسكر واحد..، ولكني لأعرف الآن.. ماذا حدث له..؟

- أنه الآن جارنا.. وقد تزوج.. وله ابن وبنتان..، انه يعيش في فقر، وبجانب داره المؤجرة بنى دكنا صغيرا بالصفائح والقصب لاعاشة عائلته..، وعلم ابنه وابنته مهنة الخبازة.. وتقوم زوجته ليلا ونهارا بعجن الطحين...

- قلت له باكيا..، أخي العزيز بماذا تأمرني..؟

- اريد أن أكتب قصة عن هذا الرجل.. قصة لاتشبه قصصي الأخرى..، يجب على أن أروي حياته..!!

- مهلا..، بعد ليالي سأجيبك في رسالة..

- نعم، واني انتظرك.. وداعا في املن الله.

عدت الى قراءة رواية الثلج، وما نمت حتى كتبت له الرسالة الموعودة.

الشموع
أحلام منصور
ترجمة: د. عادل گرمياني

ههوانامهى كيتير

هه و النامه كتيب

أنطفأت الكهرياء فجأة ... هذا يعني بأنني سأضطر أن أجلس وأنام في مكاني
نفسه ... لا أعرف كيف اهدئ نفسي حتى الصباح ؟ ولا كيف أصبحت مديونة
و مستقرة تحت عبء فقري !.. لم يكن هنالك من يشتري مني دموعي التي لم
يكن لدي شيء عداها لأبيعتها ...

أضربت كلماتي عن مطاوعتي فلم أستطع أن أقرأها ، لم أستطع أيضاً أن
أصنع من كلماتي ظلالاً لي . كذلك لم ترتض الآمي أن تصبح جسراً ، لذا فقلمي
الذي كان يخبئ نفسه في الضياء و يضع نفسه أثناء الظلام في داخل أعماقي بدأ
هو الآخر يزيد من اضطرام نار أعماقي و غليان دموعي .. كانت الدموع
الحارة تصل إلى داخل عيوني ومن ثم ترجع فيضطر قلمي أن يلوذ بالصمت
فلا أعرف إن كان يخجل من دموعي أو أنه يُصاب بالصم و البكم حين يرى
الدموع .

حاولت في هذه الليلة و لأول مرة أن أتعلم هذا النوع من البكاء .. يعني أن
أبكي بصمت .. كانت صديقتي دائماً تقول : لا تبكي يا عزيزتي ، لأنني لا أحبذ
أن تبكي أمام انظاري ، فأن كان لديك دموع فأبكي بصمت ، لأن الدموع حين
تنفذ إلى داخل أعماقك فتأها ستصبح في تلك اللحظة شيئاً مقدساً ..

حاولت مع البكاء أن أكتب شيئاً ، ولكن دموعي قبل كلماتي تنهمر على
الصفحات التي تحت يدي .. هذا يعني بأنها كانت محقة في قولها ، ولكن الدموع
و الكلمات أضربتاً معاً في هذه الليلة و منعنا عني سبيل البكاء العلني ..
بأختصار لم أمر قبل الآن بمثل هذه التجربة .

في هذا المساء (الذي هو في يوم الجمعة والذي لا أعرف يقع في أي اسبوع
من الشهر ، لا أعرف أيضاً في أي شهر نحن ، ولن أبغ معرفة ماذا يصادف
تاريخ هذا اليوم ؟ فما علاقتي به ؟) كما في الليالي الأخرى يلجأ الجميع إلى
النوم ورؤية الأحلام .. أنا أيضاً بدأت أحت نفسي من جديد .. بحثت عن مكاني
بين الجدران الأربعة في هذه الغرفة لكي أستطيع أن أفكر فيه كما أريد ... هذه
العادة لا أعرف كيف تعلمتها .. أذن يجب أن أمزج الأغاني بالترنيمات ،

وأمزج البكاء بالضحك ، فالغرفة لدي هي الزنزانة و الكتابة هي الحبل
والصمت هو ..!!

لا أقدر أن أفهم نفسي .. كنت أتصور بأنني أستطيع أن أصنع من كلماتي قيلاً
خاصاً بي ، أو أنني أستطيع أن أضع كلماتي في مهدٍ وأردد لهن الترنيمات
وأنومهن ... لا أستطيع أيضاً أن أبرم القلم و أجعله مدية لأنفض به على جسدي
فأصبح بعدها داخل دمائي في هذه الليلة داخل هذه الغرفة المظلمة .. ليس لي
أمل في أن أجعل من كلماتي خبزاً .. أحاول أن أنوم نفسي بحبوب الفاليوم لأنني
لا أستطيع الحصول على الأدوية الشعبية الكردية داخل هذه الغرفة التابوتية ..
سهرت حتى الصباح مع هذه الليلة المظلمة .. كانت الظلمة لا تجرأ على ترديد
الترنيمات لي ولا أجراً أنا أيضاً على فتح الشبائيك وإزاحة الستائر عنها ،
لكوني لا أحبذ ظلمة الخارج وأخاف منها وأخاف كذلك من المراة التي أمامي
.. يجب أن أشعل شمعة و يجب أن أجد تلك الشمعة بأشعال عود الثقاب - تلك
الشمعة التي أهديت لي في عيد ميلادي .. بقيت جالسة وجهاً لوجه مع عزلة
مخيفة .. كلا ، يجب أن أجد الشموع لكي تشاركني على الأقل في البكاء !..
الصفحات التي تحت يدي تعطف على حالتي و بطلني المخي؟؟

يقوم بمواساتهن ، وأشعر بأن جدران الغرفة تقرب من بعضها و تصبح
كالتابوت فلا أعرف بعدها أيوجد فرق بين هذا الموت وبين الموت الأبدي ..
أشعر بأن جسدي ثقيل جداً وأن الثوب الأبيض الممزق الذي ارتديه أراه قد
أصبح كفنًا أسود يغطيني ..

كانت نبالة قلبي حادة في السابق ، وكنت أحاول قطع إحدى أوردة معصمي
لكني لم أجرو على فعلها .. هذه الليلة و كأن .. لا .. لأتحدث عن الظهيرة التي
تصورت فيها من المفروض أن أنفخ على خمس و ثلاثين شمعة ملونة ، لكني
وضعت تلك الشموع تحت رأسي .. لقد أتحد ذلك النهار الأسود مع هذه الليلة
السوداء .. (بماذا أوقد الشموع .. أبنار لحظة من لحظاتي حياتي أوقدها) .. لقد
ذابت الشمعة السوداء بسرعة وكانت أكثر من البقية تسكب الدموع .. (لم

أعرف لماذا تحولت نبالة قلبي فجأة إلى سنارة) .. تراعت الشمعة السوداء لعيني كبحر بالغشوة .. أرى الشموع لا تشبه بعضها بعضاً ، وكل واحدة منها بشكل يختلف عن الأخرى تقيم مئماً لي فأحاول أطفئها بأصابعي .. تذكرت كلمات والدتي حين كانت تقول (أصابني ألم المخاض لأربعة أيام وليال ، لكنك لم ترتضي القدوم إلى هذه الدنيا .. كنتُ ثقيلة جداً ولم يكن بمقدوري تحمل بقاءك في أحشائي) ..

الشموع مستمرة في نوباتها ، وهذا الكفن الأبيض الذي ارتديه يبدو لي تحت ضياء الشموع بأنه يشبه راية الموت .. أشعر بأن الراية تمتص دمائي وأشعر بأن لا قدرة لي على القيام بأي شيء ، و باستمرار أنظر إلى نار الشموع ولكن لا تنهطل عليها أية كلمة من شفاهي ..

أرى ملامح وجهي سوداء في المرآة التي أمامي ، وتبدو عليها انعكاسات أحزاني واضحة .. يجب ان أغرس نبالة قلبي بصورة مفاجئة في إحدى أوردة يدي لكي تتدفق الدماء كشلال على وسادتي و لترسم صغار أسماك أحزاني .. هكذا أستقبل يوم ميلادي .. لا سكاثر لديّ وها هو الموت يطرق باب حياتي الذي ينفتح بين لحظة وأخرى و يغلق .. أشعر بأن مذاق و رائحة كلمتي لا يشبه مذاق و رائحة التبغ ..

فمي يتيبس ، و بدون أوراق لعب القمار مع نفسي ، وهانذا وحيدة أمام شموع ألفظ أنفاسي الأخيرة التي لا أستطيع أن أتحدث عنها بجملتين .. غرقتي مقبرة صغيرة وفي قبر أمنيائي مدفونة العشرات من الحوادث والأمور .. بدأ جسدي يموت رويداً رويداً و ساقاي منذ مدة قد مئتا .. هاهو الموت يخطو وئيداً نحوي و يقترب مني .. (ألم أكن أنا الذي أموت وأحيا مئات المرات ؟) لا تبكي الشموع من أجلي بل لأجلها تبكي و تذوب ، وهانذا بدأت رويداً رويداً أذوب فوق الصفحات التي تحت يدي .. احزاني أيضاً بدأت تتلون وفي المرآة تظهر أمتزاج الألوان تخاطبني بالقول : لقد ولدتِ على ضفاف (الوند) (١) وعبرت الجسر القديم وسوف تغنين في ضفته الأخرى ..

(١) الوند: أسم نهر في مدينة خانقين الحدودية .

لا أستطيع بالكلمات أو الآلام أن أخلق لي حياة أخرى ، فحياتي اليومية تختلط بالكتابات التي تحت يدي .. إن بكيت مرة في حياتي اليومية فأتى سألني مرتين في حياتي الكتابية و سأضحك على نفسي .. أكتب دائماً صفحة أو صفحتين وارجعها و بعدها يخرج زمام كتابتي من يدي .. أدعها جانباً ولكن فوق الكرسي نفسه وعلى المنضدة ذاتها وتحت نفس المصباح . حين بدأت بالكتابة قبل عدة سنوات قمت بأغلاق باب العيش على نفسي و بقيت أعيش على الورق .. الآن خطواتي تتناقل وجسدي يتناقل أكثر ، وأشعر بأن رأسي فارغ كما كان عليه .. بالأمس حدقتُ فيّ والدتي من أعلى رأسي حتى أخصص قدمي وقالت :

كنتُ أعرف بأنك سترجعين ولن تستقري أيضاً هناك .. لقد رجوت تحقيق مرادي من أحد الخارجين من صلاة الجمعة قبل الأمس فقالت القناة (تعالي بعدها .. تعالي)

أجبرت نفسي فارتشفت دموعي المالحة .. لم أعرف في أيّ غرفة أخبئ نفسي .. جدران الغرفة من المرايا ولا فائدة من بحثي عن ركن ليس فيه مرآة .. أفرغت حقيقتي ... كان فيها بعض الكتابات القديمة ... أندهشت حين وجدت هذه المرة مخلصاً تجاه هذه الأغلفة القديمة .. بسرعة أغلقت الحقيبة وأخبأت نفسي في أحد الزوايا ... صوت والدتي مثل المطرقة يدق على رأسي المضطرب :-
- بدون جدوى بذلت جهودك في عمك لعشر سنوات وتعبت فيه .. لقد أخذ (الوند) جهودك ومُت في عز شبلك يا مفجوعة .. قولي لي لم أذن أنت باقية ؟ .. ألعار الدنيا ؟ .. والى أين تريدان أن ترحلي ؟ .. (حاولت كثيراً أن أخبئ نفسي في حقيقتي القديمة لكنها مرة أخرى أستمرت بالشكوى) .. لن يكون لك مكان في (باشا كوبري) (٢) لأن الموتى سيمتفون .. كفى أتركي القلم وأسرعني بأرتداء العباءة و دعيني أصحبك إلى بيت (السيد) ليكتب لك تعويذة عسى أن تعقلي بها ..

(٢) باشا كوبري : أسم مقبرة في مدينة خانقين .

لذت بالصمت ، و لففت نفسي بالعباءة كي لا يراني أو يتعرف عليّ أحد ...
أعطيت بيد و الدتي زمام أيامي و تبعتها في السير ، لكن السيد رفض كتابة
التعويذة ، فلم تُقل و الدتي أكثر من : (أه.. أنن هاتي الماء و أغسلي اليد منها) ..
بأي ماء أغسل يدي ؟ لم أعرف ذلك !.. أحبذ كثيراً أن أغسل يدي بدمائي ،
ولكني كثيرة الجبن ولا أجراً على تنفيذها .. لقد رفضت الحياة يدها عني فماذا
بمستطاعي أن أقول بعدها .. لمدة سنتين بقيت بدون عمل .. كنتُ في نهار الأيام
أنام و في لياليها أستيقظ فأجد نفس وحتي و غرقتي ووسادتي ، ونفس غطائي
وألبي ، ونفس أسطوانة أقوال و الدتي المكررة التي أعادتها أيضاً في نوروز
قائلة:

- أنهضي .. أنهضي أنها الظهيرة ولا زلت نائمة ؟ .. الجو حار .. انها صبيحة
نوروز فالى متى تنامين ؟ .. ألم تشبعي من النوم ؟ .
لم أجب على كلام و الدتي فتصورت بآتي نائمة .. كنتُ أفكر وأسأل نفسي :
(يا ترى أنتحمل أوراقى القديمة نيران نوروز ؟ وهل يماثل نيران نوروز على
طول التاريخ قوة نار أعماقي في هذا المساء ؟) .. رفعتُ راسي فجاء وحدثُ في
حقيبتى القديمة التي تراكمت عليها الأتربة و الغبار .. فتحتها .. وجدتُ بعض
صورى و صور و الذي مع بعض من ظروف الرسائل و غلاف كتاب ..
صفحة بيضاء و أخرى سوداء .. (بماذا أحشي الصفحات البيضاء لمستقبلي ؟
وأية نار تحيل الصفحات السوداء لماضيّ إلى رماد ؟) .. نهضتُ على قدمي
وبتجهم نظرت نحو السماء ... قالت و الدتي :

مابك !.. لمَ ملامحك كئيبة ؟ ولماذا ينهطل العلقم من وجهك ؟
أجبت على نفسي بآتي سأعمل في هذه الليلة من أوراقى القديمة موقداً .. لن
أبالي إن فئتُ فيه وسأرقصُ فيه رقصه الدروايش ، فأن أضطرم النار في
حاشية ثوبي فته ..!!! لن أنتظر مشاركة الآخرين في هذا النوع من الحفلات ،
وكما قلت : أنا و فقط أنا .. النار يقدر أن يقهرني .. ومن الممكن أن تماثل
حرارة نيران الصفحات السوداء حرارة نيران الصفحات البيضاء لمستقبلي ؟ ..
ومن يقول بأن صفحات حياتي القادمة ستكون بيضاء ؟ ..

أستدرتُ مثل كرة الأرض و الدهر و الفلك .. أستدرتُ وتركتُ غرقتي ،
ومن بعيد كنتُ أشم رائحة نوروز . كان الشارع مقفراً .. وفي مثل هذه المساء
من العام الماضي كنتُ أمل تنفيذ مشروع ، لكنه لم يتحقق ولم أجراً بعدها على
التفكير بمشروع آخر لكي لا .. اضطرب ولعدة مرات صعدت السلم وهبطته ،
ولعد مرات فتحت الباب و أغلقته .. أزعجني صوت أطفال المحلة وهم
يرددون :

الليلة بداية نوروز .. آمين

أمنح الخير لهذا البيت ... آمين

عسى أن لا يقتل الله والدتك ... آمين

عسى الله لا يقتل والدك ... آمين

فعلنا أما حسنة أو ثواب أو لقمة كباب

ضحكتُ ، فئار والدتي صوت قهقهتي .. خرجت وهي تهز برأسها من تلقاء
ذاتها وقالت :

- واه .. لا فائدة يرجى منها !.. لقد جنت أبنتي .. مابك يا عزيزتي !

ضحكتُ كثيراً وقلتُ لها :

- اتذكرين حين ذهبت وأنا طفلة مع بعض الأطفال إلى أمام بيت(خه جه) *
الخيطة وكانت عربية (مه جه) (٣)* أيضاً هناك .. كنا نصرخ باستمرار :
عسى أن لا يقتل الله حصانك .. آمين .. عسى أن لا يُخرب الله ماكنثك
(السنجر) (٤)* .. آمين .

نظرت والدتي إلى ثوبي القديم و قالت :

- لقد أرتفعت أجرة الخيطة .. في السابق كانت (خه جه) تخيطه لك في المساء
بدون مقابل ، وكانت صبرية الخبازة تجلب لنا الرغيف في نهار العيد ..
يالروعة تلك الأيام .. أني اضطرم شوقاً لهؤلاء الجيرة .. لقد تفرقتنا وأصبح كل
واحد منا يعيش في بقعة بعيداً عن الآخر .. كانت أيامنا الأخيرة تعيمة وكان

(٣) خه جه أسم تصغير لـ (خديجة) و (مه جه) أسم تصغير لـ (مجيد) .

(٤) ماكنة السنجر : نوع من أنواع مكانن الخيطة .

البعض منا لا يملكون شيئاً في بداية حياتهم ، إلا أنهم استطاعوا في فترات لاحقة أن يحصلوا على ما كانوا يأملون .. أنتِ بقيتِ مثل (فلانه) لم يكن بدايتك ولا نهايتك سعيداً ..

نظرت نحو السماء ولم أفهم مرة أخرى دعائها .. قُحِت باب البيت فوجدت أطفال المحلة يلعبون كرة قدم .. كانوا في نقاشٍ حاد .. أقسموا الشارع بالطباشير البيضاء إلى قسمين ضربوا الكرة فأرتطمت بساقي .. توقفوا وصمتوا .. كانوا ينتظرون أن أعيدها إليهم .. نظرت بصمت نحو الكرة فلم أحبذ أن أضربها بقدمي ، لكنني أيضاً لم أستطيع أن أحرم نفسي من هذه اللعبة .. توقفت اللعبة بصمت فوجدت الأسئلة تنهطل من نظرات والدتي :

- : لا أضنك تتوين اللعب مع الأطفال الصغار ؟

أقتربوا هم أيضاً مني و سألوني : (أتكونين حكماً) .. لم أجراً على قول (نعم) أو (لا) .. كانت كلمات والدتي تصرخ في رأسي قائلة : يا حسرتاه .. يالحظي العاثر ..

كان في أرشيف دماغي الكثير من الأغاني وفي قلبي الميت هذا أختبأت أغاني الكون غير المحدود .. بالترنيمات أقوم بتوديع أغاني ... كلمتي مجروحة .. وفي هذه المرة أصبحت أنا القيد وأنا الضامن لنفسي ، واصبحت أيضاً القيد و السوط والزنازة .. بالقيد أكبل يدي و بالسوط أعاقب أبطالي .. أعماقي أيضاً زنازة مظلمة أسجنُ فيها فقط نفسي .. جسدي ثقيل جداً وهذه الزنازة لا تستطيع أن تحويه .. في هذه الليلة لن يفهم احداً ما أقول ، متى يحقُ لي أن أسأل سؤالاً ويحق لي أيضاً الأجابة عليه .. بدون عمل جالسة و بسرعة أنفعل و يتزبد فمي فأخمد ببرودة كلمتي نار أعماقي لبرهة .. أني أحملُ على كتفي ما أحمل من جروح ، و جروحي تسبق خطواتي ، فبدلاً من استقبال كلماتي بالدموع الحلوة أقوم بغسل أعماقي بالدموع المالحة ..

جروحي تختلط بجروح كلمتي و يبدءان بالتزاوج .. أتقلب داخل آلام جروحي ، ولهذا السبب ينهطل النار بديمومة من وجهي على كتابتي . بكلمة أو

بدمعة أتصالح .. لكن هذه الليلة لا .. أصبت بالأرق ولا أعرف ماذا أعرف ..
أريد أن أحرق كتاباتي بنار الشموع لكي أدفئ ليس فقط أصابعي بل معها
أضلاع صدري أيضاً لكي أذوب فجأة ..

عطر التراب

احمد سلام

ترجمة: حسين عثمان نيرگسه جاري

أتذكر عندما كنا أطفالا نلعب ونغني في الازقة والشوارع ليلا، وأحيانا نخلط مع أغانينا أهزوجة شعبية تقول: (من بيوتات الكبار تشم .. تشم رائحة الاغيار)، ومنذ تلك الايام الغبرة لم تنقطع عن مدينتنا الروائح الكريهة، وفي كل المرات وتحت مسميات وظواهر جديدة تبدأ ببث روائحها العفنة.

هذه الظاهرة تجاوزت حدود أفراد قلة يشمئزون وينزعجون من الروائح الكريهة والاعمال البذنية، فكل من تسامره وتحلوره يبيث لك ركاما وسيلا هائلا مما يحبسه في قرارة نفسه من الآلام والمعاناة، يبدو أن هذا من قدرنا النحس البائس في الحياة والا فان نصف سكان هذه الارض بل أكثرها يعيشون في أبهة حياة مترفة، وهم مغمورون في أريج العطور والزهور والهواء النقي ويصقلون تلافيف أدمغتهم بكل تلك النعم، ولم تبق لنا سوى العيش في روائح مستنقعات الفتنة والنهب والفساد.

ومهما كانت .. فلا أعتقد ان احدا تأثر حتى النخاع ومرض بالروائح الكريهة في مدينتنا مثل شقيقي (هيوا)، حتى ان كثيرا من أقاربنا وجيراننا يعتقدون ان تلك الروائح الكريهة تحولت لدى شقيقي (هيوا) الى مرض عصابي ونفسي الم به، فلذلك يجب علينا ان نجمع كل طاقتنا لاستجاده وانقاذه من هذه الصدمة الأليمة، والا فان المرض سيتفاقم ويصل حالة اليأس والانهيال.

ذلك ما حدا بأبي ان يعرض (هيوا) على جميع أطباء المدينة، رغم اننا كأفراد البيت لانعتقد انه مصاب بذلك المرض الذي يتحدث عنه الناس القريبون منا، الا ان الاطباء لم يتفقوا على رأي واحد لم يشخصوا مرض (هيوا).
أحد الاطباء قال لأبي بكل صراحة ووضوح:

- لا تتعبوا انفسكم به.. هذا الفتى ومن المحتمل جدا انه تأثر كثيرا بالروائح الكريهة لمجاري المدينة، فأبعده ما استطعتم عن المدينة عسى ان يتعافى تدريجيا من الاوهام والخيالات فيعود الى وجهه الانشراح والبهجة.

ارسل أبي (هيوا) الى القرية ليعيش بين أقاربنا وأصدقائنا ردا من الزمن وحسب توصية الطبيب، الا ان صحة (هيوا) لم تتحسن بل صار أسوأ، مما حدا بأبي مضطرا عرضه لطبيب آخر، فأدلى هو الآخر بدلوه، فقال:

- أنتم تعلمون جيدا كيف أصبح وطننا مسرحا للقتال والحروب الدموية المستمرة، وان الناس يعثرون يوميا على عشرات من جثث القتلى والجرحى وهي متراكمة ومتعفنة، ومن الطبيعي ان تلك الاحداث أفرزت نتاج كارثية أليمة. فكانت سببا لانتشار أمراض خطيرة في المجتمع، ولا أستبعد ان تكون الروائح الكريهة لتلك الجثث قد أثرت في عصب الشم وألّمت به، فأبعده عن تلك الاماكن الموبوءة بتلك الكوارث والاحداث الدموية، ولمدة اتبعنا تعليماته ونصائحه، الا ان (هيو) لم يقترب من شواطئ الشفاء، بل صار أسوأ حالا من السابق.

في ليلة زارنا أحد الأقارب العائد من الخارج وكان مهتما بمتابعة صحة (هيو)، وزبدة ما توصل اليه هو ان (هيو) ولعدة سنوات كان جنديا في المناطق الجنوبية، وفي تلك المدة فجرت أنابيب النفط والغاز وأدى هذا الحدث البيئي الكارثي الى تغطية تلك المناطق بدخان داكن كثيف، ومن المحتمل جدا ان (هيو) تأثر بتلك الغازات والدخان، وأصيب نتيجة تلك الروائح الكريهة، ومضاعفتها بهذا المرض العصي، وأضاف قائلا: انا اقترح وأستحسن ان يعرض على طبيب مختص في العلاج النفسي.

في الصباح وبسرعة غير معهودة عرض أبي (هيو) على أشهر الاطباء النفسيين في المدينة، فكان ذلك الطبيب - شهد الله - أجرى له فحوصات دقيقة فأعلمنا:

ان (هيو) يتمتع بصحة نفسية جيدة، وليس فيه أي خلل نفسي وانه (أصلب من الجوز - مأثور كوردي).

في ليلة نفس اليوم زارنا ضيوف كثيرة، وشارك الجميع في مرض (هيو) والأمال المرئية في الافق لمعالجته، وبغته بادر أحد الضيوف بالحديث، فقال: أقاربي الأعزاء! من المحتمل جدا ان (هيو) تأثر بالغازات والاسلحة الكيماوية التي استخدمت في منطقتنا، ومن المستحسن جدا ان يعرض على طبيب اختصاصي في العلاج الكيماوي ليفحص دمه في مختبر مختص، فبعدها نصل الى كثير من الحقائق.

فعرض أبي (هيو) وكالمرات السابقة على طبيب مختص في العلاج الكيميائي، وبعد إجراء فحوصات سريرية ومختبرية، أكد الطبيب وبكل صراحة ووضوح ان (هيو) لا يعاني من اي أثر للغازات الكيميائية، وبذلك رفع الطبيب معنويات أبي وطمأنه، بل قال له: ان أسباب مرض (هيو) تتعلق كثيرا بالظروف ومشكلات الحياة اليومية وليست هناك علاقة بالشؤون الطبية. وبعد كل الاسفار الشاقة بين عيادات الاطباء واجتهادات واستنتاجاتهم وبعد مناقشات وتبادل الآراء بين الاقارب والجيران تبلورت لدى الجميع قناعة راسخة بان الروائح الكريهة للفساد المستشري في مفاصل المجتمع وأعمال السلب والنهب والعدالة الاجتماعية الغائبة.. كل هذه وغيرها قد أثرت سلبا في عقله وجهاز تفكيره، في هذه الاثناء سمعنا الاطفال في الزقاق وهم يرددون الأهزوجة الشعبية القديمة مع قليل من التحوير: (من الكبار والصغار،، تشم رائحة الفساد والعار).

في الوقت الذي كنا منشغلين جميعا بمرض (هيو) وتبادل الآراء، سمعنا صوتا رخيفا من أقصى مجلس الاهل والضيوف، فاذا كانت الجدة المتكئة وهي تنتصب فقالت:

اني أعتقد جازمة ان ابننا يتشافى ويتعافى فقط ببلسم وأكسير واحد وهو (عطر التراب).

سألناها جميعا باندھاش وذهول:

- يا جدة! ما هو معنى عطر التراب؟

فقالت: أبنائي الأعزاء! أدعوا وتضرعوا لعل أمطار الرحمة تهطل على وطننا، فعندئذ تتبلل الارض فتزفر وتنتثر بخارها وأريجها الشافي على الجميع، فمتى وأينما تفوح رائحة الارض وأريجها كونوا واثقين مطمئنين، انها تتغلب على جميع الروائح الكريهة وتجنثها من جذورها النتنة الفاسدة.

من تلك اللحظة أستطيع ان اقول بثقة وأطمئنان: من تعلم نذرا يسيرا من هذه الدنيا أيقن بأن عطر الارض يفوق البخور والعطور جميعا.

الكلب الماروني الصغير

أحمد عارف

ترجمة: رؤوف هموندي

كانت (به روانه) في حيرة دائمة و تعجب غريب لأنها لم تعرف ايهما أحب الى زوجها أهي أم كلبه الماروني الصغير .. هذا الكلب ذو شعر طويل و الى اين يذهب يصطحبه معه ولو لم يخجل و لو لم يحس بأن هذا مخالف للعرف و العادات السائدة داخل مجتمعه لأصطحبه معه حتى الى اجتماعاته الحزبية ، و لا ينكر ان الكلب الصغير كان وفيا و مخلصا و ذكيا ، ان وفاءه و اخلاصه لصاحبه وصل الى حد لو سمع صوتا خارج الباب لعرف ان هذا الصوت هو صوت اقدم صاحبه ، لذا اصبح هذا الكلب كل شيء في نظره و بالاخص في الايام التي رجعنا فيها الى المدن و هو يحبه اكثر فائدة له حتى مني و من اولاده و يبشمه رحته لانه كان كلبا نشطا و حساسا و ذكيا اكثر مما يريد هكذا فكرت (به روانه) ! ولكن هل من المعقول ان كل هذه السنوات التي قضتها معه في الجبل و كل هذه التضحيات التي قدمها الشباب الذين كانوا معه في السراء و الضراء .. و بعد رجوعنا الى المدينة يبدلها هو بعوى كلبه الصغير الماروني لم لا ؟ ! ان إنشغاله بكلبه و اعتناؤه به خير دليل على ذلك و الأجدر من ذلك هو الآن نسائي و نسي اولاد و نسي ببشمه رحته الابطال مما جعلني في حيرة دائمة ليل و نهار و زرع في الشك في قلبي لذا كثيرا ما أقول غريب أنا لا أدري هل ان هذا الرجل يحبني ام يحب كلبه أكثر ؟ ! هذا من حقي لأنني أرى ان هذا الحنان الذي يعطيه لكلبه لا يعطيه لي و لأولاده و لا لبشمه رحته الابطال و الدليل القاطع على ذلك هو أنه يذهب الى السوق في كل يوم و يشتري كمية كبيرة من اللحم الطري و حين يرجع الى البيت يشبع كلبه الماروني من هذا اللحم اللذيذ قبل ان نأكل منه أنا و أولادي حتى هو و ببشمرحته لا يأكلون منه إلا بعد إشباع الكلب منه !! أه يا دنيا ... كل زمان و الأزمنة تتطلب التغيير و التطور تتطلب مراجعة كل إنسان منا في نفسه كي لا يقع في الويلات و يتخبط في سلات النفايات مثلما هو وقع فيها و أن لا يعطي المجال للأشياء التافهة أن تفوت من يده الرجولة و الكرامة و الشهامة لأن الندامة بعد فوات الأوان لا و لن تغير احدا ... شتان ما بين تلك الأيام العصبية التي كنا فيها انصارا و أناملنا كانت على الزناد ليل نهار و نببت في خنادق الشرف و

المقاومة و كنا جسدا واحدا و روحا واحدة و كل واحد منا كان ظهيرا قويا لرفيقه في النضال و كل واحد منا يحب أخيه في المبادئ و القيم و الأخلاق و كنا نقول ليس بإمكان أية قوة في الدنيا أن يفرق بيننا و أن يخلق ثغرة صفوفنا المتراحة .. أما اليوم بعد أن رجعنا الى نفايات المدن و قذارتها و مغرياتها العفنة تغيرنا تغيرا كليا و نسينا كل العهود و المواثيق و مزقنا حبل الأخوة إربا إربا و كذبنا مع أنفسنا و كذبنا مع الناس الاخرين وحتى ملابسنا و حركاتنا و سكناتنا و محادثتنا و مجاملاتنا تختلف الآن اختلافا كليا من الملابس التي كنا نلبسها في الجبال و كنا نشعر هناك ان الإنسان له قيمته لأن كل افراد الأنصار كانوا يتحلون بأخلاق فاضلة و توازن رزين و لا احد يتنازل للمواد المغرية و لايهتم بزينة المال و كنا نتنفس تنفس السعداء و حتى موتنا كان اشرف من هذا العيش هنا و في المدن .. لم أنس ذلك اليوم الذي التحق بنا رجل بملابسه الافنديية فارا من جلاوزة النظام و كان له عمر متوسط لا بأس به و كان رجلا محبوبا و دمه خفيف و كان يردد هذه الأقوال و في انتصاراتنا يجب ان نبني لببشمركتنا الهياكل العظيمة و نضع نصبا تذكارية لشهدائنا الأبرار و نضعهم في المقدمة و ان نجعل من أحيائنا قادة للشعب .. و كتبت الجبال هناك ملاذاً آمنا للجميع و كتبت العقيدة و الإيمان بالنصر رائدنا و جل همنا هو ان نوصل السلاح الى الجبهات و نخط هدفا مرسوما للوصول الى ما نريده و نحقق ما نناضل من أجله و دنيا في تلك الايام العصبية كانت مليئة بالأمل المنشور و قليل من نساتنا شاركن في معارك الشرف و خطوات نساتنا كتبت ابرد من خطوات الرجال لأن و عورة الطريق و حمل الأسلحة و العناد الحربي الثقيل من قدرة و طاقات الرجال اكثر من أن تكون في قدرة و طاقات النساء و كان حمل كلاشنكوف يعطي النشوة و السرور للأبطال و إستشهاد احد رفاقنا مهما كان صعبا و محزنا و لكن لا و لن يؤثر على هدم عزيمة الأنصار و لا يؤثر في نشاطاتهم لا بل يقوي من إيمان الأنصار بالثأر و الإنتقام من العدو الغادر و كنا نقسم بدماء شهدائنا الأبرار أن لا نجعل دماهم تذهب هدرا و أما أيامنا هذه داخل المدن فما جنينا منها شيئا غير الندامة و عدم الثقة بالنفس و الآخرين و

إنهيار المعنويات و حتى أولئك الذين كانوا معنا في خندق الشرف و النضال يديرون وجوههم عنا و يهربون عن الواقع ، الآن أرى في المدينة الاهتمامات بالمظاهر فقط و الموديلات الجديدة من السيارات الفخمة و التطاول في البنيان و القصور الشلهقة و جمع المال مما دفع بهذا المحور أن يملأ ... مشاعرنا بالمعانات و مما دفع بال (به روانه) ألا تفهم شيئاً من زوجها و ظلت تتجول في بحر الحيرة هل هو لا يزال يحب كلبه الماروني الصغير أو يحبني أنا .. أنا التي كنت شريكته في السراء و الضراء و في خندق الشرف و النضال أنا التي اصبحت أما لأطفاله؟! في هذه الليالي الظلماء بدأ الخفاش تدور بسرعة حول ضوء المصباح ناوية أن تحرق نفسها احتجاجاً على اللامبالاة التي ظهرت للعيان من طرف أولئك الذين كانوا بالأمس القريب يقبرون أنفسهم أبطالا في الجبال و اليوم بدأوا يستهترون بذلك الأمس و لندع عن الإنحرافات و لم يحمل أح منا وطنه على كتفه ، لنكتف بهذا القدر من المعاناة الا يكفيننا ان نعيش تحت طاولة الأحلام و نجرع كؤوسا من السموم بدل التحدث عن الوطن و الوطنية و لنجمع حوالينا أطفالنا في الليالي و نقص لهم ما فعلناه و ما رأيناه في حياتنا المليئة بالبؤس و الشقاء و نقص لهم مخاضاتنا في السجون و نحكي لهم السب و الشتائم و الكلمات البذيئة التي وجهت إلينا من قبل حثالات البشر و أشباه الرجال دون حق و نقول لهم يا أولادنا نحن كنا تأريخا بون كتابة و لم يكتب عنا شيء لحد الآن .. (به روانه) البطلة بطلة الجبال و الثورة بطلة المدن .. كانت متعودة في كل صباح أن ينهض من نومها ، و تتوجه الى مزهرياتها التي زرعت فيها أنواع الأزاهير الجميلة و تتجول عليها ، واحدة تلو الأخرى و تنظفها بتأملها الرقيقة و مع صب الماء عليها تسكب دموعها على الورود و تحكي لها معاناتها و تقول ليتنا كنا كلبا مارونيا أو لم نكن بأحسن من حالنا الآن ..!؟

اليـد

أحمد محمد أسماعيل

ترجمة : د. عادل گرمياني

رتب غرفته للمرة العاشرة وأعاد تنظيم كتبه فوق إحدى زوايا المنضدة . كان كل تفكيره ووعيه مركزا على الباب ينتظر أن تطرقه هي باصابعها الناعمة . تحرك نحو الشباك و نظر منه للأسفل فرأى الشارع تدب فيه الحركة . قال في سره : ((الآن ارغب في أحتضاتكم جميعاً .. ترى كيف أستطعت أن أقضي كل ذلك الوقت الطويل؟! .. وكيف لم تتخرنى الوحشة و الملل كما تتخر العث الأخشاب؟!) .

طرقات الباب لم تدعه ينعمس أكثر في لجة ذكرياته . فنهض مسرعاً نحوه ، لكنه لم يفز في فتحه لها حيث ولجت هي إلى داخل غرفته قبل وصوله الباب حاملة بيدها باقة زهور حولت غرفته إلى روضة زاهية ، جلست على الكرسي بعد أن وضعت باقة الزهور فوق المنضدة ..

قال لها : لن أدعك تبتعدين عني مرة أخرى بعد الآن .
حسناً ، كيف كنت تعيش كل ذلك الوقت؟! .

أعادت كلماتها هذه لذاكرته ذلك اليوم الذي كنا فيه معا يسيران على الشارع حيث سألته في حينها أيضاً هذا السؤال نفسه .. افرحه سؤالها و رغب من أعماقه في أن تكررهِ مرة أخرى ..

خاطب نفسه قائلاً: (لم يسألني احد مثل هذا السؤال ولم يهتم بي أحد هكذا) .. حركت كرسيها قليلاً نحو الأمام .. قالت له وهو ما يزال غير مجيب على تساؤلها :

- اتذكر تلك الحجرة التي غطاها السواد و الزهرة الصغيرة اللتين كانتا على ضفة النهر؟! .. (كان الخريف في بدايته حين كنا معا من على ضفة النهر يتطلعان بصمت نحو غروب الشمس . أرتته (ثقري) حجرا مسودا موجودا على اليابسية أستطاعت بصعوبة ان تقلها إلى جانب الأحجار الصغيرة الملمساء في مياه النهر غير العميق . وحين نهضا أرتته مرة أخرى الحجر نفسه الذي لم يكن على حالته السابقة . وفي يوم آخر قاما معاً بحفر مجريين رفيفين لزهرة صغيرة تراكمت عليها الأشنات فصفى مياهها بعد برهة ...) .

- أنها في ذاكرتي .. نعم أتذكرها .

- حسنا لكي تثبت أنك موجود يجب عليك ان تشترك في الحياة والأ متصبح اسود مثل الحجر ، ومثل الزهرة . سوف .. (لم تكمل حديثها ولكنها أفهمته مقصدها بضحكة ذات مغزى ثم نهضت و جلبت له باقة الزهور) .. ضع هذه داخل مزهرية و بجانب الصورة التي في داخل الأطار ضعها و منعطي غدا لك واحد من الآخرين زهرة ...

ظل بعد ذهابها ينتظر على عتبة الباب حتى اختلط صوت قدميها بأصوات الشارع ، بعدها أغلق الباب ولأكثر من مرة دار تردد صدى كلماتها و ضحكاتنا .. ظل فترة من الوقت يفكر في حياته حول نفسه . سحب بعمق شهيقاً مملوء بالفرح و الغبطة وفي ذهنيته الجديدة هذه ، ثم تحرك بعدها نحو الشباك ... ها هو الليل قد مضى أكثر من نصفه ، وها هو المسكون خيم على الشارع و أنقطعت نداءات الباعة فيه ولم تعد تسمع فيه أصوات السيارات ولأ أحاديث السابلة ما عدا ذلك الصوت الذي كان يصدر أحيانا من صافرة الحارس الليلي و طقطقة حذائه الذي كان يوقظ الشارع من صمته .

في مثل هذا الوقت من تلك الليالي التي لم يكن قد تعرف فيها بعد على (ثقري) كان يقدر هدوئه واتزانه ، وكان يتصور أن سقفرقته ينخفض مما يضطر بعدها إلى أن يحمل همومه على كتفه سائراً بها في الشوارع المقفرة .. كان ليله يطول ولأ ينتهي و يصبح كالمارد ، وكان الوقت معها يتوقف لديه عن الحركة ..

نظر من الشباك نحو الأسفل فوجد الشارع بلا أي صوت ، وامتددا كالتنين يصخي السمع للمدينة ، وكان المطر الخيف الهائل على الشارع أدى إلى أن يبدو بلاطه أكثر سواداً ..

ردد مع نفسه بصوت منخفض إحدى أغاني فترة طفولته .. تلك الأغنية التي كان شباب قرينته يرددونها رغم تعب يومهم المضمن بصوت مرتفع قرب مشارف القرية عند رجوعهم مساء من الحصاد ، ليبلغوا بها نبأ عودتهم لخطيباتهم و صديقاتهم اللواتي كن في تلك اللحظات أنا يقمن بحلب المشية أو يرجعن من التربة حاملات جرار الماء .

تذكر أنني لم يغن منذ مدة ، ثم أغلق الشباك و أدار زوجه نحو جدخل الغرفة .. ترسخ نظره على الكرسي الذي كانت (ثقري) جالسة عليه قبل اللحظات ، وظهرت له من فوقه زهرة ندية ، فتمنى لو أن الروضة تظل مستمرة يزوها أما عينيه .

ثبت كفيه على الجدار وأرتكز بثقل جسده عليهما مطاطناً رأسه بينهما .. حدث نفسه متمنياً :

(ليت صديقي (كؤضقر) قد عرفني بك قبل الآن) .. ظهرت له من داخل صمته ذكرى ذلك اليوم الذي عرفه فيه (كؤضقر) على (ثقري) ... كان الوقت عصر يوم خريفي ، وكان هو و (كؤضقر) يحمل كل منهما جريدة بيده .. سأله (كؤضقر) عندما أمسك بكتفه من الخلف .
- ما بك !.. كأنك فقدت شيئاً و تبحث عنه ؟

أردت أن أقول له مباشرة في اللحظة التي التقت نظراتي به :
(ان الذي أبحث عنه هو ذا قد وجدته).. لكني لم أستطع أن أتفوه بذلك ، وأستطعت فقط أن أسمعها بعض الضحكات المتقطعة .. أنقذني (كؤضقر) من مأزقي حين قال : ثقري .. ثقري كريم .

أنتلبتني القشعريرة حين أستقرت يدها في يدي لمدة من الوقت .. وكانت نظرات عينيهما الجميلتين كذاذ المطر يسقط علي .
شعرت في تلك الليلة ولأول مرة أن سقف غرفتي غير منخفض ، وتراعت لي فيها حتى الفجر احلام جميلة .

في اليوم التالي وجدتها لوحدها ، فاتحدرنا معاً نسير في الشارع .. كنتُ أتمنى لو ان الشارع يطول اكثر بحيث لاينتهي امتداده .. قالت:

_ طيب حدثني عن نفسك

_ منذ الطفولة احرقني لهيب گرميان ولأول مرة اشعر وكأني أستنشق عطر الربيع

_ أنا أقول حدثني عن نفسك !

_ أنا في جزيرة قاحلة وأنت ذلك القارب الصغير الذي يأخذني نحو الأماكن
المأهولة

_ أيرحك هذا المكان؟

_ لقد ولدت مرتين في حياتي وكنت ولادتي الثانية عندما تعرفت عليك .
_ لقد تحدث لي (كوضئتر) كثيرا عن صمتك وعزلتك ... أ يوجد انسان اخر في
... ؟

بعدها غطى الضباب تلك الزهرة التي فوق الكرسي ، وتحول الضباب إلى
عاصفة عصفت بالزهرة إلى نهر آخر وأتجه بها نحو أيام الطفولة . ومن يومها
ولهذه اللحظة كان الطريق طويلاً ومظلماً وجد فيه أية بلزقة امل فأنها خافته لا
يستطيع أن يميزها .

خطا نحو الكرسي كطفل يتعلم المشي لأول وهلة ، ثم مد رجله لغاية قبالة
الصورة التي ي داخل الأطار ، الأ أن النهر كان قد أبعد رجله عن الأرض ...
(هو ذا الشخص الذي كنتُ تقصدينه والذي تحدثت لك عنه فيما بعد بالتفصيل
... كنتُ قبل أن أعرفك أبوح له فقط بأسرار قلبي حيث كان يخفف من همومه
بحيث يجعله منشرحاً كما كان عليه في فترة طفولتي .. كنتُ حين أجلس أمامه
تتوارد علي الذكريات تحرمني من مقدرة السير و ترجع بصوتي نحو أعماقي
لتنحصر بعدها هناك .

لم أستطع أبداً أن أمسك بلحظاتي السعيدة ... وكانت ذكريات الألعاب الجميلة
في الأزقة الترابية لقريتي الكرمائية مثل فلم غير محمض تبدو غير واضحة
ومتشابكة و سريعة الجريان ، فكنتُ بعدها أغوص فيها .. كنتُ كلها تثير الحرقرة
ي الكبد تتصل على التوالي مع بعضها الآخر ... أردت في البداية أن أنجو منها
حيث كنتُ أقوم برميها في نهر ، ولكنها بالذات كانت تبتلعني .. حاولت ان
اضعها تحت صخرة ، ولكن كنتُ ارى نفسي انسحق تحتها .. قمت بأضرار
النار يها مع ذخيرة إحدى بيوت سفح الجبل ، لكني كنتُ أجدها تقوم بأحراقني ..
رمىت بها في ربح عاتية ، الأ أنها كانت تتساقط فوق راسي كاتين الناعم ...

لم يبق لي من تلك الأيام إلا العزلة والأحلام .. ولأزلت حتى الآن انتفض مرتعبا من كل صوت يرتفع فجأة .. لن أنسى صوت صراخ والدي حين وقف بغضب فوق رأسي خاطبني وبيده عود طري وأنا متكور تحت قدمه :

ماذا تتفع ؟ .. أنظر لأطفال الناس وأنظر إلى نفسك ... (بعدها كنت أتمنى العثور على زاوية ما لأختبئ فيها) ..

كنت أبتعد عن الأطفال حتى حلول مغيب الشمس ، حيث كانت والدتي ترجع عنده من حقل الحصاد .. كنت تضع رأسي في حضنها ، وكانت رائحة الحقل و عرقها المتيبس يبخر همومي ... كان تمسيد يدها على رأسي يتحول إلى مرهم يطيب آثار يد والدي .. حين كنت والدتي على قيد الحياة كنت ارتدي في كل عيد ثوبا جديدا ، وكنت أنا أيضا مع أطفال القرية ألعب بفرح فوق قضبان سكة الحديد وقرب المزار القريب من قرينتنا . ولكن حين غطت ثيابها بالحزن (والذي عرفت فيما بعد لم فعلت ذلك) واطبقت بشفتيها لم استمر في زهي المسابق مع الأطفال ، بل كنت فقط أتطلع إليهم في الأعياد من فوق كوخنا وأجعل من يدي مظلة فوق عيني وأنظر من تحتها إليهم ..

بعد تلك الفترة ، وكتابة لأتقرأ مكتوبة على جدار و ممسوحة بالأصباغ ، لأتذكر أشياء أخرى ، لكن البعض منها ، مثل أشباح خلف ستار ، تمر أحيانا في مخيلتي .. أتذكر والدتي تبكي في الليالي ، وأنا أصغي لنشيجها من تحت البرجد ، فأبدأ معها بالبكاء .. وأتذكر نفاذ الطحين لدينا وقيام الخالة (نةخشين) بأعطائي خبزا في كل يوم ... واتذكر أيضا .. أبتعاد والدي عن القرية ... السيارة .. والدتي تتوسل .. صديقي (بايز) توفي .. دم .. خبات نفسي .. رجعا .. شيدنا دارا جديدا .. لكنني لن أنسى تلك الليلة الليلء التي كانت والدتي فيها ممددة كشجرة دلب مقطوعة .. قربوني منها فبدأت هي بتقبيلي ، وما أن كادت تقفح فمها حتى أرتفع الصراخ ، وما زالت أعصابي تنكمش حتى الآن وتمتلئ عيوني بالدموع حين أسمع صراخ امرأة .

نمت لياتها في بيت خالتي ، ولم يمض وقت طويت حتى قمنا برزم أثاث و حاجيات بيتنا ، لكن مبتغاي كان فقط صورة والدتي التي وضعتها خالتي ي داخل إطار .. أستقر بنا الحال بعدها داخل غرفة طينية في إحدى المدن . أصبحت هائماً بالصورة وكنت أقضي أغلب أوقاتي أمامها ، وبمرور الزمن كان ثوب حزنها يتسع أما عيني في داخل إطارها ... رويداً رويداً تعودت على الخروج من بيتنا الطيني إلى الأزقة و المحلات الأخرى من المدينة ، فرأيت عدم وجود أي فرق بينها و بين الأزقة الترابية لقربتنا ، وشعرت بأنني أميل شيئاً فشيئاً لتلك العجائز المتشحات بالسواد اللواتي كن يحتضن أرجلهن حين يجلسن على عتبات أبواب منازلهن .. كن يشبهن والدتي التي حينما أرفع الأطار عنها أراهن مثلها ، لذا كنت في مخيلتي أجعل من الأبواب أطاراً لهن .. كن يحدقن النظر في الأشخاص ، ومن بصيص عيونهن الغائرة في محاجرها يبيدن و كأنهن ينتظرن شخصاً ما .. كن يعرفن أشخاصهن لذا لم تكن المفاجأة تبدر منهن بمقدم غيرهم ، ولا تنبس شفاههن بأية كلمة .. أولئك العجائز أصبحن مثل صورة والدتي مثار أهتمامي و سلوتي .. كانت اعدادهن تزداد باستمرار ، ولم يكن هناك من يلتفت إليهن أن يتحدث معهن .. لكنني حين كنت أراهن أنظر إليهن بعين ملؤها الاحترام و المحبة .. أه كم أحبكن يا عجائز بلدي .. كنت أرى حتى في الأزقات هذه النقاط السوداء ، لذا فأن كل شيء أمام عيني قد أكتسى لون ثيابهن .. ولكن حين تعرفت عليك يا (ثقري) بدأت الجوانب السعيدة في ذكرياتي بالظهور ..

قبل لحظات حين أستقرت يدك في يدي شعرت بأنها يد والدتي وانها ستقوم بتطبيب آثار يد دهري .. وحين اضع رأسي على صدرك فأن المشاهد السريعة تتبأطاً و تذكرتي برائحة حضن والدتي بعد رجوعها من الحقل ، حيث كنت أنسى في حضنها أحزان ذلك اليوم .. وحين أشم عطر شعرك فأنها تذكرتي بالرحة الطيبة لتلك اللحظات السعيدة في طفولتي حين كنت أخلع ملابسني عن جسدي المترهل ثم أسبح في المساقية الصغيرة ، وحين أخرج منها أتمدد على التراب الملتهب لقرار الطريق و جسدي ما يزال تنهمر عليه قطرات الماء .. أنك

يا (ثثري) تعلميني في كل لقاء لنا شيئاً جديداً ، فعيناك أنباتاني أنه توجد فضلاً عن لون ثياب والدتي ، ألوان أخرى .. لقد رسخت لدي ضرورة مشاركتي أنا أيضاً في الحياة .

في هذا المساء حين أعطيتني باقة الزهور قلت لي : (ضع هذه داخ مزهرية و بجانب الصورة التي في داخل الأطار ضعها ، وسنعطي لكل من الآخرين زهرة) ... ها آنذا أنهض وأنفذ أمرك .

نهض من على الكرسي ووضع زهرة في داخل مزهرية ثم وضعها بجانب الأطار ، فشر أن كل اشياء يومه هذا لأ تشبه ما كان في أمس .. خاطب نفسه قائلاً : (ليتني تعرفت عليك قبل الآن) ... بعدها بدأ بترديم تلك الأغنية التي كان أهالي قريته يرددونها خلال عودتهم من الحقل .

المأزق
اسماعيل رسول
ترجمة: حسن جاف

لم يكن نور الفجر قد أضاءت ظلمات الليل بعد، وكان هو مازال غارقاً في نومه يشخر ، والحلم الذي رآه طول الليل يحرك مشاعره وأحاسيسه بطرق شتى، إذ تجسد كل أمال وأمني طفولته التعيسة وتحولت الى عدة صور متحركة وناطقة ، كان ينظر الى الصور بقلبه وأنفاسه الصاخنة ، إلا انه لم يمض عليه وقت طويل حتى استعاد وعيه وتناثر حلمه وضاعت تلك الصور من أمام عينيه وتحولت الى صوت أجش وأفاهه من نومه .

- قم يا ولدي ، قم اسرع وغير ملابسك حتى لا تتأخر.

ازاح اللحاف الممزق من فوق جسده وحك عينيه ونظر الى جانيه ، كان أخوه الصغير ممتدداً عند أمه وكنا في عز النوم .

تجول بعينيه في ارجاء الغرفة الضيقة المظلمة، والذي كانوا قد أجروه من عبدالله الدلال ووضعوا فيها أغراضهم فوق بعضها البعض، كان هناك صندوق يوضع فيه الملابس وفي النهار كانوا يضعون فوقه أشياء أخرى.

وفي زاوية من الغرفة كان هناك صحن وقدر أسود للطهي، إضافة الى أشياء أخرى متناثرة هنا وهناك في أرجاء الغرفة تلك والتي كانت غرفة النوم والمطبخ والأكل وأحياناً غسل الملابس.

أسرع بتغيير ملابسه التي كانت ممزقة ومتهرئة ولم تكن تتفع لأي شيء غير عمله الذي كان يسرع في الذهاب إليه ، لم يتناول شيئاً لأنه لم يجد أي شيء جاهز كي يأكلها فزوجة أبيه كانت لا تزال نائمة، ووجد قطعة خبز متييسة ووضعها في كيس ورقي وخرج من الدار غاضباً ، وكانت ذكرياته المتلازمة تتزاحم في رأسه وفحه بقوة .

أغلق الباب وركله بقوة وأخذ يكلم نفسه .

- اللعنة على هذه الحياة

كان شارع المدينة الكبير خالياً ومن بعيد كان هناك حطابون يمشون خلف حميرهم الذين أنهكهم أحمالهم الثقيلة متوجهين نحو ميدان المدينة كي يبيعوا احمالهم من الحطب ويشترروا بأثمانها قليلاً من الشاي والسكر وبضائع أخرى يحتاجون إليها.

لم يكونوا أحسن حالاً منه ، بملابسهم الممزقة ، إلتفت إليهم ونظر إليهم بدقة
وكانه يريد أن يقارن بينهم وبين نفسه وقال لنفسه

- يبدو أن هناك الكثير ممن هم أسوء حالاً مني. في تلك اللحظة حيث كان يحدث
الخطى مسرعاً و مضت أفكار وخيالات بسرعة البرق في رأسه بحيث لم يكن
يستطيع أن يلتقط أيأ منها.

- صحيح ، ان هؤلاء مثلي أشقياء ويتعبون ، ولكن كم هم أقوياء ولا مبالون ،
ياترى هل خلقهم اللهم لمثل هذه الحياة.

لا يتوقفون عن الحديث والتدخين ، بل أن البعض منهم يرتفع صوته مغنياً
(الحيوان) ، هل تراهم راضون بحياتهم هذه ، لأنهم وعندما يأتون الى المدينة
يبدو في سيمائهم ملامح الرضا والسعادة.

على طول السنة الدراسية كان يرى أصدقائه يدخلون (الحاتوت) المدرسي
يشترون أشياء ويشربون أشياء ، أما هو فلم يجد أبداً في جيبه ما يجعله يدخل
الحاتوت لماذا؟ الست تراه يأتي يومياً الى المدرسة مشياً على الأقدام ، وحتى
يصل المدرسة يكون قد أنهكه التعب، ورغم كل هذا لم يتأخر أبداً عن الدوام
سوى مرة واحدة وكانت مكافأة تلك المرة صفعات حارة من استاذة القلمي
والذي لا يزال حتى الآن يتذكره بالأم.

كثيراً ماكان يتحسر عندما كان يرى أصدقائه يلبسون ملابس جديدة وجيدة
أما هو فأنه يتجرع آلام اليتيم والفقير .

ولكنه كان هادئاً ، ذكياً في الدروس وحقق بذكائه درجات عالية أعلى مما
كان أصدقائه يحققون ، وكان هذا بلسماً له يواسي بها نفسه وينتقم بها لأحواله
السيئة لم يكن يملك غرفة ولا كهرباء يضيء له ضلمات الدار كما لم يكن هناك
مدفئة تدفئ له الدار في النهار كان يهرب من ظلام الغرفة ويصعد الى السطح
كي يدرس ، أو كان يذهب الى أطراف المدينة لنفس الغرض كان يردد دروسه
كالبيغاء وبصوت عالٍ ، وفي الليالي كان يجلس الى الضوء الأصفر الخافت
للفاتوس النفطى قارئاً كتب و دفاتر المدرسة ، كان في أعماق نفسه يشعر

بتطوره وذكائه وبتفاخر به ، وكان يرى في الصمت دنيا مليئة بالأحلام والآمال
هذا على الرغم من أن عمره لم يتجاوز الرابعة عشرة .
كثيراً ما كان يرن في أذنيه كلام أستاذه :

- يا ولدي ، ستكون رجلاً كبيراً ، إنني أرى في جبينك وعمق ملاحظتي لك هذا
الأمر في كل مرة وعندما كان يتذكر تلك الأوقات كان يفرح كثيراً ويمتليء
أعماقه بالأمان والثقة بالنفس ، ربما كان تشجيع استاذه السبب في أن ينهي
مرحلة الدراسة الابتدائية بتفوق ويبدأ مرحلة جديدة من الدراسة هكذا كانت
صور وأحداث الماضي يشغل خيال ديمن ، وكان عندما يجول في شارع
المدينة لا يهدأ ويملاً الخوف والتردد أعماقه ويشغل تفكيره العمل الذي كان
يروم القيام به... نعم يجب في عطلة الصيف هذه والتي هي ليست عطلة الراحة
والدراسة أن أعمل عاملاً ، لماذا ألم يكن ينبغي أن أرتاح بعد كل هذا التعب
وسهر الليالي أليس من حقي أن أشعر بالسعادة ولو قليلاً .
ان اصدقائي اسعد مني بكثير فهم ينامون في فراش دافئ ناعم... آه كم أحب
النوم الصباحي .

أيه ... أيه ... كامران ودلشاد وابائهما هم من الأغنياء ويسافرون في الصيف
للراحة والاستجمام ، وعندما ينجحون في الامتحانات نالوا الكثير من الهدايا
الجميلة عداي أنا... أنا،،، سكت لوهلة ثم تمنع في حذائه القديم والملابس
المتهترئة التي يلبسها وتنفس بحمسة وبعشق كما انحدرت دموع من عيونته
لتسير عبر خدوده .

- عداي أنا ! أنا يجب أن أعمل في الطين لأحصل على بضعة دراهم أعطيته
لوالدي ، ناه ، ذلك العمل الملعون ، كم هو صعب وشاق ، لا أصدق أبداً أن
أتمكن من حمل طاسات الطين على كتفي الهزيل هذه ، من الصباح الباكر
وحتى المساء ، والله ليس هذا العمل هو عملي ولن أتمكن من أدائه ، كلها ذنب
والدي ، إنه رجل قاس ، منذ أن كان عمري سبع سنوات وحتى الآن يرسلني
كل صيف للعمل ، عندما كنا في القرية كان يتحتم علي أن أطلب حماراً من
الجيران لكي أحمل عليه الحبوب الى المطحنة البعيدة ، كان يجب أن أحرث

الأرض ، أو أجلب الماء من الجدول البعيد الى كوخنا الطيني، على طول العام الماضي كنت أنقل السماد من القرية الى البستان الذي حرثته بنفسي وقمت برش البذور فيه ، وفي الصف الخامس نجحت بدرجة جيدة ، إلا أنه لم يكافئني بأي شيء ، ربما إذا حسبنا العمل في الطين مكافأة .

تعبت كثيراً ..ولكن كان جيداً كم من الليالي سهرت في القرية ، وكم احتضنت الرقي وأنا أتحدث إليه وكأني اداعب طفلاً عزيزاً ... وأحياناً كنت أرفع صوتي : هوو...هوو

حتى أخيف الثعالب والدببة لأنهم كانوا يهاجمون كثيراً البستان ويخربانها ، كم كنت أسعد عندما أرى الأرض الخضراء وأفخر وأنا أقول لنفسي هذا كله من صنع يدي أنا.

أنستني هذه المناظر الخضراء الضرب المبرح الذي كل يضربني أبي اللعين ، الحق يقال انه ضربني بقسوة شديدة ... فماذا أفعل، عاتدني الحمار الذي كنت أنقل عليه السماد ووقف في مكانه ولم يخطو خطوة واحدة لذا قمت بضربه حتى أدميته ، اذ ذاك أخذ يسرع الخطى هارباً ورمى الحمل الذي كان على ظهره.

مهما يكن كنت أعد هذا العمل أحسن من العمل في الطين وأسهل ، في البستان لم يكن هناك من يأمرني سوى والدي ، أما اليوم فأن أقع تحت رحمة (الأسطى) وهو يتعبنى ويسلبني الحرية التي كنت أتمتع بها في البستان .

لم يعرف كيف وصل الى الميدان الذي كان يتجمع فيها العمال ، كان هناك عمال مقتولي العضلات و أقوياء وأخرون صفر الوجوه ونحيلون وكأهم لم يأكلوا شيئاً منذ مدة طويلة ، كما أنه رأى أولاداً في مثل عمره ، كانت ثيابهم الممزقة ملطخة بالطين المتيبس ، إلا أنه لم يلاحظ في عين أي منهم الخوف والتردد الذي كان ينعكس في عينيه هو ، مم يخافو ربما من ألا يأتيهم الدور للعمل في هذا اليوم كان (الأسطوات) يتجولون وسط هذا الحشد بغرور بالغ وهم يختارون من يأخذونه للعمل كانوا يختارون من كانوا أقوياء أو من كان

(الاسطوانات) يعرفونهم ، أو من أوصى بهم أحد لذا كنت ترى أولئك العمال بقلب قوي مليء بالثقة دون أن يرتبكوا ينتظرون أن يختارهم (الأسطوانات).

احترار كثيراً من هذا المنظر ، هاهم العمال يتدافعون ويتنافسون للذهاب الى العمل في هذا اليوم وكأنهم ذاهبون الى النزهة ، ولم لا؟ ربما لم يكن ذلك العمل بالصعوبة التي يفهمها هو ، وقف في مقترق طريق ، ثم أختلط بهم ولكنه أحس بثقل كبير يخيم على صدره ويكاد يقطع أنفاسه ، لم يكن معتاداً على هذه الأمكنة والأعمال ، في كل مرة كان تأمل الملابس المغطاة بالطين لهؤلاء الناس، سرى في جسده تيار بارد وأحس بالخجل وقال لنفسه .

- لو رأي أحد أصدقائي الطلاب وأنا أحمل صحناً من الطين بوجهه وملابس قذرة ، كيف كان ينظر إلي ؟ أه كم هي سيئة تصرفات أولاد الأغنياء ، بأية نظرة متعالية مغرورة ينظرون إلينا ، يتفاخرون أمامنا بغنى آبائهم وكأنهم مصابون بمرض الجوع ... يسرعون الى حثوت المدرسة ويأكلون ما يشترونه أمام أعيننا ونحن ننظر إليهم، انهم ينظرون إلينا بلا مبالاة وكأنهم سعداء بفقرتنا ، ناه ... لا أدري لم خلق والذي فقيراً؟ لم لم يستطع أن يكون غنياً؟

كانت هذه الخيالات تمر في رأسه ، فيما كان واقفاً في مكانه كالصنم بلا حركة ينظر بعين حيرى مرة الى الأسطوانات وأخرى الى العمال ، انتظر كثيراً فلم يؤثر له أحد ولم يكن يمتلك الشجاعة أو الدراية كي يتنافس مع الآخرين أو أن يطلب العمل.

لم يمض وقت طويل حتى فرغ الميدان تماماً كان قسماً منهم يتبعون الاسطوانات ، كي يمضوا يوماً شاقاً آخر ، آخرون لم يسعفهم الحظ ، فعادوا أدرأجهم بقلب كسير ووجه عابس .

أما هو فقد فرح قلبه وولى التردد و الخوف من على وجهه وكأنه تمكن من الخلاص من مأزق خطير.

المجز

إسماعيل روژبياني

ترجمة: محمد صابر محمود

بالرغم من كونه قد تجاوز مرحلة الشباب . وغدا كهلاً ، تهب على سنوات عمره رياح الخريف . لكنه ما يزال يصارع ثقل السنين . ويأبى الأستسلام لاعتباها .

كان من أمهر الجزازين ، وأبرعهم ، وأطولهم باعاً في معرفة دقائق هذه الحرفة ، لدرجة أطبقت شهرته أفلق المنطقة من أقصاها إلى أقصاها . لم يكن يدانيه أحد في عملية الجز التي يتولاها هو .. إذ أنه كان ينتهي من جزّ صوف الشاة التي بين يديه ، في غمضة عين من دون أن يسبب لها أي أذى ، أو يترك على جسدها أثراً لجرح ، حتى لو كان بقدر قلامة جناح فراشة ، ما أن يطل أول يوم تتفتق فيه أكمام النرجس الغض في أنحاء كردستان ، وترتدي الجبال ، والروابي ، والسهول والبراري ، وأغوار الوديان من زهورها حلاً قشبية ، وتختال مزهوة تحت برقعها البيض حتى كان أصحاب المواشي . وقطعان الأغنام ، يهرعون إليه ، من كل حدب وصوب .. يطرقون عليه الباب تباعاً ، عارضين عليه طلباتهم مثلهم في ذلك مثل الزائرين الذين يطرقون الأبواب في زماننا هذا ، دون موعد مسبق .

تلك السنة ، وأبان موعد جزّ القطيع العائد لنا ، صادف أن كنت موجوداً في البيت ، كان العم محمود ومعه شخص آخر منمكنين كليهما في عملية جزّ الصوف . وقد شمر كل منهما عن ساعديه .

أما أنا . فقد كنت أمعن النظر في الآثار التي خلقتها جروح قديمة على يديه ، بلهفة وشوق شديدين . مهما حاولت . أن أتمالك أخفاء فضولي ألا أنني لم أستطع .. لذا بادرت به :

- أيها العم محمود . هل لي أن أسالك عن أسباب هذه الجروح القديمة التي تبدو أثارها على يديك ؟
 - يا بني ، أن لهذه الجروح حكاية طويلة .
 - بربك ، لو أسمعتني أياها .
 - لا تستعجل ، سوف أوريها لك ، حالما نأخذ قسطاً من الراحة .
- بعد الغداء ، حدثني قائلاً :

(لست مبالغاً ولا متباهياً بنفسي ، فيما إذا قلت لك بأنني - فيما مضى - كنت من أشجع قتيان القرية ، وأكثرهم نشاطاً ، وحيوية ، لدرجة ، كان الأسد على قوته وجبروته ، يحسب لي ألف حساب . لم أكن أخطو خطوة واحدة ، من دون أن أكون مدججاً بسلاحي . وفي الوقت نفسه ، كنت من أخلص رجال قريتنا ربما يساوركم الشك ، فيما أقول ، ولكن إذا أعزكم الدليل ، على صدق ما أقول ، فها هي ذي الجدة (هه مين) ، وهي ما زالت على قيد الحياة ، فأذهبوا إليها بأنفسكم ، لتسألوها) ، رغبة مني في مواصلة حديثه ، قلت ملاطفاً :

• من يدري ؟ ربما كنت يوماً خطيبتك .
- ما هذا الذي تقوله ، يا هذا ؟ ! .. أنها في ذلك الوقت كانت أم ، وأبنها (نوري) كان شاباً .

أخذ نفساً عميقاً من سيجارته ، ومن ثم تابع حديثه :قريتنا كانت واقعة على جانب سفح جبل (هه بلوكه ره شه) . عند نهايتها ، وعلى بعد عدة فراسخ ، كانت ثمة غابة كثيفة ، تهيمن هيمنة تامة ، على الطريق الرئيسي المؤدي إلى القرية ، وقد أحالته إلى دليل للصوص ، وإشراق الناس ، وبؤرة تؤمها الضواري ، والحيوانات المقترسة ، على أختلاف أنواعها .. في ذلك المكان بعينه ، كان قد ظهر إلى الوجود ذئب ، نغص علينا العيش . وسبب لنا خوفاً ، وقلقاً دائمين ، على حياتنا ، وحياة مواشينا ، ولقد أقترس امرأة وطفلاً .. مما أدخل في روع الناس . أنه سوف يتلقفهم واحداً . تلو الآخر ، يوماً بعد يوم ، حيث يلقون نفس المصير الذي لقيته تلك المرأة وطفلها مساء أحد الأيام ، تهيأت للذهاب بنفسي إلى الغابة . فسألني والدي :

• محمود ، يا ولدي إلى أين أنت ذاهب ؟
في نيتي الذهاب إلى الغابة كيما أقتل ذلك الذئب
• محمود يا بني ، مالك ، ولهذا الأمر ؟
- أبته ، لو تنصّل كل واحد من القيام بهذه المهمة ، بحجة الحفاظ على حياته ، لآل بنا الأمر إلى ما لا تحمد عقباه . ولما جنينا من وراء أتخاذنا لمثل هذا الموقف ، سوى الندم . وهل ينفع الندم بعد فوات الأوان ؟

- أنا معك ، فيما ذهبت إليه .. ولكن لا تذهب بمفردك .
- لقد فاتحت كل أولئك الذين تعنيهم . وتثق بهم . وأخبرتهم بالأمر واحداً . واحداً ، بيد أنهم جميعاً ، أعتذروا . ولم يبدوا أي استعداد لمعاونتي .
- أذن ، ما رأيك لو رافقتك ؟
- في هذا لن أوافقك .
- أذن أذهب ، فليكن الله في عونك .

وهكذا يا صاحبي ، ملأت مخزن بندقيتي، ورصعت مقبض خنجري الدبّان ،الذي أتمنطق به، بجعبتين من (الخراطيش) ، مثبتاً أيهما بصورة متعاكسة ، ومن ثم توكلت على الله .. وصلت إلى الغابة .. ما أن خطوت بضع خطوات ، حتى تناهى إلى سمعي صوت (خشخشة) .. وأذ استدرت ، شاهدت الذئب ، وهو على مقربة مني، يا له من ذئب !!.. قسماً بالكعبة التي حجّ (إليها) أبوك ، كان في مثل ضخامة جحش عمره سنتان !!.. صوّبت إليه البندقية ، فأطلقت عليه عدة عيارات نارية.. تواري عن ناظري .. لم أكن قد أبتعدت عن مكاني ، حتى لاحظته وقد ظهر عن يساري ، فأطلقت عليه ثلاث إطلاقات أخرى . أختفى عن ناظري ثانية .. أسندت ظهري إلى جذع شجرة ، كي أتمكن من مباغتته . لكنني فوجئت به وهو يثب عليّ من الخلف . دون أن يدع لي أي مجال لكي أفتح عليه النار ، فأستطاع أن يفتح في عدة مواضع من جسمي جروحاً بالغة .. من شدة الجرح الذي استبد بي ، أدخلت ساعدي هذا الذي تراه بعينيك في حلقه ، وبيدي الأخرى أمسكت بخناقه بقوة .. ولكن يا صاحبي ، كما هو معلوم لديك ، أنه ليس في وسع المرء أن يعمل شيئاً بيد واحدة !! لذا فقد تمكن الذئب مني وأستطاع أن يتغلب عليّ ، فقطع بأنيابه يدي هذه و (فرمها) بكاملها ، كما يفرم اللحم .. وما أن أنتهى من ذلك ، حتى غرز أنيابه في جلدة بطني ، فمزق جانباً منها .. من شدة الألم الذي برّح بي ، مددت يدي إلى موضع الجرح ، فجاءت على مقبض خنجري . إلى الآن ، أنا بنفسى أجهل سر تلك القوة الخفية التي أنصبت في عروقي !! ..

حشدت كل ما يختزنه جسدي من طاقة ، وما في عقلي من وعي ، وأدراك
لأجل توجيه الضربة القاضية إليه !! .

كان الذئب (يتخبط في) دمانه ، ويعاني سكرات الموت ، عندما وصل
والدي إلى مسرح الحادث .

• وبعد ؟

- واذا فتحت عيني ، شاهدت (محيي الدين) الطبيب ، وهو منهمك في
معالجاتي ، وتضميد جروحي ، والشوقت قد قارب الظهر .

الهامش

الدكتور (محيي الدين) ، كما كان يسمى هو في الأصل مضمّد ماهر ، ذو دراية ن في
مداواة الجروح ، وتضميدها ومعالجتها .. كان له دور بارز إبان الستينات ، والسبعينات من
هذا القرن . في معالجة سكان الأرياف .. وما زال على قيد الحياة ، حيث يسكن محلة (رحيم
ناوا) في كركوك .

الرجل القصير

اسماعيل هاجاني
ترجمة: سامي الحاج

منذ ايام والكلاب لا تجرؤ على النباح في الازقة، ولا الحمير في قطع حيوانات القرية تنهق ولا الاطفال يبكون في مهادهم ولا الرعيان يصقرون ولا اغنامهم الصغيرة تهز إلياتها، حتى ما القرية يخاف ارتقاء السلام سطح الجامع ليؤذن في الناس ... الكل يخاف، يخاف.

كل ذلك بسبب الانين الصادر ليلاً عن المقبرة. كان البعض يقسم بحياة آبائهم، البعض الآخر يقسم بأسم الله فيما كان بعضهم يحلف بمقام الشيخ بأن النور يشع من قبر الرجل القصير في امسيات ايام الجمعة.

توقفت الحياة في القرية .. الاطفال نسوا (ابجد، هوز) وما عادوا يجراون على الذهاب الى الجامع حيث اعتاد الملا هز عصاه في وجوههم، كان الجميع قد قبعوا في بيوتهم، عدا (زرو) التي كانت الوحيدة التي تخرج من بيتها وتذهب الى نبع القرية وتشعل التنور في بيتها، لم تكن لتخشى المقبرة أو النور الذي كان ينبعث من قبر الرجل القصير ولا حتى أنين الموتى.. لم تكن تخشى ذلك كله.

بعد ثلاثة اسابيع من موت الرجل القصير، كانت زرو تخرج وحيدة ليلة كل جمعة الى مقبرة القرية لتزور قبر زوجها، دون دموع ولا لطم.. دون سكاكر أو حلويات، فقط كانت تحمل طاسة تحت ثيابها.

دبت النار تحت قدمي (حلي):

-ايتها البائسة، ألا تخافين؟! هل تراك تملكين قلب أسد! اهالي القرية كلهم قد كركوا في بيوتهم!؟

- وماذا يمكن لشخص ميت ان يفعل حتى تخافوا منه بهذا الشكل؟ لو كان في مقدورهم ان يفعلوا شيئاً لماذا ماتوا إذن؟

يا ويلك! ما القرية لم يعد يجرؤ على الذهاب الى الجامع ليؤذن! الجميع يقولون بان شاهدة قبر الرجل القصير قد اخضرّ لونها، فقط الاشخاص المقربون الى الله يموتون في ايام خاصة، ألم تري يوم موته كيف كسفت الشمس؟ وهذا الانين الصادر عن المقبرة، كله من غضبه واستيائه... يقولون ان

هناك امرأ شنيعاً في القرية لهذا يتأوه هكذا! يارب، إن بعض الظن إثم ولكن البعض يقولون انه بسبب ذلك الكلب الاحمر (خَلُو) الشيوعي. وبيدها اليمنى هزت ثوب جيدها مرتين وثلاث وهي ترفع رأسها للسماء وتقول (غفرانك يا إلهي لا تؤاخذنا بما نقول. ربما كان ذلك بسبب الكلبة، أم الجراء السبعة، التي يهيم زوجها في هذه الدنيا الواسعة وهي تتبع الواحد بالآخر! كل اطفالها اولاد حرام!)

هزت ثوبها مرة اخرى وقالت:

-يقال على لسان الآخرين انها شائنة، فلان وفلان يقصدون فراشها!
ضحكت (زَرُو) وقالت وهي تشيح برأسها:
-ليتكم علمتم أي ماء يجري تحت التبن!....
ثم صممت.

اشعل هذا الكلام النار تحت قدمي (حَلِي) وما عادت تستطيع صبراً على السكوت، فلصقت بها كالذبقت.
قالت لها ضاحكة:

-ايتها العاهرة... اقسم انك تعرفين شيئاً لكنك تخفيه عنا.
-لا، اقسم بحياة ابني درويش أنني لا أعرف شيئاً، لكني متعجبة من أمر هؤلاء القرويين، منذ شهر وهم قد تعطلوا عن اعمالهم. باتوا كالدجاجات عندما تكرك في اقنانها.. الشتاء المظلم الطويل على الابواب ولا احد يذهب للحصاد أو المطاحن ولا الى حلب المائثية. هل سأجلب الماء لكل اهالي القرية لوحدتي؟ لقد شئت كتفاي وظهر حماري بهذا العمل، حتى ماء شربكم بات من جرارنا!
هذه الكلمات انتشرت كالنار في هشيم القرية، (زَرُو) تعرف شيئاً! كيف تجرؤ على الذهاب لوحدتها الى نبع القرية، وهل لها قلب اسد؟! البعض كانوا يقولون (يا اخي، انها زوجة الرجل القصير فلماذا تخلف؟) البعض الاخر كانوا يقولون (كلا، لا بد ان في هذا الامر سرّ ما .) (وهكذا تشجع القرويون للخروج من القرية لقضاء بعض اعمالهم لكنهم كانوا يتحاشون المرور بجانب المقبرة، حتى حل مساء العيد عندما اجتمعت بعض نساء القرية وقصدن المقبرة وهن يحملن

في ايديهن اكياس السكاكر والحلوى لتوزيعها على الاطفال.. لكنهن عدن بها كما هي لأن الاطفال لم يجروا على الذهاب الى القبور.
توجهت (حلي) بحذر بالغ نحو قبر الرجل القصير، رأت شاهدة قبره خضراء اللون.. جفلت، مائة مرة ذكرت اسم الله. لكنها ما أن اقتربت من القبر حتى تبينت ان شاهدته قد لطخت بروت البقر، عضت على شفتها وتراجعت الى الخلف بهدوء وهي تتمتم (انه الغضب من هذه الفعلة الشنعاء، ولهذا فاته ينن ليلاً!)

في طريق العودة ظلت تفكر، من تراه فعل ذلك بقبر الرجل القصير؟ وسرعان ما قالت (ليس هناك احد غيرها... الكلبة (زرو) لانها تذهب بعد كل النساء وحيدة عند الغروب لتزور القبر، تبقى هناك حتى يهبط الظلام، اقسم بالله انها هي الفاعلة. ولهذا السبب ايضا فاتها، يوم موته، لم تلطم صدرها ولم تشد شعرها.. نساء القرية ناحت على الرجل القصير اكثر منها.
تراجعت اربعة خطوات للخلف و اشارت بحركة اصابعها للنسوة ان يقتربن من القبر وقالت لهن هامسة:

-انظرن الى شاهدة قبره بماذا اخضر لونها! كل ذلك الانين بسبب الغضب من هذه الفعلة النكراء!

تحدثت نساء القرية بما رأينه مساء ذلك اليوم لأزواجهن، وعلم بذلك ملا القرية وكبار رجالها ايضا، اتفقوا على ابقاء الامر سرا بينهم ومراقبة المقبرة خلال الليالي القادمة لمعرفة من الذي يقوم بهذه الفعلة. في اول خميس، شاهد رجال المراقبة (زرو) تحمل فانوسها بعد الغروب وهي تتجه نحو المقبرة. وقفت عند شاهدة قبر زوجها وقالت (يا ابليس، يا حطب جهنم... كلها!) ثم دلقت طاسة ملأى بالروث فوق شاهدة القبر.

صاح الرجال بصوت واحد:

-لا تتحركي ايتها الكلبة!

تجمدت ركبنا (زرو) ووقفت في مكانها كالصنم. اندفعت جموع اهالي القرية نحو المقبرة.. بعضهم يحملون الفؤوس، وبعضهم المناجل، البعض الآخر

يحملون العصي وكانت (حلي) تهوول وراءهم وهي تحمل في يدها زجاجة مملوءة بالنفط وهي تصرخ:

توقفوا لا تفعلوا شيئاً بتلك العاهرة، سادخلها الجحيم فوق الارض.
بعد ان رأت زرو هذا المنظر اسرعت وارتمت خلف شاهدة قبر آغا القرية وقالت:

-إكراماً لصاحب هذه الشاهدة لا تقتلونني حتى اسرد لكم قصة الرجل القصير، بعدها انتم احرار فيما تفعلوه.

صاح ابن الأغا بصوت مرتفع:

توقفوا! إكراماً لشاهدة قبر الأغا، دعوها تقول ما لديها.

عادت الروح من جديد الى اوصال زرو، قالت:

- لا أستطيع قول كل شيء، لأنني لو فعلت فان الخراب سيحل بهذه القرية، فأنتم لا تعلمون ما الذي فعله هذا الابليس بي وبكم؟! قال لها القرويون:

- تكلمي، فما فعلتيه لم يفعله احد من قبلك، هذه الليلة سنقدمك قرباناً لشاهدة قبر الرجل القصير.

قال الملا:

توقفوا، قتل انسان خلافاً للشريعة خطأ عظيم. دعوها تقول ما تريد.

وهي واقفة تحت ظلال الفؤوس والمعاول والعصي التي تشكلت تحت ضياء القمر والنجوم، قالت زرو بصوت ذليل:

-قبل ان يموت بيومين او ثلاث كان مريضاً جداً، وكان كلما شاهدني يبكي كالاطفال وتنهمر الدموع من عينيه حتى تُخضل لحيته البيضاء، فاجلس عند رأسه امسح دموعه وأواسيه لكنه كان يجهش بالبكاء اكثر، حتى ذلك اليوم الذي كسفت فيه الشمس، دنت منيته. جلست عند رأسه ووضعت على ركبتي ورحت اقول له:

- درویش، انت انسان صالح، والصالحين لا يهابون الموت، بل انهم لا يصدقون متى توافيهم المنية ليدخلوا الجنة حيث تنتظرهم سبعون حورية وانهار

من العسل والخمرة. إذا كان أمثالكم يخافون من الموت فالويل إذن للمذنبين من أمثالنا. اخذ ينشج اكثر وانحلت عقدة لسانه اخيراً واخذ يصرخ بالقول ((يا أمة الله، انا لست درويشاً انا ابليس.. ابليس! فما فعلته طوال حياتي لم يفعله ابليس، وما اخشاه انني لم افعل في حياتي سوى ارتكاب المعاصي والذنوب وممارسة الحيلة والخداع.. لقد خدعتك انت وكل اهل هذه المنطقة بلحيتي السحرية الطويلة، انا في اسفل السافلين. ألا تتذكرين ماذا كانت العجوز (خَجُو) تقول لي كلما جاءت لزيارتنا؟ كانت تقول " يا وجه الشر، حتى قدومك الى هذه الدنيا لم يُشبهه ولادة بشر آخر، ولدت وانت جنين سبعة اشهر، جنّت وتسببت في موت امك الحسناء (زليخة) فريدة زمانها بين النساء. في تلك الليلة التي خُسف فيها القمر جاء المسكين والدك الى بيتنا وهو يلهث ويصرخ، انجدينا.. زليخة تموت، اعتقد انها الام المخاض. ولما حضرتُ كنت المسكينة خائفة القوى تماماً، ثم طرحتُ بعرورة سوداء وفارقت الحياة! راح والدك يتوسل بي، ارجوك نحن عائلة دون ذرية، اتوسل اليك أن تساعدني كي يعيش هذا الطفل. قلت له: مثل هؤلاء المواليد حظهم قليل في الحياة ولكن كل شئ بيد الله، عليك ان تذبح خروفاً كل ثلاثة ايام، تملح جلده وتغطي به المولود عسى ان يبقى لك. لقد عانى والدك كثيراً في تربيتك، كان كلما رأيته يتجول في ارجاء القرية من بيت الى آخر طمعاً في ارضاعك من امرأة لها طفل رضيع، حتى اصبحت آدمياً! أدعُ لي أيها البائس " وكنت اضحك منها، يا للمسكينة كانت تعتقد انني انسان صالح، لم تكن تعلم انني هذا ابليس.)) (اقلقتي كلمته هذه اكثر ورحت اساييره وكان يقول لي بين الفينة والاخرى ((أرجوك ان تسامحيني)) فأقول له (انت ابو ابني، قد سامحتك، قل ما عندك فالدنيا حياة وموت). نزلت الدموع من عينيه مرة اخرى وقال ((...عندما كنت في السابعة من عمري كنت لا اجرؤ على الخروج من منزلنا خوفاً من الاطفال، كانوا يستهزؤون بي ويقولون.. قزم، قزم. وعندما ذهبنا نحن الاطفال للدراسة عند مُلا القرية كنت اذكى من الجميع وكنت ادرس كثيراً لانهم كانوا يذهبون للعب، فيما كان اللعب محرماً علي بسبب ايدائهم لي واستهزاءهم بي. بعد السنة الاولى ترك نصف الاطفال الدراسة

واكمل بعضهم قراءة جزء عمّ، لكني لم اتركها حتى توفي والدي وبقيت وحيداً ولم استطع اكمال الدراسة، ثم توفي الملا بعد ذلك بستة اشهر. في عمر الثانية عشرة اشتغلت راعياً لقطيع حيوانات القرية، كنت قارئاً جيداً وبارعاً في امور الحساب. كانت لعبة في البداية، أية بقرة يأتيها الشبق وتلقح من ثور في القطيع، احسب مدة حملها وفي المساء اقول لصاحبها: ستضع بقرتك عجلها في اليوم الفلاني. بعد سنة من ذلك ذاع صيتي في القرية بانني انسان مقرب الى الله واستشعر الاحداث المستقبلية، وفي يوم ما تصدق علي احد القرويين بجدي، وعندما ذبحت الجدي وبدأت بسلخه وفي غمرة انهماكي به ضربت يدي كيس مثانته عرضاً فشاهدت البول ينفر من ذكره! داهمتني فكرة خبيثة بانني استطعي خداع اهل القرية. ملأت المثانة بالماء ووضعتها تحت ابطي ومددت قناتها حتى كم قميصي وفي المساء توجهت الى ديوان الرجال وعندما حانت فرصة ملائمة قلت لهم بانني استطيع أن اجعل الحجر ينضح ماء، اجابني الجميع: كذب! وهل انت شيخ؟! قلت: نعم انا شيخ، اجلبوا لي أحجاراً. وهكذا كنت كلما اضع حجراً في كفي اضغط بهدوء على المثانة تحت ابطي فينسال الماء في كفي على الحجر. ذهل القرويون، وهكذا بت موضع الاحترام والتبجيل. تحول بيتي الى تكية وتحررت من عمل الرعاة. كل زكوات وصدقات القرية باننت من حصتي، قصدتني النساء المحرومات من الاطفال واصبح الزمن زمن التعاويذ والتمائم والرقى، جعلت اجواء غرفة عملي سوداء معتمة تجعل من يدخلها يشعر بالرغبة. اتذكر اول مرة، جاءت جارتنا (حلي) وحماتها، قالت: مر عامان على زواجي ولم أرزق بطفل. قلت لها: عندما تنتهي دورتك الشهرية اغتسلي وتعالى سأسندعي لك ملائكة الخير فيمنحك الله بركته. صنعت هيكل رجل بطول قامتي من القماش الابيض ووضعتة أعلى كومة الافرشة في غرفتي، ثم ربطته بحبل ومددته اسفل الدوشك الذي اجلس عليه، ملأت صاجاً ببعور الغنم والبخور. عندما جاءت أشعلتها وجعلت اجواء الغرفة تغرق في الابخرة والدخان وانا اصرخ وأهمهم مستدعياً الملائكة: أقبلي يا ملائكة الخير. وفجأة سحبت الحبل فوق الهيكل الذي بقامة رجل من

أعلى الأفرشة على الأرض محدثاً صوتاً وجلبة عظيمة فأغمي على المسكينة في هذه الأجواء المرعبة فسارعت لأمارس معها الجنس. حسبت أيام حملها وابلغتها بموعد ولادتها ثم قلت لها إذا ولدت صبياً ستسميه على اسمي وإن كنت بنتاً اسميتها على اسم أمي. بعد تلك الحادثة وجدت نفسي مقصداً لنساء قرينتنا والقرى المحيطة بها من اللائي حُرمن من نعمة الولد، وبذلك الالاعيب والحيل كنت أمارس معهن الحب، كلهن اسمين أبناءهن باسمي وبناتهن باسم أمي. أطفال القرية الذين يحملون اسم درويش وزليخة كلهم ابنائي، وبعد ذلك خدعتك أنت أيضاً، ففي ذات يوم طلبوني للحضور إلى بيتكم حيث كان والدك مريضاً جداً، كنت قد ائبعت للتو، وعندما جلبت لي قدح الماء صعقتني جمالك وقلت في نفسي: هيا يا درويش لا تدعها تفلت منك.))

جرت الدموع في مآقي (زرو) وهي تجهش بالبكاء وتقول: وهل كنت لأتزوج الرجل القصير؟ كلكم تعرفون آية حسناء كنت أنا، كان الأغوات والبكوات يأتون لطلب يدي لكني كنت أخشى الزواج لأنه في ذلك اليوم الذي جاء إلى بيتنا، وفيما كنت أقدم له الشاي وبحضور أمي وأخوتي، أمسك بيدي وقال لي: انتظري يا حلوة، إنني أرى أسراراً كبيرة في جبينك، ستتزوجين وترزقين بطفل وفي يوم أربعمائة ستموتين! ومنذ تلك اللحظة دخل أمر الخوف من الزواج نفسي واحتل أعماقي، لم يبق شاب في المنطقة لم يتقدم لخطبتي لكني كنت أخشى الزواج بسبب كلامه، حتى أصبحت بانة، ثم توفي والدي لأقع تحت رحمة زوجة الأخ. كان كبدي يكتوي وأنا أرى أطفال صديقتي، وكنت كالعبد بين يدي زوجات أخوتي، أهرب من هذه إلى تلك، حتى وصل بي اليأس من الحياة أنني تمنيت الموت. لحظتني رأيت الرجل القصير أمامي فجأة، قال لي: زرو، لماذا لا تتزوجيني؟ وقلت له: تكلم مع أخي.

وفي المساء جاء إلى منزل أخي الكبير وطلبني للزواج فوافق على الفور. ولكن بعد الزواج ازدادت الخشية في نفسي وخصوصاً بعد أن أصبحت أما حيث كانت الحمى تلازمي مساء كل ثلاثاء، كنت أرقد في فراشي متهيأة للموت، كل ذلك لأننا كنا نثق بالرجل القصير وكراماته ثقة عمياء، وبعد أن

ينقضي ذلك الاربعاء أعود لحياتي واشغل بيتي اليومية المعتادة حتى الثلاثاء التالي حيث اظل في انتظار قدرتي. انتم لا تعرفون ما الذي فعله بي وبكم ولو كنتم تعلمون لأحرقتموه حيا... لم يكن شيخاً بل ابليسٌ بعينه، يا لبؤسكم وشقاءكم، اذهبوا وانظروا ماذا انتم فاعلون لزوجاتكم و (زليخاتكم) وكل اولئك الـ (دراويش) !!؟

* * * *

الشقي
أمین گردیگلانی
ترجمة: حسن جاف

صعد الدرج بأنفاس متقطعة ، عندما وصل الى قاعة الأنتظار ، كان هناك رجالاً ونساءً وأطفالاً جالسون ينتظرون دورهم ، تنفس عميقاً وعدلّ من ظهره المحدوب وعندما ألقى السلام ركز الكل أنظارهم على لحيته البيضاء وجسده النحيل . قام البعض من أجله وألقوا عليه التحية وسألوه عن صحته وأحواله ، ذهب الى منضدة الشخص الذي كان يدون البطاقات والأسماء ووقف هناك ، لم تكن أنفاسه قد انتظمت بعد حين رفع الكاتب بصره ونظر اليه بتعال مركزاً بصره في بصره الضعيف :

- يا عمي العزيز ، لم يأت الطبيب بعد ، كي يتصدق عليك ، أذهب وعد بعد ساعة ..

أصفر وجه العم العجوز ورفع رأسه ، أحس الجاسون في القاعة [ان ظهره المحدوب قد استقام معه ، وركز نظره على خد كاتب البطاقات المحروق ، وقال :

- يا رجل أنا لست شحاذاً ، جأت لكي أرى السيد الطبيب هذه الأشعة . مذّ يده واخرج مظروفاً عريضاً كبيراً ووضعها على منضدة كاتب البطاقات الذي رفعها متردداً وأخرج الأشعة من المظروف ورفعها الى اتجاه المصباح الكهربائي ونظر اليها . كانت عظام كتف العم العجوز بائنة في الصورة ، ثم أعاد وضع الأشعة في المظروف وأعادها الى العم العجوز :

- عمي يجب أن تشتري بطاقة وتجلس وتنتظر الطبيب ، وعندما يحل دورك سادخلك عليه .

- يا أخي أريد منه أن ينظر الى هذه الأشعة فقط لتأكد من شفاء العظم ، أنا لا أريد أن يفحصني ويكتب لي الأدوية ، فلماذا أحتاج الى بطاقة . أن الطبيب الذي عالجني في سنندج ، فقلت لنفسي لم أذهب الى هذه المنطقة البعيدة ، هنا أريه لطبيب ، فإذا ما تطلب الأمر ، إما أن يعيدني الى طبيب في سنندج ، أو يعالجني هو نفسه .

- خالي العزيز ، تحتاج الى بطاقة ، وإلا كنت أساعدك ، تفضل لا تعطلنا أكثر من ذلك .

مد العم العجوز يده الى جيبه وأخرج من جيبه مبلغاً من المال وسأل :

- كم المبلغ ؟

- ستة الاف ثمن .

أخرج المبلغ ووضع أمام كاتب البطاقات ونظر الى المبلغ المتبقي ، كانت هناك ورقتان من فئة خمسمائة ثمن وورقتان من فئة مننتي ثمن واربع ورقات من فئة خمسين ثمن ، أعاد المبلغ الى جيبه وذهب ليجلس على أحد الكراسي وأسند رأسه الى الجدار .

- خالي العزيز من أين أنت ؟

سأله أحد المرضى من الجالسين بجنبه ..

- أنا من أهالي (صالح كوا) في سقر .

- ألم يكن هناك من أحد ليرافقك ، ولد أو زوجة أو قريب؟

أخذ نفساً عميقاً وقال بقلب كسير .

- كلا .

أنه مشغول بحفر بئر لبيت جارهم الحاج سليم ، لقد حفر بعمق سبعة امتار ويكاد يصل الى الماء ، يتصبب عرقاً وابتلت ملابسه واتسخت بالطين ، انهم ينزلون بين الفين والأخرى سطلاً بحبل يملأوها هو بالطين والصخور ثم يرفعونها . يصبُ حر منتصف النهار في شهر حزيران داخل البئر . ينتظر كثيراً ولم ينزل السطل المربوط بالحبل ، بدأ بالصياح ، يبدو أن مساعده لم يعد هناك . واصاغ السمع فسمع صوت بكاء واصوات متداخلة لنساء ورجال ، فأسرع بالخروج من البئر فرأى باحة دار الحاج سليم فارغاً لا أحد فيه ، فأسرع بملابسة المتسخة بالطين وذهب الى الزقاق فرأى حشداً من الناس متجمعين أمام باب دارهم ، وصل الى باب الدار مقطوع الأنفاس ، ففسح الناس له الطريق ودخل الدار . كان هناك تابوت في الحوش موضوع تحت شجرة التوت ومغطاة بقطعة قماش حمراء يحضنه اثنان من المسلحين من اصدقاء ابنه وهم يبكون ، وكان مندهشاً لدرجة نسي البكاء .

بعد وفاة ولده الوحيد اصاب بالمرض ، لم يكن مرضه خطيراً الى حد أن يقعه في الدار إلا أنه اصاب بداء النسيان بحيث انه كان احياناً لا يتذكر اقرب أقاربه . بعد سنين توفيت زوجته بمرض القلب فبقى وحيداً بلا أهل ، إلا أنه استمر في عمله في حفر الآبار وعاش من كدح وكد يديه .

حركة الناس وصوت الكراسي قطعت عليه خيوط خياله ، دخل الطبيب العيادة وذهب بغرور وتكبر الى غرفته ، وبعد فترة سمع صوت الجرس وبدأ المرضى بالدخول الى غرفة المعاينة :

- أيها الخال العزيز لا يبديوا عليك هناك كسر في جسدك ، وهذا الطبيب هو طبيب عظام ، فلماذا جئت الى هنا ؟ .

كان السؤال من قبل المريض الجالس الى جنبه هذه المرة ، رفع العم العجوز بصره ونظر الى الرجل الذي كان يده معصوباً بقماش ابيض ومعلقاً برقبتة .

- عزيزي كنت مشغولاً قبل شهر بحفر بئر فوقعت

- اخل البئر وكسر عظم كتفي .

- ولكن بالله عليك كيف تستطيع أن تحفر الآبار .

- كيف لا أستطيع يا بُني ، أنني أجلس وأبدأ بالحفر ويرفع مساعدتي سطلية

الطين والتراب الى خارج البئر ، إلا أنني ومع الأسف لا أستطيع أن

أنزل الى البئر وأصعد الى الأعلى ، بل يجب أن أشد حبلًا حول نفسي

لينزلوني الى البئر ثم برفعوني خارجه بعد أن أكمل عملي . قبل شهر

وعندما أرادو أن ينزلوني داخل البئر كان لا يزال هناك متراً ونصف

المتر لكي أصل الى القاع ، انقطع الحبل واصطدم كتفي بحائط البئر

وأسودت الدنيا أمام عيني ، ولا اتذكر بعد ذلك كيف أخرجوني من

البئر ، وعندما أفقت وجدت نفسي في مستشفى سقر ، وكتوا يرومون

نقلي الى مستشفى سنندج .

- لماذا لم يأتوا بك الى هذا الطبيب بدلاً من أن يأخذوك الى سنندج ؟

- هذا الطبيب جاء الى هنا منذ عشرين يوماً ، ولم يكن هناك جراح ، لذا

أخذوني الى سنندج وعالجوني فيها ، ثم صوروا كتفي بالأشعة وها أنا

أتيتُ بالأشعة لأريه لهذا الطبييحتى يرى هل لآتنم الكسر أم لا بدلا من
أذهب كل تلك المسافة الى سنندج .
خرج رجل من غرفة المعاينة وهو يعرج ، وكان كاتب البطاقات ينظر الى
الدفتـر الموضوع أمامه ، وقال :
- محمود مقني .
- قام العم العجوز وذهب متثاقلا الى غرفة الطبيب ، سلمَ عليه وأعطاه
البطاقة بيد والأشعة باليد الأخرى ، فوضع الطبيب البطاقة في المنضدة
، ومدَّ يده ورفع الأشعة بدأ ينظر اليها .
- هذه لم تكتب لي ، أذهب بها الى سنندج ..
سلمَ الأشعة الى الرجل العجوز ودق الجرس كي يدخل مريض آخر الى
الغرفة .

لصوص الليل
انور محمد ظاهر
ترجمة: حسن سليمان

- من؟

للمرة الرابعة التفت إلى الورا، تفحصني من أخصم قدمي إلى قمة رأسي، حينما كانت حدقتا عينيه تتسعان، وكأتهما تنويان القفز من محجريهما. من هو هذا الذي في سيمائه الحقد والكرهية، وكأن العقارب قد اتخذت من جبينه ووجهه مرتعاً لها.

في المرة الخامسة التفت إلى الورا بغضب كآته خنزير. أتجه إلى باب البيت الذي تقع زاويته لصق الحائط.. كان الباب مقفلاً.. بهدوء ضغط على زر الجرس.. تعالي صداه.. كان ينظر بعين إلى الباب و بالعين الأخرى إلى ذلك الرجل المستقر في رأس الفرع مثل الزنبور، كان الرجل مربع القامة يرتدي قميصاً أبيض يسدل على بنطلونه. للمرة الثانية ضغط على زر الجرس.

- من؟

- أنا.

انفتح الباب، أراد أن يتصنع الهدوء بابتسامة عريضة، بانث سبعة من أسنانه، سلم عليها، أراد أن يطيل معها الحديث.

- خيراً.

- إن شاء الله خير.

- في الصباح، سأل أحدهم عنك.

بخوف و رعشة قام من مكانه، استقر أمامها:

- من يكون؟ لماذا؟ ماذا قال؟ ماذا؟

- بسم الله.. لا شيء!!!

خجل من نفسه للكلام الذي قاله، ولم يأبه لذلك:

- وليكن من يكون...

- كنت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها صديقك هذا، لا اعلم من يكون؟

سحب قدميه بنثاقل، صعد الدرج: ما بك هكذا لا تبالي؟ أحقاً لم تعرف من هو؟

تمدد.. أراد أن يطرد تلك الأفكار من رأسه، أن يبعد تلك الأحلام السوداء لـ (ناكر ونكير) من أمام عينيه، ولكن هيهات له ذلك. جن جنونه لم يستقر في موضع. ينهي الغرفة بأربعة أقدام، قبل أن ينهي سيكارة، يشعل أخرى، تناول كتباً، قلب بضع صفحاته لكي يبحث عن آراء وأفكار الفلاسفة و العلماء الذين يقولون: واجه الريح العاصفة وحدك، مثلما يقول المسيح، كفاكم تمسكاً بأهدابنا مثل الأطفال، ابدءوا المشوار، سيروا وحدكم..

- أحمقاً يا خالة؟ قلت لهم من أيّة محافظة أنا؟

لا لا شيء ربما يكون احد أصدقائي وأنت لا تعرفينه.

جاء صوت الجرس بقوة و صخب و توزع في الأرجاء الأربعة للبيت، وكان البيت قد تزلزل، ها هم قد أتوا.

وقف على قدميه، صارعه الخوف، لكنه أراد أن لا يظهر ذلك، قال بصوت عال:

- ها أنا قادم.

تبا لكم، لتفعلوا ما تشاءون، كنتم تبحثون عني كثيراً، راقبتموني كثيراً واستلم مرتزقتكم المأجورين هداياهم الثمينة لرصدهم كل تحركاتي بدقة.

تعالوا ليكن لكم لحمي و عظامي، ولكن أفكاري لي فقط.

حينما نزل الدرج، ثانية قالت له صاحبة المنزل:

- خيراً؟

- من كان؟

بنت الجيران الصغيرة كانت تريد بعض الثلج.

- الثلج في هذا الشتاء؟

- يبدو أن قلوبهم تتلظى!!!

ضحك بصوت عال و قال:

- صحيح...!!

سأنام، بكامل ملابسي، لكي أكون جاهزاً، عندما يأتون.

لكن الليل طال، لم ينم ليلة أطول من هذه، لم يفارق النوم عينيه فقط، بل أن
الدوشك و اللحاف صارا إبراً تتخس جسمه.

"لو أتوا.. فليأتوا.. الطير الذي يطير مع سربه: مكانه قفصكم.. وفق أوامركم
سيشدوا وسيصمت.

تململ الليل ليسحب نفسه من جسد الصباح.. الشمس تعمل جاهدة كي تعلق كل
بنايات و منارات المدينة.

حينما فتح الباب، وسلك قاصداً الكلية، ظهر له لصوص الليل ثنائية و في النهار.
أحدهم كان واقفاً في زاوية البيت، مكان البارحة ليلاً.

علم أنّ الدرس الأول، سيبدأ بعد دقائق.
لماذا يأتي في هذا الصباح الباكر؟ أليس له أطفال؟ أ لم يترك أولاده نائمين؟

ربما كان يود أن يتناول فطوره الصباحي مع أولاده ثم يأتي بعد ذلك.. ليس
الأمر في يده، فهو مجبر.

كلما خطا خطوة، تتفتح عيناه أكثر.
- "لا تتردد. لست مخطئاً على الإطلاق.. أنا ذلك الشخص الذي تبحث عنه".

نوم الصباح ما يزال مؤثراً فيه.
"هيا تعال وقيد يدي، لكي ترى الأحلام السعيدة في الصباح.. لن أذهب..

أجل..."
نظرا إليّ بدقة من أخصص قدمي إلى قمة رأسي.

- حقاً هو.
"لا تتردد، أنّك على صواب، أنا على يقين أن رئيسك سوف لن يوبخك، وأنك
ستستلم راتبك كاملاً، طالما أنّك تؤدي واجبك، تلازمي منذ ثلاثة أيام.. تعال
ورائي، لن أحاول الاختباء والهرب في الطريق، إنّها خطيئة لي أن أتعبك أكثر،
أنت رجل قد تقدم بك العمر، ويعيش أطفالك من هذا العمل".

في الدرس الأول كان يتحدث أستاذ معروف بالعلم والخبرة والتجربة. حول
الجريمة والعقاب. وأخيراً سأل أيُّهما في الأول، العقاب أم الجريمة؟ أ كان هناك
ظلم فشرعوا العقوبات؟ انقسم الصف إلى نصفين.

- العقاب.

- لا

- الجريمة.

- لا.. الاثنان معاً.

- لا نحن لا نريد أن يكون هناك عقاب، ولا أن تدفعوا أحداً إلى الجريمة.
ضحك في وجهه. ما تقوله كان عصاره فكر وآراء أفلاطون الذي وضع أسس
الجمهورية.

حينما عاد إلى البيت رأى الغرفة والحيطان على غير عهده بهما، كان كل شيء
مبعثراً، مربكاً إلا أن المرأة الممسنة كانت على حالها حينما نظر في سيمائها،
أدرك أن شيئاً ما قد حدث، لأنها و رغم سنينها العديدة، لا تستطيع أن تخبئ ما
قد حدث.

- خيراً يا خالة؟

مثل بركان انفجرت، ونطقت بكل ما تعرفه من لغة السب والشتم والقذف.
أدرك أن الرجل الذي أوصله في الصباح حتى باب الكلية، قد عاد ثانية لينبش
ما في البيت.

- لقد خبأت صورك و بعض الكتب الممنوعة في مؤخرة الحمام.
(يا ترى كيف علمت هذه المرأة التي قضت كل سنين عمرها في الأهوار، أن
هذه الكتب ممنوعة)).

- إذا ما سألك احدهم، قولي له لقد سلك دربه نحو الأعلى.

- يعني أنك ستقصد الجبال؟

- نعم.

- لكن قولي لهم ذلك.

- كان عليك فعل ذلك قبل الآن.

- أجل إنك على حق.

حينما كان يعبر (دجلة) كان ماؤه ينحدر نحو الجنوب بغضب هادر.
توجه إلى نبع طفولته وابتسامه شاسعة مديدة بطول قامته نهر دجلة كانت ترتسم
على شفتيه.

بغداد ١٩٨٣

الطفل والقس

بكر درویش

كان القس العجوز فى الحديقة يسقى اشجار التقوى , وكنت ببغاوات الامل
تضعن خواتم العلم فى اصابع طلاب الفقه , عندما دخل الطفل قبيل المساء الى
الحديقة وبيده اناء مليء بالاسئلة لكى يسال من اباء الدير اخبار الاولين " ايها
الاباء اين هي خارطة يوطوبيا قلب امي؟ اين هو يشماغ ابي البيضاء؟ اين هي
دعبولات اخى (حمه) ."

القس العجوز يمرر اصابعه النحيلة فوق لحيته البيضاء ثم يحك قليلا عينه
الناعستين من تحت زجاجة نظارته الطبية ثم يسال الطفل : " ابن من انت ؟ "

- يا ابتاه انا ابن نرجس .

- أي نرجس؟

- الارملة

- تعال تعال اجلس .

يخطو الطفل خطواته بثقة يختلط صوت خطواته مع دغدغة موزايك الممر ..
القس العجوز بجبته السوداء ونظارته الطبية والطفل بقميصه المخطط
وسرواله القهوائي يجلسان قرب حوض الماء , يقول الطفل للقس:

- عندما كنت قادما الى هنا سمعت من بعيد مقابل فضاءات العدم ديوك

قارون تصيح (القس) اتركهم يا بني انهم مند سنوات ينظرون الى

اجسادهم دون ان يفهموا شيئا عن الروح

الطفل : طريق العدم لن يوصل الانسان الى ظل اية شجرة والى حافة اى نبع
من ماء زلال .

القس : انهم يخبون المعرفة فى سلاتهم ، ينون بيعها فى سوق الهرج .

الطفل : احس بضيق فى روحى .

القس : كل ليلة قبل النوم استنشق قليلا من رائحة القداح .

الطفل : ليس لدينا شجرة البرتقال .

القس : تعال غدا ساعطيك شتلة برتقال .

الطفل : لا استطيع .

القس : لماذا؟ .

الطفل : ساذهب الى الصحراء .
القس : الصحراء ؟ .
الطفل : نعم ازور المقبرة .
القس : وحدك ؟ .
الطفل : نعم ..
القس : قبر من تزور ؟ .
الطفل : قبر ابي و اخي محمد .
القس : في تلك الصحراء توجد الاف القبور ، كيف تستطيع التعرف على قبريهما .
الطفل : لم اكن اعرف اين لحديهما ، إلا انه في السنة الماضية وفي احد الايام اعطيت احد الحراس الف دينار فدلتني على قبريهما .
القس : هذه هي الدنيا يا ولدي كلنا نموت .
الطفل : امي تقول موتهم لا يؤلمنا بقدر كون لحديهما في ديار الغربية .
القس ينهض من مكانه يتوجه الى الحديقة يقطف باقة ورد بيضاء ويقول للطفل خذ هذه الورود وضعها فوق قبريهما .
الطفل : ساخذها اذا وافقوا ؟ .
القس : من لا يوافق ؟ .
الطفل : الحراس :
القس : يا الهي لماذا هذه الحياة يجب ان تكون هكذا؟ .. لماذا يجب ان تأتي الرياح من حيث هم يشاؤون ؟ .
الطفل : يا ابتاه انا يانس .
القس : يا بني كلنا يانسون .
الطفل : لا ادري ماذا اعمل لكي أتخلص من هذا الياس .
القس : احس بانني اصبحت مومياء لا امستطيع ان اتخذ أي قرار .
الطفل : اريد ان اطعن شجرة الياس ، اريد هذا المساء ان احطم نصف الكرة الارضية .

القس : من العيب ان يعيش الانسان هكذا .
الطفل : امي تقول هذا ايضا .
القس : يا بني اتمنى ان لا يطرق الياس باب أي قلب , فمتى اصيب قلب الانسان
بالياس لا يستطيع بعده العيش .
الطفل : انا ذاهب .
القس يقطع عنقودا من العنب و يضعه في سلة ويعطيها للطفل .
الطفل : اشكرك سوف اعصر مائه انه يفيد فقر الدم .
كان الطفل بيده كتاب القراءة يطالع هذا الموضوع عندما توجه نحو الشباك
ونظر الى الخارج ، ثم قال : هذا المساء يُخفوني , اشم رائحة الضجر تتبعث
من المدينة ..
نادت امه من المطبخ : ابني هل قرأت موضوع الغد ؟ .
الطفل : غدا سوف ناخذ موضوعا جديدا وها انا اطالعه .
الام : ما اسمه ؟ .
الطفل : الطفل و القس .
الام : انه موضوع خيالي .
الطفل : يا امي ان الحياة حلوة بخيالاتها .
الام : ان لم يكن للانسان الخيال لم يكن يستطيع العيش .
الطفل : لا شك , لو لم يكن للانسان خيال يسرح به افكاره لمات من الحزن و
الوحدة .
الام : ضع كتابك و تعال نتعشى .
الطفل يضع كتابه في الشباك و ينطلق نحو المطبخ .

مزرعة الضفادع

تحسين گرمياني

- عجب أمر هذا الفلاح ، كيف فقد صوابه !!

هذا الكلام يردده الناس في كل محفل ، الكل يعرفه ، فلاح ماهر ، مرشد زراعي من غير شهادة دراسية ، توارث اسرار الفلاحة أبا عن جد ، يعرف ما تخبأ الغيوم وما تفصح بها الرياح ، يعرف متى تزرع المحاصيل ومتى يتم سقيها وجنيها ، كيف سقط في فخ البلادة !!

بدأت بلادته ليلة نام باكراً ، بعد جهد كبير قام بعزق الأرض وتهيتها لبذر البذور ، قام من أرق كلبوسي باغته ، وجد الفجر على مرمى بصر منه ، تناول مسحاته وتناول علبة البذور وشق مسارب الظلام الأخير لليل ، زرع البذور وعاد !!

* * *

بدأت حكاية غريبة تشاع بين الناس ، راحت تمشي فراداً وجماعات الى الحقل ، يقفون بدهشة وهم يرون نباتات خضراء عريضة الأوراق نبتت بشكل متسارع !! بعد مرور اسابيع بدأ الحقل يعكس خضرة متوهجة تحت أشعة الشمس ، راحت الألسن تنسج أقاويل الغيرة والحسد حول الفلاح صاحب الخبرة النادرة والرزق الوفير !!

استفاقت الناس على نقيق غير وارد ، بدأ يلغي صفاء الليل ، أخرجوا فوانيسهم ووقفوا بذهول أمام الاف الضفادع الخضراء وهي تغزو الأزقة والبيوت ، عند الفجر تعاهدت الناس أن تنتفض بشكل جماعي ضد جحافل الضفادع الغازية ، حملوا مشاعل النار والهراوات وراحوا يتتبعون وهم يسحقون الضفادع الى معاقلها ، وقفوا مبهورين أمام حقل الفلاح ، ووجدوا الضفادع تخرج من الخضرة المتوهجة الطاغية على أرض الحقل ، رشوا الوقود واضرموا النيران وعادوا !!..

في تلك الصباحية كانت زوجة الفلاح تبحث بشكل جنوني عن شيء قبل أن تقف أمام زوجها .. قالت :

- أين أخذت الخرزات السود !!..

- الخرزات السود !!..

- كانت في علبة المعجون !!..

- آه .. لقد قمت بزراعتها !!..

- قمت بزراعتها !!..

- أليست هي بذوار البامياء !!..

وقفت المرأة أمامه واطلقت ضحكة طويلة ، قبل أن تهرع باتجاه الفوضى خارج البيت !!.. عرف الفلاح من زوجته ، أنها قامت بتجميع بيوض الضفادع من المستنقعات وتجفيفها كي تتناولها كعلاج طبيعي لحالة عقمها المزمنة ، تلك البوض الجافة سقطت بين يديه ليلة زرعها !!..

الانسان المسعور
جليل كاكه وه يس
ترجمة: محمد صابر محمود

منذ عدة أشهر ، كان البيت المجاور لنا ، يطبق عليه الصمت وكأته طاحونة
أنقطع عنها الماء .. يشبهه وكأته ليس فيه كائن حي .

وأنا ليس من ديدني مراقبة الناس وتتبع أخبارهم وتصرفات الغادين
والرائحين منهم حتى أنني لا ارغب في معرفة أسماء من يجاورونني .. ناهيك
عن معرفة أسم الرجل أو زوجته وكم هو اعداد أولادهما من ذكور واناث .
على أية حال فالأمر متروك لك في كيفية تأويل سجيتي هذه .. ولكن الان وقد
أصبح هذا الصمت المطبق المهيمن على البيت المجاور هاجساً يقلقني ويقض
مضجعي حتى أنه قد تحول إلى نوع من الكوابيس المرعبة ، تستبد بكياني ،
بحيث صرت أو من بالاماكن المأهولة وحتى بضجيج الناس أيضاً .. ولكن مهلاً
، فأنني في احيان كثيرة قد جربت هذا بنفسني ، وبالاخص عندما كان يصادف
وانا ساخر لوحدي في مكان موحش غير مأهول ، وقد استنزف الصمت
والسكون طاقتي ، حيث كنت ألجأ إلى تسليية نفسي بزقزقة عصفور وتخريد
طائر أو نباح كلب ، فاستشعر حينذاك قليلاً من الطمأنينة يسري في كياني .

كنت فيما مضى اسمع صراخ الاطفال ، وضجيجهم أو صوت مشادات
الزوج والزوجة في هذا البيت المجاور لنا ، أو كان يزعجني دق مسمار في
الحائط بصورة فجائية .. غير أنه الان أحس وكأن ثمة أفة من الأفات المميتة
قد نزلت بهذا البيت فراحوا يغطون في نوم لا قيام بعده ، مقبرة اطبق عليها
الصمت حيث أن ما كان ينتاهي إلى سمعي لم يكن سوى الخشخشات الصادرة
من اوراق الاشجار المزروعة في باحة تلك الدار حينما كان يهب عليها بعض
النسائم .

في تلك الليلة التي أزمعت فيها ان اتعقب تداعيات هذا الصمت المهيمن على
بيت جاري راودني الاحساس بأن أروي لكم أيضاً ما يتطرق إلى سمعي
وأشعر به .. وهكذا وبمنتهى الحماس واللهفة شرعت بالالتصت والمتابعة
والترقب لكل ما يجري .

في احيان كثيرة تنتاجي ارواح البشر فيما بينها ، فتقرأ بعضها بعضاً من
دون معرفة أو لقاء ، وتحس بالأم ومعاناة بعضها .. بهذه الشاكلة كنت اصيخ

السمع وأنتصت لشيء لامرئي ومجهول . كمن ينتظر معجزة ، أو وقوع حادثة .. وأنا في هذه الحالة فأذا بصوت أغنية يتناهى إلى سمعي من وراء ذلك الجدار العالي الذي يفصل بيننا ، يصدر عن أعماق ذلك الصمت بايقاع لم أسمع مثله إلى تلك اللحظة من حياتي لأنه لم يكن ليحرك أوتار ذائقة انسان عصرنا بأي شكل من الأشكال مطلقاً .. ولربما كانت هذه صورة من صنع مخيلتي في تلك اللحظة .. ايقاعات الاغنية اوشكت ان تتسني رغبتي الملحة في التستر وضبط النفس لانها كانت تنصب من اعلى الجدار بغزارة إلى هذا الطرف لتغرقى في اعماق عصره .. توقفت الاغنية فجأة ليحل محلها السكون والصمت مرة أخرى .. وأذ ركزت انتباهي بكامل احساسي ، سمعت همساً يتردد من خلال السكون .. كانت الهمسات تشبه صوتاً صادراً من شخصين يتناجيان فيما بينهما ويبتان لواعجهما لبعضهما في الخوة . عدت إلى نفسي قليلاً موبخاً اياها لكوني اشغل نفسي بهذه العادة التافهة ألا وهي مراقبة الآخرين والتنصت لأحاديثهم واقوالهم .. ولكن مهلاً أنني سمعت بأذني شخصاً يقول للأخر :

((هكذا اذن ، لقد كتب عليك أن تظل هكذا وحيداً طيلة حياتك من دون أنيس ولا ذرية تخلفك .. أنك ذلك البغل العقيم الذي لم يفتح عينيه للحياة برغبته .. وقد لعبوا - رغم ارادتك - لعبة قذرة ثمرتها كانت كئناً مسخاً مثلك .. وقد خلقوك على هذه الشاكلة حتى تنن طوال حياتك تحت وطأة حمل ثقيل ينوء به ظهرك .. حيحيح .. هيا أصرخ وابك واصهل وانهق ما شاء لك ذلك .. !))

ما هذا ؟ لقد تحول الجانب الأخر من الجدار لدي إلى زحام وضجيج : من هذا الذي يتكلم ولمن يوجه كلامه ؟

كنت أسمع نبرات الصوت بعدة ايقاعات سريعة وصاخبة .. كان يشبه تماماً صوت شخصين ، احدهما كان يوبخ الاخر متجاوزاً حدود كل عرف وعادة .. ناعثاً اياه بالبغل الهجين القبيح القميء ..

عجباً ! من اين حضر هذان الاثنان ، ليقلقا صمت هذا البيت وسكونه .. ولكن هيهات كان لا يزال الطرف الأخر من الحائط عالماً مجهولاً لم يكشف بعد . وكان في الوقت نفسه سؤالاً موجهاً لطيفي منتصت مثلي كأنما يقول لي : أياك

أن تهيم وراء شيء لا جدوى منه .. أنك لما تزل في أول الطريق ولم تتفهم بعد الغاز الأحجيات الصغيرة التافهة التي تصدر منك ومن امثالك ممن يحيطون بك .. اذن كيف تستطيع ان تفهم بعض التتمتات والهذر من وراء جدار صلد سميك ؟ !

أنا لغز لم يحل عقدتي أحد بعد ، وقصة لم يقرأها أحد بعد . اردت أن أترك جانب الجدار واتراجع ، واطرد عن مخيلي وفكري هذه الهواية وابعدها ، ألا أن الهمسات الصادرة من وراء الجدار وكمن تريد التلاعب بفضولي تشرع ثانية : ((لا .. لن اغفر لكم مطلقاً أنا خطيئة وقد التصقت بارواحكم ، ولن اترككم تذوقون طعم الراحة والهناء ،، انا ذلك الحمل الثقيل من الذنوب الذي تنتنون تحت وطأة أوزاره دوماً .. أنا أسم مخيف ومرعب لن تجرأوا على البوح به ، فتزردونه ثانية . أنا ذلك الأسم الذي اذا نطقتم به تشل المسنتم وتصفرو الوانكم كمثل لون الزعفران ..

في اللحظات التي يروم أي واحد منكم أن يختلي بنفسه لكي يبعث الروح في ميت مثلي مرة أخرى يلاقي جسداً حياً تحدثونه : بالله عليك دعني وشأني .. يا(دولتيار) . اغفر لي ذنوبي ، لقد تبت توبة نصوحاً ، وهل كان هناك من حل ؟ كانت حياتي في ذلك اليوم على كف عفريت .. فلو لم اقلك لكانوا يقتلونني .. قتلتك لكي أحيأ .. ولكن لست أدري لماذا أنت .. روحك أنت لا تكف عن تعذيبني ؟ في كل مرة تعذبني بطريقة .. مرة تزمجر بوجهي وأخرى تصر باسنانها لتخويفي .. ولكن مهلاً أنك حتى أثناء الليالي حينما أكون منشغلاً بشيء أو اريد أن أنام بأطمئنان لا تدعني فتفتح شقاً في الباب ، تهددني من خلاله وتدخل الرعب في نفسي .. أنا في كل ليلة أغلق الباب غلقاً محكماً .. لست أدري كيف تفتحه ، وكيف تحضر في اللحظة والآن .. كفى .. أذن كفى لقد تحولت حياتي إلى جحيم .. دعني اعيش بأطمئنان)).

في هذه اللحظة بالذات كان ثمة صوت وراء الجدار يحاور عدة اشخاص بهمس واضح من دون أن تصدر من أي واحد منهم ردة فعل . ز بالرغم من كونه همساً إلا أنه أي واحد منهم ردة فعل .. بالرغم من كونه همساً إلا أنه كان

صوتاً أمراً بدا عليه أنه سئم العيش ن في تلك اللحظة كان يشبه وكان أحداً لم يكن ليجرؤ على النطق بكلمة واحدة أيضاً .. لذلك كان يتحدث بكل ثقة ولا مبالاة :

((وهكذا ترون روحي قد تمردت عليّ وهي تدخل في قلوب تلك الوحوش والضواري والزواحف التي ترتعبون منها و ه و .. و ه و شوو .. هي ي ي))

ركزت أنتباهي فعدت ثانية إلى ممارسة هوايتي للتوصل إلى معرفة : يا ترى من يكون هؤلاء الذين يأبى أن يغفر لهم هذا ويريد أن يترأى لهم في كل مرة على شكل غيلان ووحوش وضواري ؟

أنني في الحقيقة كنت هكذا أتخيل ، بأن الهمسات تتحول رويداً رويداً إلى عواء وعويل كنت أسمعه من بعيد ، أو في كثير من الأحيان كانت تتحول لدي إلى فحيح ثعبان سام .. وهكذا وباستمرار كان الصوت والهمسات من وراء الجدار تتحول لديّ الى نباح قريب ومن ثم كانت ترتسم امام عيني صورة كلب مسعور في ليلة مقمرة ، يعوي ويعوي من دون انقطاع .. ادقق جيداً وامعن في الصوت اسمع من وراء الجدار هريراً عن كئيب .. شعرت بنوع من الفزع والرعب الشديدين ازاء منظر كلب مسعور يتقطر لعاب السعار من لسانه ، ويبرز بوجهي انيابه الحادة وهو يرتسم امام عيني ومن شدة تكالب الديدان داخل جمجمته يحاول ان يهاجمني ويبيد بقية حياتي وأمنياتي الضائعة التي لم تتحقق ويطعمها لمحرقه ايامي الاربعين من سعاري ..

وهكذا وكمن حاصرته هواجس الرعب والهلع من جميع الجهات ، اختطفتُ على وجه السرعة المسدس البلاستيكي لأبني الصغير ، ولكي ادخل الرعب في نفوس من هم وراء الجدار سحبت زناده عدة مرات وهكذا وبتلك الوسيلة بقيت على أهبة الاستعداد .. متخيلاً أنني بهذه الخدعة أنما أحافظ على نفسي من شر كلب مسعور . كنت سارحاً في تخيلاتي هذه حين ران الصمت والسكون على طرفي الجدار مثلما كان سابقاً وامتلاً منخري برائحة الشياطين .. رائحة تشبه احتراق الصوف والجلد والشحم المحروق تماماً .. قذفتني الرائحة في دوامة من

هو اجس عديدة .. وكنت بين مصدق ومكذب بمنطق تلك اللحظة . ربما أنهم يحرقون أنسناً وهو حي وراء هذا الجدار .. أو أنه ذلك الكلب المسعور الذي كنت أسمع عواءه قبل قليل .. أذن حسناً فعلوا حين قاموا باحراقه وانقذوني من شره .. ولكن مهلاً لماذا لا اسمع صراخاً ولا صوتاً ولا أنيناً ولا صياحاً .. على أية حال فلربما كان المحترق – سواء أكان أنساناً أو وحشاً أو أي كائن آخر – قد كم فمه وشد بحيث لا يستطيع أن يصدر صوتاً أو أنيناً أو عويلاً .. ثم من هو الفاعل لهذه المحرقة يا ترى؟! .. وما هو رأيك؟ .. رددت هذه الأسئلة مع نفسي ، ولم أتوصل إلى أي جواب يشفي غليلي . أختلط الصمت برائحة الشياطين فتشنتت من جرأته تفكيري .. غير أن حفيف شيء مسحوب أعادني فجأة إلى تركيز وعيي .. كان الحفيف شبيهاً بسحب كيس وجرجرته أو كارتون معبأ .. وفي الوقت نفسه قادتني توقعاتي إلى عملية سحب جثة ميتة .. وفي هذه اللحظة أمثلاً منخري برائحة شراب حارقة .. عندئذ اقلقت التهامسات التي كانت تدور وراء الجدار السكون المطبق ثانية :

((يا شرافت ، يالفرحتي ، أذ تجشمت عناء زيارتي من قبل أن أموت .. لقد كنت على قناعة بأنني صرت لديك في عداد الأموات .. بالله عليك قولي كيف يمكنك المكوث داخل هذه القنينة من الخمر؟! ياشرافت ، كم أنت رائعة!! .. يالخيمة خصلات شعرك السوداء!! أنك لازلت تلك العروس الفاتنة التي كنت ، والتي تشدني عيناها بنداواتهما الساحرة .. أنا واثق بأنك لن تهجريني بعد الان . ياشرافت . لقد أودت الوحدة بكياتي من دونك ، فحولتني إلى رحالة هائم على وجهه لانفع فيه حيث أستحالت الدنيا بعيني سجناً ضيقاً مظلماً .. أشفقي علي ولا تهجريني في هذه المرة وغضي النظر عن ذلك النباح الذي يصدر مني من حين إلى آخر . ألا تدرين أنني في سنة الكسوف تلك السنة التي تحولت فيها الدنيا إلى بحر من الظلمات ، وبغية الايهام والتمويه دأبت على شرب الخمر والنباح .. دأبت على التخفي والتستر ، لان العالم برمته كأن يترصدني .. كان جيش من العساكر يقفني أثري ويتتبع خطاي ، خطوة خطوة .. لقد راهنوا على قطع رأسي .. كانت فروة جلدي في ذلك العهد أئمن من فروة الثعالب .. ولذلك كان ينبغي

علي أن أختفي عن الأنظار ، وادعي الغباء .. وأن أفقد أنسانيتي بين حين وآخر
والجأ إلى النباح .. حتى أنه كان ينبغي علي أن أتجاهلك أيضاً لكي لا تحترقي
بناري .. ياشرافت كان ذلك إبان سنة الكسوف لكنني فيما بعد لمست أدري ما
الاسم الذي أطلقوه عليها .. أنا كمثل وعل بري جافل كنت ارتقي الهضاب
والمرتفعات العصية العالية لاظل على أهبة التردد ، ألا أنني من شدة ظلام
الكسوف وحلوكته اضطررت إلى الانحدار نحو السهول والبراري ، غير أن
الدنيا كانت ما تزال حالكة الظلام . لدرجة أنه كان يخيل للإنسان أن الشمس لن
تشرق مرة أخرى أبداً . ولذلك كنت عندما أنشبت بأي مكان ، كان يعج بأولئك
الجنود السمر الذين راهنوا على قطع رأسي .. كان أولئك الجنود بعد توقف
القتال واستشراء البطالة بينهم ، منهمكين في مطارنتي ، بغية اصطيادي .. وأنا
بسيماتي المعفرة ولحيتي الكثة كنت أشبه تماماً وعلاً برياً جافلاً .. وهكذا وبغية
أيهام أولئك الجنود والجيوش وتشويشهم ، دأبت على عادة النباح .. حيث خوفاً
على حياتي امضيت شطراً من عمري بهذه الوسيلة مع أنني كنت في قرارة
نفسي أستهجن هذه العادة فأقول لنفسي هيا أيها الكلب السكير المدمن (دولتيار)
فلننتظر إلى أين توصلك هذه العادة القبيحة المقززة ! .. هيا أفضح نفسك كي
تبقي على ذلك الرمق من روحك .. ياشرافت تاكدي أنني لم أختَر هذه السجية
الكلبية بمحض أرائتي .. كان ذلك قدراً حتم علي أن انبح .. كان خوفاً من تلك
النبضة من روعي الذي بترني من قطيعي وحشرنني بين قطيع الكلاب ..
ياشرافت هل تفغرين لي ؟ ! .. فإذا غفرت لي ولم تهجريني فأنني لن انبح بعدها
أبداً ، ولن تخرج أية نبحة أو هرير من فمي ، ولن أعض بأنيابي أحداً كي
يصاب بداء الكلب .. ولسوف أغتسل من أدراكي وأتطهر واعدود إلى ذلك
(الدولتيار) السابق .. وانت ياشرافت يا عروستي البكر ايام الزمان .. هل
تسمعيني ياشرافت ؟) .

مرة أخرى خيم الصمت والسكون على جانبي الجدار العالي .. ارتفع صوت
مذياع بشكل مفاجئ (انفجرت سيارتان ملغومتان في محلتي (عاشور) و
(قورية) بكر كوك) .. بعدها مباشرة سكت صوت المذياع ، فحلت محله

الهمسات .. في الحقيقة أنني خلال عملية ترصدي قد تعرفت على كل الأصوات الصادرة من وراء الجدار فصرت اميزها عن بعضها ، مثلاً كنت أميز صوت (دولتيار) وصوت فرقعة سدادة قنينة الشراب وحتى رائحة الخمرة لديه رد فعل أزاء الأخبار التي يبثها المذيع : ((كفى ثرثرة لقد أمتلأت جمجمتي منذ زمن بحوادث القتل والأقتال . منذ أن وجد هذا الكائن على وجه البسيطة فالقتل والقتال مستمر دون هوادة .. أن نباحي لهو افضل بكثير من إقتالهم حب .. حب .. وه و .. وه و .. ياشرافت هل عدت ثائية إلى داخل زجاجة الخمرة ! ؟ ياشرافت ألم أعدك بأن لا أعود إلى النباح مطلقاً ، ولكن ماذا افعل بهذه العادة السيئة التي تأبى أن تتخلى عني ..

حسناً سوف أعلن توبتي الان على يديك .. سأتوب توبة نصوحاً .. أنا واثق بأنك سوف تغفرين لي .. ثم أنني لمعرفتي بك أعلم أن قلبك صاف لا يحمل ذرة من الحقد والضغينة .

اواه يا(شرافت) من هم هؤلاء العلوج الذين ينادمونك ! ؟ ثم أرى أنهم عراة مثلك يطاردونك عبر أمواج الخمرة .. ها هوذا في كل مرة يقرب منك واحد منهم حد الملامسة ومن ثم يعتصر جسدك ويقضي وطره منك .

يا ويلتي ياشرافت ، يالمصيبتي ، لقد عشيت عيناى من الحسرة .. والأنكى من كل ذلك أنني أعرفهم جميعاً أن كل واحد من هؤلاء كان أقرب إليّ من حبل وريدي .. أن هؤلاء هم نفس أولئك الذين عاصروني والأن يحسبونني في عداد الاموات ولربما قد أندثرت حتى رفاتي حسب تصورهم، اواه ياشرافت أن الدنيا بعيني ظلماء ، دامسه كأيام الكسوف الحالكة السواد ..

ياشرافت هيا أخرجي من عنق زجاجة الخمرة تلك لقد اختنقت ، هيا أخرجي .. أخرجي من مستنقع شهوات أولئك العلوج الانجاس .. لقد اختنقت .. هيا اخرجي (وآلا ..))

بعدما أنتهى (دولتيار) من هذه التوسلات والتضرعات لاذ بالصمت وخمد فترة من الوقت .. ولكن انطلق دوي من جانب الجدار بشكل مفاجئ ، وتناهى

إلى سمعي صوت تكسر زجاجة الخمرة .. سمعت رنين قطع الزجاجات وهي تتساقط .. وبعد أن تلاشي صوت الرنين مباشرة سمعت (دولتيار) وهو يتكلم بصوت مؤثر ولكنه ارفع من السابق : ((هكذا أحطم اوصالكم واحرق الاخضر واليابس منكم حتى شرافت فسأقطع أوصالها معكم وارسلكم جميعاً إلى الجحيم .. وبعضة .. مني بأنيابي سوف ابتليكم بداء السعار . وازرع في جماجمكم بيوض عشرات ديدان السعار .. لكي وفي الاربعين يوماً المتبقي من حياتكم تضيق عليكم الخناق قشرون بالهرير والنباح مثلي ، وتملؤون الدنيا بالنباح وتعضون بأنيابكم الاشجار والصخور .. ومن جراء ثوران الديدان في جماجمكم تظلم الدنيا بعيونكم ، فتتشبثون بكل شيء كالعميان داخل جدران قصوركم وتتبحون .. ومن شدة مصابكم تهرعون صوب البراري والقفار وتعوون وتعولون مثلي ، يعض بعضكم بعضاً بأنيباه ، وتقطعون اوصال بعضكم بعضاً تقطيعاً .. هكذا اقطع دابركم واسحقكم سحقاً)) . بعد برهة من الصمت تنأهى إلى سمعي صوت اجهاشة (دولتيار) والذي كان يقول بصوت متهدج مبوح : ((ياشرافت اغفري لي ، وهل كان باستطاعتي أن أقف عاجزاً مكتوف اليدين إزاء جسدك الغض العاري والذي كان يميل له لعاب أولئك الانجاس .. لم أكن لأستطيع أن اميزك من بين اولئك العلوج وأمد يدي فاستلك من بينهم كما تمل الشعرة من العجين ، وبتلك الوسيلة استلك من بين امواج الخمرة لأضمك بين ذراعي ، وتمستقري بين أحضاني إلى أبد الأبدن .. لذلك تجرأت على قتلك جنبا إلى جنب معهم أيضاً . ولكن مهلاً أنك في تلك اللحظة كنت تشبهين فرساً بحرية يستبد بها الشبق والشهوة ، في حين كان اولئك كمثل أحصنة جامحة تصهل حواليك .. كنت أسمع صهيلهم .. أسمع فحيح الشهوة عند التصاقهم بك ..

أذن كيف لا احرق اليبس والاخضر معاً انتقاماً لي ولك ؟ .. وكيف لا أحطمك أنت أيضاً معهم !! .. أف ، ياشرافت .. يالوحشتي بعد موتك وبالحرقتي ووجدي الا تدرين يا نور عيني بأن موتك هو موتي أذن هذه هي نهاية العالم ، لا النباح يبقي ولا عرق للسعار ، سوف يبيدون ديدان السعار عن

بكرة أبيها ، لتنتهي إلى الأبد أنسالها واجناسها من الوجود عندئذ لن يعرض أحد الآخر بانياهه .. ولسوف تنسى كلمات السعار من الذاكرة ، ولسنوات طويلة ، وطويلة جداً ، لن يصاب مخلوق بداء الكلب، الا اذا ظهر إلى الوجود (دولتيار) اخر و (شرافت) اخرى ، ليأخذ علوج مثل علوج عصرنا المتطفلين يخناقهم مرة أخرى ، فيصاب من جراء ذلك (دولتيار) ذلك العهد وتلك المرحلة بداء الكلب خوفاً من اخصائه وكمدأ على شرافته الجميلة ، فيتصدى لأولئك العلوج ويمحقهم محقاً .. يا(شرافت) هل تغفرين لي ما اقترفت من ذنوب؟ .. أليس كذلك ؟

وهكذا ، كتمت تلك الانات في صدري واسلمت نفسي لقضاء الأخرة وداعاً ياشرافت ..

في اعقاب توديع (شرافت) خيم الصمت والسكون مرة أخرى على جانبي الجدار ، كما كان ولكن في هذه المرة ، كان مخيفاً جداً ومرعباً إلى درجة بحيث كان كل شيء تتبعث منه رائحة الموت ورائحة الخمرة .. وكنت تأوهات (دولتيار) وتضرعته عاصفة الالهية هبت فجأة وبشكل غير متوقع لتجرف كل الأصوات والروائح معها ، والأثر الذي قد تبقي في مسمعي ، كان هو صدى رنين قطع الزجاجات المتكسرة والتي تساقطت على جانب الجدار فتناثرت هناك .. من هنا تأكدت أن تلك هي نهاية دنيا بعينها .. وبعد تحطم (شرافت) مباشرة ، انطلقت أنة من صدر (دولتيار) أيضاً وعاد إلى خموده الأبدي .. عندئذ علمت أن تلك هي أيضاً نهاية مخلوق بشري كان اسمه (دولتيار) لم يكن له سابق معرفة بأي فرد من افراد هذا الزقاق ولا كان أحد يعرف من هو ومن أين جاء .. ولربما عدوا نباحه من قبيل نباح الكلاب السائبة لهذه المدينة .. ناديت بملء حنجرتي :

- دولتيار .. تكلم .. ارفع صوتك .. أنا افهمك .. يا دولتيار أجبني .. أنني الان أوشك أن اتعرف على روحك .. يادولتيار هل نمت ؟ هيا ارفع صوتك .. هيا فتأ أيضاً مثلك .. يادولتيار .. دولتيار ..

بجسد متعب ورأس مشحون بالدوار ، تركت جانب الجدار فشرعت أنادي
(اشرافت) بشكل مستمر حتى وقت انبلاج الفجر .. ومن خلالها كررت ، ما
قاله (دولتيار) طوال تلك الليلة .. بعدها سرعان ما قمت الباب وناديت
بأعلى صوتي :

- هوووو.. لقد مات جارنا.. ثمة كائن حي ، كان جارنا .. وقد مات ..
كانت الشمس قد نشرت اشعتها واعتلت أفق السماء ، غير أن باب بيت
جاري كان لا يزال موصداً كما كان دائماً .

أحضان المدينة
جيهان عمر

كان يخطو خطوات هادئة وبطيئة، يده في باطن جيب المعطف، ينظر الى الابنية الشاهقة ، وبدأت الحركة في الشارع ، الناس يخرجون من بيوتهم متوجهين الى مقرات اعمالهم ، الشمس بدأت بالظهور بين العمارات العالية ، الجو بارد لحد الآن ، تحرك من

ساحة الطيران ، العمال متراصون على رصيف الشارع منتظرين حظهم للقامة عيش اليوم ، عندما يظهر المقاولون او اصحاب العمل ، يتحرك العمال نحوهم ، ولكن أكثرهم يرجع الى مكانه السابق بسبب حظهم السيء ، وكان يفكر بحياة الناس ، بأطفالهم ، بأضطهاد اصحاب العمل لهم ، الا انه لا تهمة الفكرة كثيراً ، لكونه اصبح من اصحاب الثروة الهائلة ، بواسطة السوق السوداء ، الحرب و اضطهاد الناس و عوامل الدكتاتورية في النظام ساعدته على ثروته... تحرك نحو زقاق محلة البتاوين ، رائحة المياه القذرة تملأ خياشمه ، وكان يريد ان يتقيا و اسرع بالمشي بغية تخلص نفسه من القذارة ، وصل الى المخبز القريب من الفندق ، دخل صف طالبي الصمون ، كان ينتظر استلام حصته ، ومد طفل يده الى شباك استلام حصة الصمون ، رفض البائع تزويده بالصمون لعدم امكانه دفع قيمة الصمون كاملاً ، توجه الطفل بنظراته الى الناس المتراصين في استلام الحصة لمساعدته بغية الحصول على الكمية المطلوبة ، ولم يستجب الناس له ، وهو مد يده ليدفع قيمة صمون الطفل ، وكان ينظر الى وجهه و ملابسه ، وقال له :

- هل انت بيشمرگه ؟

- كلا .

- لماذا يقولون ان الذي يلبس الملابس الكردية هو بيشمرگه ؟

ابتسم لفكرة الطفل ، واستلم حصته من الصمون ، وتحرك نحو مدخل الفندق ، وهو ينظر الى الطفل و الناس ، وكانت الشمس قد احتضنت ابنية بغداد و نهر دجلة و أشجار النخيل ،... استقر في بهو الفندق و بدأ يفكر ..

ساعة في حضرة طبيب السعادة
حسن سليمان

"يا للسعادة.. أدخل ودع القلق.. سأمنحك السعادة".

في باب العمارة الرئيسي قرأت هذه الكلمات داخل قطعة بلاستيكية مضاءة بنيون أبيض.

منذ زمن بعيد كنت أفكر أن أزور هذا الطبيب النفساني الذي يدّعي بأنه يخلق السعادة لزواره.. هل يصدق أحدكم هذا الكلام؟ هل رأى أحدكم هذا الطبيب النفساني؟ ومن يقول أنه عالم؟ ترى لماذا أشك في أمور كثيرة؟؟..

صعدت إلى الأعلى إثنى عشرة درجة، حينما استندت إلى اليمين، وجهاً لوجه صرت قبالة صالة صغيرة، بكنبة خشبية صغيرة قديمة، وخمسة كرسي يملؤها الغبار المتراكم، ومنضدة مهترئة عليها بعض المجلات الأجنبية..

أكاد أجزم بأن هذا الطبيب النفساني قد اشترى أثاثه البالي هذا من سوق الهرج في باب الطوب، قلب المدينة الآمنة النائمة على ضفتي دجلة الخير بهدوء.. تأملت الغرفة والجدران المشبعة برائحة عفنة كجلد كلب قد مات قبل أيام.... في الجدار المقابل لي رأيت لوحة تخطيطية لكلب يداعب قطة بمرح جارف.. أسأله ماذا تعني هذه اللوحة أول ما أدخل عليه؟ أم تراه سيغضب؟؟

ولكن يقولون، أن العلماء النفسانيين لا يغضبون بسرعة، وأن غضبوا ألقوا بأنفسهم من الطابق العلوي.. أخشى أن يرمي صاحبي هذا بنفسه من شباك عيادته ليتكوم حول نفسه جثة هامدة على رصيف الشارع لتخرج صحف الصباح التالي، وتعلن عن موت عالم عبقرى في ظروف غامضة، وليطلب أساتذة القانون بحوثاً مفصلة من طلبتهم حول هذه الحادثة المأساوية، وأرائهم الخاصة بها.. وأنا حتما سأكون ضيف التحقيق والمحاكم لعدة شهور لمجرد أنني كنت الوحيد الذي راجع عيادته هذا اليوم.. اووووه... أرجوك أيها الطبيب النفساني، كن طيباً ولا ترم نفسك من الشباك قبل أن تلقاني..

نفضت الغبار عن الكرسي، وما أن جلست عليه حتى سقطنا سوية وأحدثنا صوتاً مزعجاً، ورددت الصالة الصغيرة ذلك الصخب.. فتح الباب الذي أمامي على الفور، خرج منه رجل يرتدي بنطالاً أزرق وقميصاً وردياً، في يده اليمنى مسطرة بلاستيكية بيضاء، كالشعر الذي يغطي فؤديه:

-ألا تنتبه قبل أن تجلس؟! ألم تلاحظ أن الكرسي بثلاث أرجل فقط؟
كان في كلامه معي، كمن يخاطب طفلاً في العاشرة من عمره، علماً أن شاربي
يسودان المساحة الممتدة من أسفل أنفي حتى الطرف العلوي من شفتي
السفلى..كان غريب النظرات، يطبق عينيه ويقحهما بين لحظة وأخرى..حقاً
كانت مضحكة جداً ربطة عنقه، خضراء بلون الشجر وعليها رسوم كارتونية،
كالتى على قمصان المراهقين..

-أرجو المعذرة إن كنت قد أزعجتك..صدقني لم ألاحظ أرجل الكرسي..بهدوء
وخشوع مصطنع قلت للرجل الذي أمامي..

نفضت الكرسي الثاني بمنديلي الذي لم يغسل قبل أكثر من أسبوع..جلست وكان
هو يرمقي بنظراته المتفحصة:

- لديك مشكلة؟ أليس كذلك؟

" إن لم تكن لي مشكلة، هل كنت أحضر إلى هنا؟ "

- نعم وأريد مواجهة الطبيب النفساني إن أمكن..

حتى ابتسامته لم تكن ابتسامة، بل ظلاً لضحكة:

تفضل ادخل، أنا هو بعينه..

كنت أعتقد أن هذا الذي أمامي هو أحد مساعديه، أو سكرتير مكتبه..

جلس الرجل على كرسيه الدوار الأنيق، كنت أحسب أن المدراء والمسؤولين
الكبار فقط يجلسون على الكراسي الدوارة، لم يكن يخطر ببالي أن يكون لطبيب
السعادة هذا كرسي دوار. كتب متفرقة كانت على منضدته بشكل عشوائي..
فوق رأسه كانت صورة ملونة لطفل عار تماماً، كما أنا أو أنت أو هو حينما كنا
في مثل سنه.. كان يبتسم للاشيء، أو ربما لجملة أشياء نجهلها ولا نراها نحن..
ليتنى عدت طفلاً، أه لحياة الطفولة الحالمة على ضفاف الخابور، بلا تفكير.. ما
أروع الطفولة!!

خطّ خطين غير متمساويين على الدقتر الصغير الذي أمامه.. رفع المسطرة
في وجهي، فاجأني بقسوة وصوت خشن، ذكرني بمعلم الحساب الذي كان
يرتدي الجبة والعمامة ويصرخ في وجوهنا بانفعال لا مبرر له، حينما كنا

نخطئ في حل مسألة حسابية وما كان يمل قط من ضربنا بالخيزران الذي لم يكن يفارقه كعمامته، كانت آثار ضربه واضحة في أيدينا، وكثيراً ما كنا نبكي.. نعم كنا نبكي.. كنا صغاراً وبرد الجبل ما كان يعرف معنى الطفولة..
- اسمك.. سنك.. عمك؟؟

" إلهي ما هذا هل نحن في محكمة.. هل اقررت جرماً لا أدركه؟ هل هناك داع لطرح الأسئلة بهذا الشكل الاستفزازي الغريب؟ أشد ما أخشاه أن يكون طبيبي هذا مجنوناً.. إلهي ألهمني الصبر.."
- عفواً.. هل هناك ضرورة لمعرفة الاسم والسن والمهنة؟ أرى أن أطرح عليك مشكلتي أولاً..

مد إبهامه إلى جوف أنفه، سحب شعيرتين من داخلها، مسح إبهامه بالورقة التي أمامه.

انتابنتي موجة من الضحك، بصعوبة بالغة استطعت التغلب عليها وخنقتها في بلعومي.. من لا يقول، أنه كان سيقدني بتلك المنفضة الزجاجية، التي ليس فيها أي أثر لعقب سيكارة أو عود ثقاب، لو أن ضحكتي انطلقت حينها.
قال الرجل الذي أمامي:

- نعم.. نعم يا صغيري، هذه الأمور مهمة للطبيب النفسي، لتساعده أكثر على معالجة مريضه، هذا شيء من اختصاصنا نحن الأطباء، حتى معارضي بافلوف يحبذون هذا..

لا أعلم من أين خطر ببالي في ذات اللحظة أسماء:

كاربوف، عرب شاميلوف، هل أسأله عن سبب خسارة كاربوف لبطولة العالم في الشطرنج؟ ولكن لم؟ طالما أنني أعرف جيداً أن لا أحد يظل في موقعه طول العمر، فهذه هي إحدى بديهيات الحياة.. لماذا يجذبني أسلوب عرب شمو الرصين في ملحمة قلعة دمدم ولماذا تتجسد أمامي بكل هذا الوضوح صورة بطله التاريخي "خاني ذو الكف الذهبي"؟ ليتني أعلم سر مخاطبته لي أحياناً.. هل يدري هذا الطبيب.. ما سر مخاطبته لي حينما يخرج الحوت من الماء ويطير إلى السماء!!..

كردو شمدين كريم

- ماذا كردون؟

كردو.. كردو... كاف، واو، راء، دال، واو، كردو..

- ألا بيدو اسمك غريباً.. أ.. أقصد ثقيلاً بعض الشيء؟

- لا إنه سهل وبسيط جداً.. فقط قل معي كردو وسترى كم هو سهل التلفظ.

كالآن أتذكر جيداً ذلك اليوم الذي سألتني فيه معاون الإعدادية بنوع من التشنج:

ماذا يعني كردو.. ياكو.. ردو؟!!

ابتسمت في وجهه بنشوة وقلت له بأدب جم:

- مثلما سيكون جوابك لو سألك أحد ما، ماذا يعني يعرب يا أستاذي...

كان أستاذي هذا يكره في مناقشتي وأسئلتي التي لا تنتهي علماً أنني كنت متفوقاً

في مادته، وأظن أن هذا كان يقلقه كثيراً...

لم يبد طبيب السعادة ارتياحاً لكلامي، مثل أستاذ الإعدادية .

وعمرك؟

ثلاث و ثلاثون سنة وخمسة أشهر وبضعة أيام حسب ما مدون في بطاقة

الأحوال المدنية إن كانت صحيحة.. ((هل تعلم أنني مصاب بمرض الشك في

صحة الأشياء؟!)) كان الطبيب يدون هذه المعلومات على تلك الورقة الصغيرة

أمامه...

- أين تسكن حالياً؟

حي القر!!..

"هل أقول له حي القر؟ هذا هو الاسم الذي أسمعته منذ أن وطأت قدمي أرض

هذه المدينة، وهكذا يسميها الناس، محلة القر.. نعم يسكن فيها بعض القر،

وهم يشحذون ويمارسون الكدية علناً، وأن بعض نساءهم يمارسن البغي تحت

ضوء الشمس وهذا يحدث أيضاً في بعض الأحياء التي يسميها أناس حيناً، بـ

الأحياء الراقية... وأن أطفالهم يشتغلون بمهنة صبغ الأحذية. أحذية الكبار الذين

يجلسون خلف مناضد كبيرة وغرف نوم مريحة، مكيفة، ولا يتوانون عن سرقة

أموال الدولة في اللحظة المناسبة وحين يقضح أمرهم، يلصقون التهمة بمن هم

أدنى منهم في السلم الوظيفي، أليس هؤلاء قرجاً؟؟... في السنين الأخيرة بدأنا نسمع باسم جديد لحيننا "حي الجزائر"، صيدلة الجزائر... أفران الجزائر... الجزائر... الجزائر... من أين جاءت التسمية؟ من أطلقها؟ أ جاءت اعتزازاً بدولة الجزائر العزيزة وشهدائها المليون في سبيل الإستقلال؟! أم هناك سبب آخر؟ مابك؟ لم تجب.. -عفواً حي الجزائر.

"هل تعلم أيها الطبيب النفسي، أن حيناً يفيضُ إذا استمر هطول المطر لثلاث ساعات متتالية، وأن أطفال حيناً يجدون متعة في السباحة في المياه التي تملأ كل أزقة الحي، مثل متعة أطفال الأحياء الراقية بمساحهم الكونكريتية المزدانة بالأضواء الباهرة، والمحاطة بأنواع الزهور والرياحين والثيل الأخضر... هل تعلم أن أطفال حيناً يشتمون أمهاتهم بأقذع الشتائم، وأنهم يتبادلون الأدوار، إنها فرصة طيبة لتعرض المراهقات سيقتهن وسط الماء.. لقد وعد رجل البلدية الأهالي خيراً وربما يتحسّن الشارع الرئيسي وتختفي أكوام النفايات من الحي."

-ها...ها... حي الجزائر أعرفه جيداً، الخادمة التي تشتغل عندنا في البيت من هذا الحي.. البيت الثالث على اليمين، قرب مستوصف الصحة المدرسية، اسمها زينب... على الرغم من أنها أمية إلا أنها ذكية، هل تعرفها؟ -لا...

- وعملك يا كُردو؟

مساعد أمين مكتبة...

أخرج آلة تسجيل متوسطة الحجم من درج مكتبه، تأكد من ربط السلك الموصل للتيار الكهربائي، ثم وضع شريطاً في جوفها، ضغط على زرّين معاً، رفع عينيه المخبتتين خلف نظارته السميقة وقال:

- لكي أتمكن من علاجك بدقة، عليك أن تكون صريحاً وصادقاً وأن تقول كل ما لديك بمنتهى الحرية... ها

مم تشكو؟

"أن تقول كل ما لديك بمنتهى الحرية، يا للحرية... أذكر جيداً، أنني صققت من الأعماق لابن آدم التونسي حينما قال في بداية قصائده القصيرة "لأن الحرية متوفرة بكثرة في بلداننا، سنقوم بتصديرها إلى دول العالم الأخرى."

أحسست بشي من الراحة حينما اعتدلت في جلستي: منذ أكثر من سنتين بدأت تراودني أحلام مزعجة، تفلقتي، لدرجة أنني وأنا نائم، أنهض دون وعي وأقوم بأعمال لا إرادية. كوابيس لعينة تسكن جسدي تسمير في كل أنحائي كالدّم، تسلبني إرادتي، تسيّرني حسب ما تريد... تصوّر يا طيب السعادة أن زوجتي التي أحبها أشد الحب، أردت أن أخنقها وأنا نائم... نعم نائم يا حضرة الطيب.... أردت أن أكذبها، لكن والدتي أكدت لي وقالت لولا وصولي في الوقت المناسب بعد صرختها المدوية لكانت جثة بلا روح... وتقول أُمي أنك غالباً ما تخرج بعد منتصف الليل وحين نريد أن نمنعك تصير عيناك جمرتي نار، ويتقلص وجهك وتغدو وحشاً برياً شرساً، نخاف منك، نبتعد عنك، وأحياناً تعود مع أذان الفجر إلى البيت وتنام لتستيقظ وتتناول فطورك وكأن شيئاً لم يحدث البتة...

وأنني لأتذكر جيداً يا طيب السعادة، ذات ليلة رأيت حوتاً كبيراً يخرج من النهر، ويحرق في وجهي ثم يطير إلى السماء ويقرب من الغيوم.

يجتازها... يطير ببطء إلى القمر المتلألئ... يقرب منه... يفتح فمه الواسع كالكهف ويبتلع القمر... يختفي ذلك الضياء الجميل الجذاب ويحل الظلام في الأرض والسماء... ويهبط ثنية إلى النهر... أحمل محراث جدي واتجه إلى النهر لأقتل الحوت وأستعيد منه القمر، أرى فجأة قطعاً من الذئب الظامئة للدماء البشرية تظهر أمامي وتلاحقني، أترجع قليلاً، يصرخ بي "خائي ذو الكف الذهبي."

-لاتراجع يا كردو... سأساعدك.. وينطق كبير الذئب، كالبشر:

طري لحمك يا فتى

تهاجمني، وأنا أتسمر في مكاني، يبهت لوني، تموت الكلمات في حلقي ويقبل "ميرزا محمد" بحصانه الأشهب ويرفعني عن الأرض ويضعني خلفه ويعود

بي إلى حيث أسكن... وأستفيق... لا خائي.. لا ميرزا محمد.. ولا حصانه.. عواء
الذئاب يملأ أذني.. أخرج من الفراش تحس بي زوجتي، تتوسل إليّ:
- أرجوك أن لا تخرج.

ما ذنب هذه المرأة لتتحمل كل هذا العذاب.. صدقتي يا طيبب السعادة لا أحس
بنفسي حينما أحرق البطانيات وأضرب صغاري، وأصرخ على هواي في كل
أرجاء البيت، وأطرق أبواب الجيران.. أحدهم يقول:
- دعوه لقد جن.

وآخر يقول:

- لم لا ندخله مستشفى المجانين..

وعجوز مقوس الظهر يقول: دعوه لحال سييله، إنه طيب.. وأنت ماذا تقول يا
طيبب السعادة؟

هز الطيبب رأسه عدة مرات، رمى نظارته على المنضدة، ما أن تحركت
شفتاه، حتى ملأ رنين الهاتف أرجاء الغرفة التي تحتوينا.. أوقف آلة التسجيل،
رفع سماعة الهاتف وبصورة ميكانيكية قال:
- نعم.. نعم، أنا، أنا عيفان راضي.

-.....!

- يا إلهي ماذا تقول، في المستشفى العام!! أنا أت..

ارتبك كثيراً، تناول ستريته ونظارته، قال لي وهو يترك الغرفة:
تعال بعد أسبوع.. ولدي في حالة خطيرة، حادث سيارة..

خرجت خلفه مباشرة لم يكن في الصالة أحد غير شاب بجلباب طويل وأكمام
عريضة وهو يكنس أرضية الصالة المتربة. اشتريت من الصيدلية الكبيرة، علبة
حبوب كالتي معي واتجهت إلى موقف الباص وأنا أقول لنفسي "هل حقاً أنا
مجنون.. أم في عالم مجنون؟؟" وضحكت..

انتبه بعض المارة لذلك فخلت بحق.. أثرت السير على الأقدام، طالما أن
المساء كان هادئاً..
أتصدقون؟؟..

مخاض قصة

حسين عارف

ترجمة : د. عادل گرمياني

لم تكن الفتاة من ناحية الجمال بالجميلة جداً . فأنفها طويل .. لا.. لا.. لا تستعجل في أمرها .. أعتقد أنها امرأة و ليست فتاة ، وهذا واضح على سيمائها من خلال زينتها و تبرجها المثير للانتباه ، ومن خلال طبيعة الملابس التي ترتديها ، ومن خلال نممت و جلاجل طاقيه رأسها ، و .. لأ أعرف هل أقولها أم !.. نعم سأقولها .. وكذلك من خلال لسانها السليط و تشاجر ها .. واضح من كل هذا ، بل و يتضح أكثر أنها امرأة و ليست فتاة .. أذن يجب أن أقول : أن المرأة من ناحية الجمال ليست بالجميلة جداً ، فأنفها طويل ، ووجهها البضوي الشكل ينتهي من الأسفلبحنك ذي استدارة حادة و عليه حفرة صغيرة ، فوقه خدان ، وقرب نهاية جانبي أنفها الطويل هناك عينان كبيرتان سوداوتان مكحلتان ، فوق العينين حاجبان رفيعان جداً فوقهما صدغ مغطى بخصله من الشعر معقودة على شكل ذيل الحصان ، وهناك تحت أنفها الطويل توجد شفتان رفيعتان ملتصقتان من جانبيهما ببعضهما .

حين وصلت إلى مكاتهم و أنتبهت لأصواتهم شاهدت هذه الفتاة في تلك اللحظة .. كلا .. شاهدت المرأة على شاكلة ما ذكرت ، ولم أرَ أبداً قدها و قامتها ، قد كنا خلف الحاجز الذي كانت تختفي خلفه ، ومن هذا الجانب الآخر للحاجز كان يقف رجلان ضخماً الجثة يحاولان بين الحين والآخر أن يوصلا أيديهما لها لكي يمسكا بخصلة من شعر رأسها المعقود من الخلف على شكل ذيل الحصان ، أو يمسكا بأنفها الطويل ، أو يمسكا بحتكها الحاد ليخرجاها من مخبئها ، ولكن جهودهما كانت تبوء بالفشل ولم يستطيعا فعل ما كنا يودان تحقيقه ، فقد كانت المرأة حقاً امرأة عنيدة أخفت نفسها خلف الحاجز بمشكل لو بقيت على تلك الحالة لن يستطيع الرجلان لسبع ليال وسبعة أيام آخر أن يأتيا بلية نتيجة ، و تذهب كل جهودهما و محاولتهما المبدولة سدى !.

نعم .. تراءى لي مشهد المرأة و الرجلين في اللحظة التي وصلت فيها إلى هناك بالشكل الذي ذكرته ، وكان صوت المرأة يتنامي لسمعي بشكل كان اشبه بصوت نمره جريحة محاصرة ، فقد كانت تصرخ و تقول :

لو قطعتماني أرباً أرباً ، ولو طحنتماني في الهاون تحت المدق ، أو طحنتماني تحت الجاروش ! ، أو جعلاً من جسدي ذرات و تذران كل ذرة منه في ربح عاصف ! لن أفعلها ! .. ولن أقعلها لن أفعل .. لن أفعل ما تريدانه !
أزداد لهذا المشهد و بشكل فجائي شبح جديد ، فقد لاحظت أن هناك امرأة أخرى مع الرجلين تقوم بين الحين و الأخر بتوجيه لكرات لهما ، و تقول لهما .
- لتخساي ولداي !.. و لتأكل الكلاب غيرتكما و عرضكما و شرفكما ! أوصلأ أيديكما لها و أخرجها من مخبئها للخارج ، فهل يعقل أن لا تستطيعا أو أنتما ذوا كتفي عريضتين و رقبتين ضخمتين أخرج تلك الكلبة من هناك و تسيطر عليها ؟!

كان الرجلان ، يلتفتان نحو هذه المرأة مع كل لكزة توجهها لهما ، و كنا برجاء و تودد يقولان لها : أمهلينا لحظة يا أماه ، و لا تفقيء أعيننا ! .. و من موقعها الحصين كانت النمرة الجريحة المحاصرة تقول لهم .

- لن افعلها ، ولن أفعلها .. لن انصاع لكلامكم ولن أخذ به ! كنتُ أول من وصل لمكانهم في ذلك اليوم و أنتبه على ما هم فيه من تشاجر و صراخ ، فقد كنتُ في طريقي اليومي المعتاد لأنجاز عمل خاص بي و منشغل به فكري و ووعيي بأستمرار ، و بالكاد كان هناك فسحة لملاحظة الأمور الأخرى التي تحيط بي ، و التفكير فيها ، فقد كنتُ أسير و أخطو خطواتي بلا وعي و أنتباه في الممر نحو مكاني المقصود ، و حين أستدرت في إحدى منعطفات الممرات نحو جانبي الأيسر أصطدمت هناك مباشرة بهذا المشهد و كل تفاصيله ، فلم يكن من المعقول وأنا بتلك الحالة أن تكون لدي أية رغبة في الوقوف و رؤيتهم و سماع ما يقولونه .. نعم ، فقد كنتُ حقاً على نفس ما قلته و كدت أن أدعهم و شأنهم ، و أكتفى بما رأيته و سمعته في تلك اللحظة ، و أوصل السير في طريقي .. ولم لأ أوصل سيرتي ؟! .. أنا الذي جعلت من سيرتي السريع داخل أروقة هذه المحكمة مهنة لي رغم قصر مدة ممارستي لها ، و كنتُ أعرف أنه شيء طبيعي أن يصبح هذا المشهد واحداً من منات المشاهد الأخرى التي سأراها في الأيام القادمة .. نعم .. فقد كدت أن أوصل سيرتي و أسرع بخطاي في طريق المقصود

، ولكن المرأة النمرة بعد كلماتها تلك وجهت نحو وجهي ونحو الحقيبة التي أحملها بيدي نظرات حادة ، ومن مكاتها و بصوت مليء بنوع من الرجاء و التودد ، وكذلك مليء بنوع اثنه بأدخال أصابع الأذانة في العيون قالت لي :
- أنقذني !.. يا حضرة المحامي أنقذني !.. أنا دخليتك أن كنتُ حقاً تدافع عن الحق !.. تعال و أنقذني أن كان تحقيق العدالة مهنتك ! تعال .. تعال واحميني من هذه الوحوش .. أتراهم كيف أنهم كقطيع من الوحوش يهجمون علي؟! .. أنهم يريدون الحاق الأذى بي .. أنهم يريدون الأيقاع بي في مازق لا مخرج لي منه .. تعال أذن واحميني. فليس لدي سواك إلجأ إليه والو ذبه !

استطاع نداؤها و صراخها أن يحقق ولو قليلاً ، أهدافها الأولية ، فقد جعلتني أق في مكاني و ثنتني عن مواصلة المسير ، وجعلتني أنتظر بلا أي كلام أو حركة ، وتغافل الرجلان ووالدتهما عن التي نادتني و ألتفتوا نحوي ، ولقطة من الزمن ترددوا عن مواصلة محاولاتهم معها وقلت حدة هيجانهم ، ولغاية تلك اللحظة لم يصادف قدوم أي شخص آخر سوى ، مازلنا نحن فقط ، وبدأ المشهد بالشكل التالي ، النمرة في مخبئها ، وأنا متمسر في مكاني أمامها ، و الرجلان يمدان أيديهما باستمرار و نظراتهما متحولة نحوي ، ووالدتهما ملتفتة نحوي و تحديق بي .. لا أحد يتحرك منا أو يتكلم ! نبدو كأشخاص الحكايات المتحولين إلى أحجار بتأثير الطلسم !

كانت والدتهما الوحيدة من بيننا التي زال عنها بعد لحظات تأثير الطلسم ، و يبدو أنها شعرت بسرعة بأني لست بذلك الشخص الذي يجب عليهم أن يخافوا منه مباشرة و بسرعة حتى ولو كنتُ أفدياً أحمل بيدي حقيبة حركت لي شقيتها و حنكها بحركة أستهزاء و أستخفاف ، وبلا مبالاة التفت نحو الرجلين ، ووجهت لك منهما لكزة ، وقالت لهما :

- لتأكل الكلاب شهامتكما و غيرتكما! أتعنيان أنكما لا تستطيعان أخراج تلك الكلبة من مخبئها و ملجنها رغم كونكما ذوي رقبة لا تقطع حتى بالطبر؟! .. ألم تتظاهرا بقدرتكما على ذبح و بتر سبع رقاب؟! ألم تقولاً اننا ذاهبان الآن

لتقطيعها أرباً أرباً ، وسنأتيك بقطع اوصالها؟! ها ..؟! .. أين هو ما كنتمما تتوعدان به؟! .

أضطرب الرجلان وارتبكا حين سمعا هذه الكلمات منها ، وبدت عليهما علامات الخجل و أنا واقف قربيهما هناك ، فانتفضا للهجوم على المرأة المختبة ولكن من جهة أخرى كنا ينتظران نحوي خلسة ، و بسرعة شعرت والوالدتهما بما يدور في أعماقهما ، و ألتفت والدتهما نحوي ومرة أخرى أظهرت لي بحنكها حركة أستهزاء و أستخفاف ، وبذات اللمبالأة التفت نحوهما وقالت :

- ماذا جرى لكما؟! .. أتخفان منه؟! .. ماذا تتصورانه؟! حقاً أنها مهزلة كانت تحدث ، فتعال أذن و أنظر للمهزلة التي حدثت ! لو أن الرجلين أخذوا بكلامها على محمل الجد و تجاهلاني ، ولو أنهما كوالدتهما تصورا مسألة وجودي و عدم وجودي هناك هما سيان ، ولو أنهما أستمررا على هجماتهما ولم يقفا هكذا مكتوي الأيدي مترددين ومشلولي الإرادة ، ولو أنهما لم ينظرا لي بخوف وذعر ، لا أتصور أنني أصل لما وصلت إليه من حالة !! فأتنا من حينها ولأن لم أتفوه بأية كلمة ، وكنتُ مثل ذلك الإنسان المتحجر منذ لحظات ، بينما كانت والدتهما من طراز أعوذ بالله منه ! ففي البداية نادتهما بحقد غير محمود العواقب ، وقالت لهما - الست أخاطبكما؟

لو أن الرجلين اخذا بكلمات والدتهما لكان أملي بالنجاة مما حدث باقياً ، ولكن مالمعمل مع حظي التعس الأسود ! فقد بقى الرجلان بلا حركة ولا تسأل عماذا حدث ، فقد قفزت والدتهما نحوي من مكانها أقل من الثانية ، ومثل قطعة متوحشة أعززت في وجهي أظافر الأصابع الخمسة لكنتا يديها وأحدثت جروحاً وخدوشاً في خدي ، وجعلتاه مثل بطيخة صغيرة مخططة ، وبعدها أبتعدت عني ووقفت أمامي بلا هم وبلا مبالأة ، وفي هذه اللحظة فقط جاء الشخص الثاني الذ كان بلا أية دراية أو علم بتفاصيل الكارثة ، وكان هذا الشخص بالمصادفة من أحد زملائي المحامين ، وحين شاهدني بتلك الحالة أحدث ضوضاء و ضجيجاً تجمع بعدها حوالي الشخص الثالث ، والرابع ، والخامس الذين كانوا أيضاً من زملائي المحامين ، وكان الشخص السادس رجلاً من أفراد الشرطة في دائرة

المحكمة فاحاط بالمرأة وقبض عليها ، فسلمت له نفسها بلاهم و بلا مبالأة ،
وكتها تحولت إلى ذلك التمثال الحجري الذي كان واقعا تحت تأثير الطلسم ،
وبعدها حين رات وجهي الذي أصبح كبطيخة صغيرة صفراء مخططة توقفت
عن كل حركة ، ولم يبدر عنها أي كلام !

أرتبك كثيراً زميلي الذي لا علم له بتفاصيل الكارثة ، واضطرب بشكل لم يكن
ليهدا ومثل (مكوك) الحائك كان يسير ذاهباً و عائداً بيني و بين المرأة و رجل
الشرطة ، وبنظرة ملؤها الأصف و الحزن ينظر نحو وجهي وبدا كأنه أصيب
بالدهشة وفقدان الكلام و النطق ثم يعود بعدها بسرعة نحو المرأة ورجل
الشرطة ، وفي النهاية حين بدأت أتجه نحو حالة اليقظة و عودة
النطق للساني الأبكم قلت اخاطبي نفسي ناظراً تارة نحو يميني و تارة نحو
يساري .

-أين الرجلان و المرأة؟! -

بعد كلماتي هذه دار زميلي حول نفسه دورة سريعة و حين واجهني وجهاً لوجه
قال لي بآدهاش - أقلت رجلين و امرأة أخرى ! هل كانوا معها أيضاً .ز وحين
قلت (نعم) تحرك وأستدار بشكل بدأ و كأنه يريد الذهاب واستخراج الرجلين و
المرأة التي معهما من محجر عيون المرأة التي قبض رجل الشرطة عليها ،
ولكننا معاً عرفنا أن المرأة و رجل الشرطة أيضاً أما سحبتهما السماء نحو
علاها ، أو أن الأرض ابتلعتهما نحو أعماقها ، ولم يبق هناك أي اثر لهما ،
وعندها لكزني زميلي لكزة خفيفة بمرفق يده بعد أن كنا جالسين لمدة طويلة
قرب بعضنا في أحد زوايا غرفة المحامين ، وبأبتسامة ود واخلص قال لي :

- لقد أدخلت نفسك بشكل جيد تحت طائلها .ز بماذا كنت تفكر؟! و عند
الاجابة قلت له مكنت هناك قصة تدور في خيالي سأجلس و أكتبها عندما
يحل المساء !

پریخان

محمد فریق حسن

ترجمة: کمال غمبار

(١)

اخبار مفاجئة ، حين تلقيها على مسامع اهل القرية، تنفجر ابواب كل البيوت .
انها صخرة كبيرة تتدحرج من ذرى الجبال... تحدث دويًا قويًا تجر وراءها
صخوراً صغيرة و كتل التراب ، تدوس الأحراش والشجيرات ، وكلما تهبط
نحو الوادي تزداد قوة وسرعة ، تنطلق من الجبل نحو بركة القرية و ترجرها

ان النبأ رعد وبرق يزيح الظلام و يحدث بعنف رنيناً في طبلة الاذن
...الفلاحون يرتدون احذيتهم منحدرين عبر الازقة المتوية صوب ايوان
الجامع... يكتظ الجامع تدريجياً بالناس .

الاول: لم يكن ولن يكون ! انهم يلفقون له !

الثاني: اني يكون مثلاً هذا العمل (ريوار) الراعي ؟!

الثالث: حتى وان رايته بأمر عيني فلن اصدق !

الرابع: لماذا لاتصدقون ايها الاخوة ؟ بعد ما ؟! لقد شك فيه (سمكو) منذ ان
اختلفت اول نعجة .

والد پريخان : قتلته الله !... مهما يكن فمن الافضل ان نراه بعيوننا!

سمكو: اعرف ان هذا الخبر لا يكون موضوع صدق عند كثير منكم ، اعرف ان
هذه القرية لاتعترف بالواقع مالم تر البلية بعينيها فليتفضل من له الرغبة لا
ذهب به الى المربع الجديد للسيد (ريوار)... هي ذي سيارة الجيب في القرية ،
ولا تستغرق المسافة سوى بضع ساعات ، ولكن لي شرطاً واحداً !

الجميع: قل شرطك بسرعة !

سمكو: ينبغي ان تأتي پريخان !

(٢)

تندفع سيارة الجيب البيضاء للقرية . تلمع تحت اشعة الشمس تلف من ورائها
عاصفة من الاوراق المتساقطة كالفرشات الخريفية في دوامة . ثم تثيرها في
السماء الترامية ... تسيير سيارة الجيب دون توقف... احياناً تحملها القلاع والتلال

فوق هاماتها، وبعض الاحيان تختفي عن الانظار فتحتضنها الأودية والوهاد و تضعها السهول الفسيحة فوق راحات ايديها لبعض الوقت .

(٣)

القرية عروس جديدة، اسندت منكبها فوق صدر الجبل، وقد كشفت عن سيقانها داخل الروافد و المنابع الواقعة عند نهايتها، مياه رقراقة عذبة، ومراع كثيرة، لكأنها خلقت من أساسها لتربية الحيوانات الداجنة... فالشمس تطوق اجياد الجبال الواقعة خلف القرية كل صباح بأناملها الذهبية عشرات اللوحات المائية الرائعة وتعلقها على السفوح والمناطق الظليلة ...

منذ سنتين خلتا حل (ريوار) بهذا المكان، لقد اقر اهل القرية (ريوار) راعياً لقطيعهم، انه يتعشى كل مساء على مائدة بيت احد الفلاحين. يبدو (ريوار) راعياً لانقا، بفضل مزمارة، وزاد سفره و عصايد، وبمعاونة كلبيه الضاربين... وبأنغام مزمارة يطهر قلب الجبالين من الحقد والكراهية. ويتقطر من حجرة مزمارة سحر له القدرة ان يثير احسلك حتى وان كنت في منتهى الدعة والهدوء، او يحملك على ان تجهش بالبكاء وانت في غمرة (الدبكة الشعبية) وتطلق النداء (كل من سلخ سبعة اعوام من عمره راعياً فهو من أهل الجنة... الراعي يعيش في البراري، انه يعشق الجبال والقلع... لا يذم احداً ولا يطمع في مال احد... يحب الراعي ان يكون جائعاً و اغنامه شبعي). هو ذا رأي اهل القرية في الراعي. منذ مدة وأهل القرية، ولاسيما افكارهم تلتقط اخباراً في المساء حين يذهبون لحلب النعاج، فان (ريوار) الراعي، كأنه يستقبل شخصاً عزيزاً يسارع الى حيث صخرة الحلابة فيرتقيها، ويمم وجهه صوب القرية، يحرك انامله على المزمارة، ولكن ايا من انغامه لا يرقى الى النغم الذي يعرفه حين تبدو (بريخان) ينفخ في المزمارة ويهزه، ان ذلك النغم خاص ونادر انه تغم وشعر معاً. ثمّة من يقرأ كلماته جميعاً... انه نوع يحكى بلسان المزمارة نجوى، يمكن فيه سر مقدس حين تتغلل (بريخان) كل مساء الاغنام، يمثّل وجهها البدر بلون الدم، تحيطه هالة من النور، ولو ان (بريخان) في صبوة شبابها، لكن من القتيات التي ترد اسمؤهن من الكتب المساوية، تدرك

(پريخان) سر نغم (رييوار) لقد رأوها في أمسيات كثيرة، انها تعلق على شعرها ريحانة، نرجسة، او وردة جوري، ولكن حين تعود بطامس الحليب يكون شعرها خالياً من الوردة يقال انها (تقدمها الى ريوار) و ريوار يحوم حول (پريخان) اكثر مما يحوم حول غيرها... لقد شاهدوه انه يمسك لها النعجة! وحين يحل الظلام، كل شيء حسب اوانه... فانه يقدم ل (پريخان) الكمثرى البرية، الفطر، كيمساً من الريبلس. وقد بلغ التقول، مبلغاً ان (پريخان) تنظم له (كوفيته) ... ان ريوار يعرف نعاج پريخان و بمقدوره عزلها عن القطيع .

- شكراً لك يا ريوار ،يالها من باقة جميلة ،انها نرجس سفح الجبل .

- ماقيمة النرجس يا پريخان ؟تبدو هذه السهول والجبال جميلة بوجودك ...لو كنت قادراً لاتيئك بنرجس السماء .

- نرجس السماء ؟ماذا تعني ؟

- اعني النجوم .ان اسراب النجوم ايضاً حقول نرجس السماء ،لو قدر لي لاهديتك باقات منها .

- الله ! ما أحلى كلماتك !

- اقول ،حين يعود هذا الصيف ساكسب رهان رعي الماشية

- وماذا تنوي ؟

- انوي اقامة حفلة زواجنا يا پريخان !

- اتعرف يا ريوار ،قبل ان تبوح انت بحبنا ،فأن صديقتي قد القين هذا الخبر على مسمعي !

- يبدو وحسب تصورهن لقد ان اوانه...ولكن ما يشكل عقبة في طريقنا .

- يا ويلتي اية عقبة ؟!

- سمكو ! انك تعرفين هو ايضاً يهيم بك انه يحسدني ، ولا اوراق لعينيه !

- اوه... فهو كمعشر شباب القرية قد يتصور ذلك في مخيلته والا فليس بيننا شيء .

- ولكن سمكو يحد لي السيف والسهام ، ينبش عن اصلي و فصلي...يضم لي الاشياء الضئيلة .

- لست ادري لماذا لا ننا لفان معاً؟ ثق يا ريبوار ،ليس ثمة شيء كل ما في الامر ان سمكو كيفية شباب القرية ينوي شيئاً في سره ، دون ان يكون بيننا عهد او وعد ...
- لاتنسي ،ان سمكو اكثر طيشاً من غيرة .

(٤)

انه مساء غير اعتيادي ، انتشرت الضوضاء في القرية...انه خبر غير مستحب يزحف على اربع الى بيت ،الى الجامع ونبع النساء .
الاول:كيف لا اكون مكتئباً ،ان تلك النعاج هي كل ما نملك !
ريبوار :نهشتها الذئب .
الثاني : نحن ايضاً لا اثر لنعجتين لنا ،وما مهمة الراعي اذن؟!
ريبوار: لم تصبح سنة ان يعوض الراعي عما تاكلها الذئب ،والا كنت اعوضها لكم !
الثالث: لقد تخلف كبش لنا ايضاً، وان كنت قد كمت اقواه الذئب ،ولكن لا اعتقد انه سيعود .
ريبوار:صدقوني كان ضباباً كثيفاً حجب الرؤية ،ما كنا نحس لا انا ولا (شيريه گورزه) متى داهمتنا الذئب .
الرابع:اعرف يا أخي اعرف ،فليكن دافع المصائب عنا ،ولكن من الان فصاعداً كن حذراً ،حذراً.

(٥)

سيارة الجيب تغذ السير ،ركابها متلهفون أن يروا راعيهم في وضعه الجديد ،ان سمكو اكثر تلهفاً منهم، ويود ان الوجه الحقيقي لريبوار ان سيارة الجيب التعبه حين تنتهي بعض الاحيان تتوجه نحو المنحدر قلمسها الكهاريز والانهار بأيديها الندية و تستبردها ، وحين تنهض ينصب ضريح و شجرة كثيفة فسطاطاً لها في استقبالها .

(٦)

استلقى ريبوار الراعي على ظهره متحملكاً في سقف الغرفة، كأنه يفكر في عمل ما، ثم يتناول مزماره نافخاً فيه... يطير وعيه واحساسه بعيداً، يتيقظ من طرقة باب غرفته ويضع مزماره جانباً .

- تفضلي ادخلي... منذ متى وانا في انتظارك؟

- تريد الحقيقة، فأنا عندك منذ مدة .

- كيف؟ لم تطرقي الباب توأ؟!!

- صحيح طرقت الباب الان، لكنني منذ مدة وانا استرق السمع لأنغامك من خلف الباب .

- تفضلي بالجلوس، لأعزف لك ذلك اللحن الذي تحببته .

- قل لي اولاً لماذا ارسلت في طلبي؟

- ماكنت احلاك بهذه الجرة حين كنت تعودين من النبع !!

- شكراً يا ريبوار... قد اكون جميلة الى هذا الحد في عينيك وحدك، والافاني فتاة اعتيادية.

- لا، لا انك اجمل من الاعتيادية... الاثرين قتيان القرية يتمنون ابتسامه منك .

- وما الخير في ذلك؟ انا استحسننت احد هؤلاء الشباب الأجل ذلك ارسلت في طلبي هذا المساء؟

- لا تقولي ذلك يا پريخان، انا لن اشبع منك، اتمنى ان تكون صورتك دائماً في عيني... ثم اني جنتك بهدية، وهديه الراعي...

- انها الوردة البرية، هات لأراها اياً مرحباً و يا اهلاً بعودتك من كل الجهات .

- لقد سقت القطيع نحو سفح الجبل لأجل هذا الزعرور، انظري ماكبر حباته؟!!

- اه لكاتها أذان من ذهب !

- ومن هناك ارتقيت السفح الصخري الحاد، اكتست جبهته العليا طبقة خفيفة من الثلج، لقد قطفت لك باقة من تلك الوردة .

- لكن هذا الموقع صعب المراس يا ريبوار ! القيت نفسك في المخاطر

!!! هات، ما اجملها ! لكن للاسف لاتضوع منها رائحة . ماذا تسمى؟

- انا اسميها النرجسة الخريفية، ولا اعرف ماذا يسميها اهل المنطقة... ان عمرها جد قيصر، تنمو تحت طبقات الثلج، لها قامة قصيرة، لاتليق بقامتك المدينة يا بريخان .

- سأنتعش بالهدية التي تقدم لي من قلبك يا عزيزي ريبوار، ليتهما ما كانت قصيرة العمر، حبذا كانت قامتها اطول، ومع ذلك انه لشيء غريب ! ثمة ورود من تحت غطاء الثلج، انها النرجسة الخريفية.

(٧)

ليت والدتك عل قيد الحياة!

رفع والد بريخان منكبه على المخدة الريشية وان هذة الكامة نبعت من اعماق قلبه والقاهما على مسمع بريخان .

- كيف خطرت ببالك والدتي في هذا الوقت ؟

- لو كانت والدتك على قيد الحياة لقرت عيناها برويتك... انك تشبهينها حينما كانت فتاة..!

- لقد ذكروا لي كثيراً من جمال وعقل والدتي... انى لي أن اكون مثلها.

- لا لاتقولي ذلك، لاسمح الله !لقد ذهبت والدتك سدى .

-اووه، لاتخلو هذه القرية من الفوضى والمشاجرات، حبذا ماكنت عائشة بينهم، امرأة كوالدتي انى لها القدرة على التوفيق بين هؤلاء الضخام؟

-لقد ذهبت ولن تعود. ما أن كنت عارفة بأن سر كالي القرية في عراق حتى وان قالت (حقاً لدماء الابرياء)، سرعان ما توجهت الى الجامع و تلقفت القرآن ذاهبة الى وسط المعركة مباشرة للتوسط بينهما، ولكنهما كانا في حالة تربص... فصرخت فيهما من بعيد (بحق هذا القران الشريف ارفعا الايدي واتفقا معاً وتعودا بالله من الشيطان)، لم يجد نفعاً... ولم يلقيها لها بالأ. وقفت بين مرمى وابل رصاصهما ! لذلك قلت لك لاتقولي ذلك، لاسمح الله ان تكوني مثلها.

- اعرف ياوالدي الحبيب. اعرف أن والدتي قد راحت عبثاً، لقد كانت في عنفوان زوجيتها بيد أنها تركتنا.

- كنت انذاك صغيرة جداً، لا اعتقد نتذكريها، اتعرفين ماذا كانت قولتها الاخيرة؟.

- لا. لم تذكر لي تلك، ماذا كانت قولتها الاخيرة يا ابي العزيز؟!
- كانت قولتها الاخيرة أتمنك على پريخان فهي امئة في عنقك (لقد قالت تلك و كوردة عباد الشمس مال عنقها، واغمضت عينها النضرتين بأصابعي هذه... كان وجهها على نضارته... لكنها خرجت من الحمام توأ.
- وا اسفاه يا والدي العزيز... ان موت والدتي جرح جديد ابدأ فلن يعتق.
- والان يا بنتي كوني مخيرة في مصيرك، ها هو ريبوار امامك انا لا امارس أي ضغط عليك، وذاك سمكو ايضاً بالنسبة لقضية سمكو فاني اعرفه ابا عن جد عشنا معا في هذه القرية انه ليس غريباً بالنسبة لنا... و ريبوار ايضاً معروف باعماله وممارساته.

- علام ذلك يا والدي! كم مرة تعين الفتاة شريك حياتها!
حسن. اذن هذه كلمتك الاخيرة، فانت راضية بريبوار!
- اجل انها كلمتي الاخيرة يا والدي. ما هذا الضجح و العجيج يا ترى؟!
- يبدو ان هذا الضجيج يتوجه الى هنا، اين حدائي لاخرج للوقوف على ما حدث.

- هاك الاحذية يا والدي، وهاك الفانوس خذه معك.
- لا اخذه، كيف اتركك في الظلام؟ هاتي المصباح اليدوي (لايت) هاهو في الروزنة.
فليكن هذا المحجن معك ايضاً يا والدي.

(٨)

الاول: استجب دعاءهم!
الثاني: يأتون لها من الغيب و يأخذون النعاج!
الثالث: لا افهم ذلك، فضياع نعاج القرية لغز لايعرف كنهه احد!
سمكو: لا دعاؤهم مستجاب، ولا يأتون لها من الغيب المسألة ليست لغزاً، حتى وان كانت لغزاً فلا بد من حله.

والد بريخان: مهلاً يا عزيزي مهلاً.. ماذا حدث ثانية؟
الاول: لم يعد هذا المساء احد كباش سمكو ونعجتان له
والد بريخان: وانت ريبوار ماذا تقول يا ولدي؟
ريبوار: واني حزين جداً يا عمي... لكن الجو كان ضباباً، وانت تعرف بأن
الذئب تتحين الفرصة في حالة الضباب .
سمكو: ليس كذلك، ما كان ضباباً، يتكون الضباب المطر او على الأقل بعد
سقوط الثلج... فلقد مضى اسبوع ولم تنزل قطرة واحدة من المطر، وحتى نثرة
ثلج لم تسقط في السهل .
الاول: ان هذه القرية جيلاً عن جيل لم تر مثل هذه الكوارث، منها يكاد القطيع
ينقرض. بحق السماء علاجاً؟!
الثاني: كتن قطع هذه القرية عوناً وسنداً .
الثالث: مهما يكن فان هذه المعضلة تعالج بهدوء .
سمكو: وليست اغنامي وحدها، ثلاث نعاج لعجوز، كلها نعاج ذات اليات
متدلية وفي هذه المصيبة تشار اصابع الاتهام الى شخص واحد فقط .
ريبوار: حسب اقولك يا سيد سمكو، يبدو انني ذبحتها، اليس كذلك؟!
الرابع: الحق مع سمكو، قلها بحق له ان يقول لك: انت راع مهمل .
ريبوار: انها مصيبة اصلبتنا، تشملني انا قلبكم جميعاً. سمكو: اذن رتب لنا
تدبيراً.... ما يحدث للقطيع فالراعي مسؤول عنه يا ريبوار.. يا والد بريخان انت
ناصح القرية عليك ان تهتم اكثر .
والد بريخان: ماذا تعني يا سمكو؟ هل كان نائماً .
سمكو: اسوأ من ذلك !!
والد بريخان: اسوأ من ذلك ماذا يجب ان يكون؟ انبجها؟ هب انه ذبحها، نعجة
واحدة تكفي، ولكن لا اثر لستة رؤوس دفعه واحدة .
سمكو: حتى ولو كان ذئباً، اما كان يكسر رقبة نعجة مسكينة الكباش و العلائب
الاليات وحدها لن تعود مع القطيع .
الرابع: ما وراءها الاكمة ما وراءها .

رييوار :قد يختطفها الدب ،من يدري ؟

سمكو:لا، يجب ان تعرف انت ،انت راع، انت مسؤول عن اغنام القرية ، واذا لم تكن ما وراء الاكمة ما وراءها ،لماذا طلبنا منك مراراً وقلنا لك ان هذا القطيع الكبير لايمكن لراع واحد ان يتدبر امره ، فليسا عدك شخص ،انت لاتقبل بذلك وتقول : يكفيني (شيره گورزه) لا احتاج احداً يساعدي .

الثالث:هذا الكلام صحيح ..يمسير ريوار في مقدمة القطيع و الثاني حتى وان كان احتل موقعة في قلبي حدثاً فهو جيد ، خلف القطيع وينتبه اليه ، ويحوم شيره و كورزه حول الاطراف الاربعة .

الثاني:انه كلام جميلاربع عيون ترى افضل من عيني .
سمكو: لكن ريوار لن يرضى بذلك ،وانتم لاتتدخلون ،فها ان قطع القرية قد انقرض !

رييوار يبدو ياسمكو انك تريد اد انتي ،سوف ترى ؟

سمكو: اجل انت تخون القرية...تقدم ايها الخائن !

سمكو ورييوار يتشابكان بالأيدي ،تغور دملوهما بسرعة،تحمر شحمتا الاذنين والصدغين .ترجف العروق اسرع فالخطى تغدو تروح حول بعضها ملتوية ،تخيلط الاذرع والاقدام ،يلوح احدهما اصابع التهديد على الثاني...الريح تشوش الاصوات وتلقيها على مسامع اهل القرية وتفتح ابوابهم ،قسم من الناس يطلون بروؤوسهم وقسم يسترقون السمع ،واخرون يتأنون اثر الضجة ،يرف محجنة ، يتوسطهما ويفصل بينهما .

والد بريخان :اسمعوا ايها الشباب .

الاول :اسمعوا ناصح القرية .

والد بريخان : ابني ريوار ...الى اين سقت القطيع هذا ؟

الاول :الى دادي (سوره چنار) وغابة السفح .

والد بريخان : تفضلوا ، يا حاملي المسكاكين،ومتمنطقي الخناجر ، وحاملي البنادق ، لافي الظلام ،هاتوا المصابيح واللوكس ، يجب ان نتحقق هذه الليلة ، فليكن ريوار باقياً في القرية !

الثاني: تمشيط الجبل؟

والد پريخان : اجل تمشيط الجبل .

الثالث : وكيف يكون تمشيط الجبل هذه الية؟!!

سمكو : حسن ، فلنتو كل على الله .

الرابع : فلتحل هذه العقدة المعقدة ، فليكيف ان يكون قطيع القرية همونا ليلا ونهاراً .

سمكو : ان كان الذئب او اي حيوان يداهم القطيع ، فلا بد من وجود اثار اقدمه ، او على الاقل نعثر على قراع نعجة؟ الا فان الذئب ذا الرجلين قد اعتاد علينا !

(٩)

تبيست شفاه پريخان بدت كئيبة واهنة القوى ، تتقلب على فراشها مع اضغاث احلامها ، تحلل ذكريته (انه يشك في ، ولكن كما سمعت فان كل عاشق يشك في حبيبته الى ان يقترن بها ، ثم تدريجياً تتلاشى شكوكه . لكن انى كان لي عهد مع احد؟ الا تلك المرة سمكو قريباً من النهر الكبير صدفه ، حيث كنت راجعة من البيدر ، وسمكو كان عائداً من الصيد ، فأصبح رفيق دربي ، تحدث لي ، كما اتذكر قال ونحن سائران : انا منذ مدة كنت جالماً قبالة هذه البركة ، كنت بلحمك و دمك و عظامك عارية ، جدانك مبللة مسترسلة كانت تلتصق بظهرك و صدرك ، كنت تآنين وتروحين من امامي غير مبالية ، أنا ديك فلا تلتفتين ، وفي الحالات الاعتيادية انك لاتمتحين مني ، وحتى الذباب لا يحل عليك ضيفاً . تسبحين امامي مصطفقة الماء ، ثم لكائك ترشين الماء على شخص عزيز ، تقذفين الماء نحو الجهات الاربع وتضحكين قهقهة ، افرك عيني ، ارفع راسي تغدو قامة الجبل قبالي قامتك انت تغدو جدانك اوراق شجر الزان ، فتهزها الريح ثم لاتلبث كثيراً ان خلف كل صخرة كبيرة ، في التجاويف والاخايد تظهر سيمائك الطرية اللدنة ، تصبح شجرة البلوط والسوس والبان انت ، ثم تسمى انفسها .

هذا كل ما هنالك من اقوال سمكو، واني لم انبس بنت شفة، ولا يزال ريبوار يشك في . ولكني ايضاً شاكة كما انه حين حل في هذه القرية فهو حلو الكلام ، متناسق السيماء ، وكلما كان الهم يداهمني القيت نفسي في احضان امواج مزماره ، الا انهم يكاد يتهمونه... ما اطول نفس سمكو؟ وما اشد اصراره على قوله؟ تدخل فجأة من شق الباب يد! تنفتح عيناها، تنهض .
من هو ذا؟

- انا يا بنتي العزيزة . لا تخافي ! لتنامي

- لماذا لم تطرق الباب ؟

- ما اردت ايقاظك قلت لتنام مطمئنة .

- اني لي النوم يا والدي العزيز اني قلقة تمتماً منذ المساء .

- لا لا ، لا تفكري في الحوادث المزعجة .

- حسن لا افكر فيها او اه يا ابي لم اقل لك الله يساعذك .

اتحقق لكم شي ؟

- ماذا اقول يا ابنتي . فتشنا وادي (سوره چنار) وغابة السفح شبراً شبراً . لا وجدنا قراع نعجة ولا اثر لقوائم بهيمة... اياكل الارنب نعجة
- يأكل الارنب نعجة لن يحدث مثل هذا الارنب الحشيش يا ابي ، انه مسكين يا ابي .

- وإلا لم نجد اي اثر سوى اثر قوائم الارنب .

- انن لماذا دب الانقراض في هذا القطيع؟!

- ها لقد نسيت ان اقول لك ، ثمة اثر اطار سيارة ، انه واصل حد غابة السفح!

اثر اطار جديد ؟

- نعم ، يبدو انه يكون لهذا اليوم

- لكن لم تدخل السيارة القرية اليوم ، الا اللهم سيارة الحبيب التي في قرينتنا .

- كان عبدالله السائق يقول ((لم أخرج اليوم من القرية))

- فلماذا اذن سارت تلك السيارة الى هناك ؟

السفح طريق جانبي وحدود قرينتنا !

- غريب ، وحين عدت الآن وانعطفت نحو ريبوار قلت لعله يعرف لملذا
توجهت تلك السيارة نحو السفح؟!
 - ايه ياوالدي...ماذا قال ريبوار ؟
 - ما كان هناك يا بنتي !
 - ما كان ريبوار هناك؟

(١٠)

علت الشمس و ريبوار ليس له أثر...تذرع الاغنام دون راع بهر هرتها أزقة
القرية ،يغدو (شيره غورزه) و يروح على عتبة باب غرفة ريبوار يتشابكن ،
ينبحان صوب السماء لقد ادخلا ذيليهما بين فخذيهما ، واهالي القرية يخطون
نحو أيوان الجامع .

الرابع: لن يتجا في الراعي اذا لم يرجع

الثالث : الراعى لن يتجافى اذا لم تحرموه مما يستحق اجر رعيه.

الثاني: الى اين يمم راعينا وجهه علام تجافى؟!!

الأول : لوتريننا لعرفنا جواب هذا السؤال .

سمكو: لافض فوك تريتنا لعرفنا جواب هذا السؤال .

والد پريخان: ألا يا معشر الشباب ، ألم يذ هب احد بالأمس الى الاحتطاب في
غابة السفح؟

سمكو: لا، لم يذهب أحد ،كانت البارحة جمعة وانت تعرف ان الفلاحين لا
يحتطبون ايام الجمع.

والد پريخان : لقد نسيت كانت البارحة جمعة ،كنت أقصد من ذلك ان اعرف

هل وجد أحد عن قرب السيارة التي كانت في السفح؟ اية سيارة كانت ؟

ولماذا توجهت الى ذلك الطريق الجانبي؟ وما اسم سائقها؟!!

سمكو: وهذا بحد ذاته يلفت النظر ،لملذا وصلت هذه السيارة يوم الجمعة الى
السفح ؟

وماذا يوجد في السفح يترى؟!!

الأول: لا تنسوا ،كان يبدو منذ مدة أنه جعل طريقاً

الثاني :ماذا تعني؟

والد بريخان: ما يعنيه واضح، يريد أن يقول انه ليس لأول مرة تصل السيارة الى ذلك السفح!

الثالث:ألا نجد حلاً للقطيع؟ لنفترض ان لم يعد

والد بريخان: دعنا عن هذا اليوم منذ غد سنوُ جر رجلين يذهبان الى حيث الأغنام حتى تتوضح لنا الأمور .

الرابع: من يقول الايعود ريبوار اليوم أو غداً ؟

الأول: يبدو انه انزعج من مشاجرة الليلة الفائتة .

الثاني: لاداعى ان نرجم الغيب اعتباراً

سمكو: نسينا شيئاً نذكره ،اود الا نقفز فوقه

والد بريخان :تفضل ذكر مانسناه نحن قتيان القرية به.

سمكو: الليلة الفائتة في واجهة السفح ،في المكان الذي كانت السيارة واقفة فيه

،كانت آثار اطلاق اغنام باديه على الارض ،وحتى آثار أقدام الرجال ،يبدو أنهم كانوا اثنين .

والد بريخان: انها لملاحظة دقيقة ،لماذا تجمعت كل هذه الأغنام حول تلك السيادة ؟

ولكن حول قضية ركابها يحتمل أنهم اكثر من شخصين

وصلت السيارة الى اعتاب القرية.

(١١)

القت سيارة الحبيب نفسها في احضان المدينة مدينة الزحام والصخب و

الضجيج ،وبعد عديد من الانعطاف والدوران ،سارت صعوداً في شارع مستقيم

و توقفت في مخبأ ، تقاطر ركابها على ممشى الشارع لقد بدا على بريخان

خفقان و القلب و الموضوع المضطرب لقد احاطت عينيها حلقة زرقاء ان هذه

السفرة المفاجئة للمدينة تجربة مريرة تمر بها ،والدها من احد جانبيها وسمكو

من جانبها الآخر ،يمعان النضر في بيت قبالتها...سمكو يضع يده على كنف

بريخان بهدوء ويقول .

-الاترين القصر الذي امامنا؟

بريخان: كيف لا اراه؟ بمثل ما يجذب سرب من الحمام الزرقاء يسترعي
انظار الناس الى نفسه.

والد بريخان: انه قلعة تسامت من على المنسبط .

سمكو: فانتم انظروا اليه كيف يبدو مجسداً من وراء الاشجار القصيرة لباحته
انظر الى الجدران المغلفة بالمرمر!

بريخان: انه ثلاثة طوابق، شتان ودور قريتنا.

سمكو: لاتستعجلي فترين الان صاحبه، فسوف يخرج عاجلاً!

بريخان: وما ادراك يا سمكو؟

سمكو: لأن هذه السيارة الزرقاء الواقفة أمام الباب هي له.

بريخان: لكأنها خرجت من المصنع توأ

والد بريخان: الاترين صور المارة، الجدران و الاشجار، البنايات والقصور

كلها تلمع فيها، لو اقتربت منها يا بريخان لوجدت صورتك فيها!

سمكو: كيف تقيمينها مع سيارة الجيب للقريّة؟!!

بريخان: بين الثرى والثريا!

لقد ظهر من اعماق القصر شاب مرتدياً الضوخ الأزرق بقميص سماوي اللون

وحزام من الحرير اسود وقد مشط شعره على طريقة الفك، ويكاد يبلغ عتبة

باب الكراج و القرويون ينزلون من الممشى الى فهو ينظر يمنة ويسرة ثم

يخرج من عبه مقفاح السيارة يلمع خاتمته الذهبي في اصبعه، بريخان و لكأنها

قد انحسرت بين الأرض والسما و لا السماء تزرد لها تبتلعها يصيب رأسها

بالدوار! كل أمانيها و احلامها العسلية تخرج من منخريها:

((ما أهمية النرجس يا بريخان؟ ان هذه السهول و الجبال جميلة بوجودك

، سأنزل اليك نرجس السماء انوي ان نحتفل با بريخان... النرجس الخريفي...))

الأول : يا لها من مأساة مؤلمة؟

الثاني : الاتذكرون حين دخل قريتنا لم يكن يعرفه احد؟

الثالث : لكنكم سلتم اه كل ثروات القرية .

الرابع : قل سلمناه مفتاح القرية ولكننا ايضاً مذبذبون كمنابله لم نتقص و فصله
اعتمادنا عليه معصوبي العيون .

الأول: ولكن حين جاء الى القرية أثبت انه كفوء ونشط ،وقناصحين كان
يعزف على مزماره يحيل الصخر ماء ؟

الثاني : كان ايضاً لبقاً مفهوماً .

الثالث : ما كنا جميعاً بله، فحين اكلت نعجة للقرية ،خامرة سمكو الشك ما بيننا
سمكو وحده يقظ لولاه لكنا في دنيا الغفلة.

يفتح ريبوار باب السيارة ،مع ترتيب المعقد ،يمد المفتاح الامام ،تتصلب
اصابعه على المفتاح ،ويده الاخرى على سرواله ،يخطو نحوه والد بريخان و
فلاحو القرية،يتقدمهم سمكو ،يحاصرونه،يرتفع سياج حول السيارة...كلهم
يرمقونه،تنطلق من عيونهم اشعة قوية ، تخترق ملابس و لحم و عظام ريبوار
تكشف عن الجانب الباطني منه ،تنقطر حبات من لالى من عيني بريخان على
وجنتيها....الحلقات السوداء حول عينيها تزداد توسعاً و قامة ،انهم ينظرون اله
بصمت....ويقولون له بصمتهم ذلك اشياء كثيرة ،لا هو يقوى على قيادة السيارة
لينجو بجلده من تلك الحزم الضوئية التي تنطلق من عيونهم ،وتخترقه من خلفه
ومن قدمه... ولاهو يجرأ على الترحيب بهم ، يسقط باطنه تماماً على
الارض،وكل ما كان يخبؤها تتكشف على قارعة الطريق ،فجأة ينتابه احساس
ان يسوق السيارة ليتخلص من هذه الورطة والمحنة ،ولكن مهما يحاول فان
قدميه لا تصلان محركات السيارة .تأمل قدميه فأرتعش ،غدت قدماه قوائم
الذئب ،فحين انتبه واحس بنفسه ،عرف انه جالس القرفصاء على
المعقد...وحين يتأمل نفسه في المرأة ،له راس مستطيل و خرطوم ،ضاحر
ارنية خر موطه سوداء ونواجذه طويله...سريعاً سريعاً يخرج لسائه يسحبه نحو
الداخل، يسيل منه اللعاب ، ذئب ضار ينتمي الى العصور المظلمة يعوي في
اعماقه...يغمض عينه ثم يفتحهما يتأمل نفسه مرة اخرى في المرأة المقابلة له ،
تصطدام اذناه بسقف السيارة ،وهما نافرتان مشعرتان ، وقد نبت من دبره ذيل
طويل ،وقد غدت يداه قبضتين رماديتين...صدره اغبر مشعر ... رأى نفسه

لمرة اخرى في المرأة،وقد خلت عيناه من كل اثار نظرت الحب فيها،انهما تقذفان نيران الحقد والكراهية والشر،فتح الباب وقد نزل على اربع ، وعند اهل القرية .

يصغر الشارع و يغدو مرعى .

يرعى فيه القرية هاهم يبصرون النهار ،الذي يصبح مظلماً!تحجب غمامة سوداء الشمس والصحو ،مجموعة من الاغنام تأكل الحشيش وسيقان الحنطة والشعير. بغتة تطل من وراء التول الذئب ،تيدو خراطيمها من البداية...ثم يتقدمن يتوقفن ،يختبرن القطيع...ينظرن الى السماء مرراً ،ثم ينظرون الى ماحولهن ،تبدو صدروهن الان بارزة ،كل ثلاثة اربعة في جهة يقفن بالمرصاد ،يكف القطيع عن الاكل .غريب لم يلق احد ابناء هجوم الذئب على مسامع الاغنام ، يبدو انه ولاول مرة دون رؤية او معرفة تواجهها ترتعد فرائصها نهائياً ، تعرف ان هذا الحيوان هو عدو لدود لها ،يجفل القطيع ، و ريبوار بينهم يسيل اللعاب من شدقية ،يعوي ،يد مدم يظهر مخالفه وانياه الحادة انه يرى الذئب و ينظر اليها .

الذئب من الجهات الاربع تشن الهجوم مباشرة على القطيع ،تجفل الاغنام ،تنشنت كل مجموعة الى منتصبه الاذيال ،مفتوحة العيون ، والعب تسيل من اشداقها، الاغنام تهرهر وتبربر ،الراعي لايستجيب لاصواتها...لقد تسمر في مكانه ،يتأمل المشهد...تحتل الذئب مرة اخرى منطلق الميدان ،يشنون هذه المرة ايضاً الهجوم على مركز الساحة ،والاغنام مثنى وثلاثاً تختفي بين الاحراش ،وفي شق صخرة كبيرة ، في تغرة ، في تجويفة ،في مغارة والذئب فاغرات الاشداق ،تندفع ،تتلهث ،يسمع ازيز وزيق صدورها ،وان (شيره غورزه) يدوران ريبوار الراعي كدوامة ،ينجان و يتفرسان فيه ،لقد ادخلا ذيليهما بين فخذيهما ،يحكان انفسهما بريوار ،تتساقط الاغنام بعضها عل الاخر ، تنهض ،وتحوم حول الراعي ،وريبوار الراعي لا هو يحث الكلبين ،ولا هو يميده الى بندقية الصيد المعلقة على كتفه ،الذئب تطارد النعاج السمان ،تمد خراطيمها و تنشب انتابها في حراقد و حناجر الاغنام و تمزقها ،وتهزها بكل ما

تملك من قوى تنزف دمها ، وبنوا جذها وخيشومها الدامية تشن هجوماً على نعجة اخرى ،يقال((ان ذنباً واحداً يقوى على كسر رقاب مئة نعجة ،ولكن في النعجة الاخيرة هو ايضا ينفق)) ما ان يبصر الذئب تدفق وسيلان الدم حتى وان تحمر عيناه ،وتدب فيه قوة سحرية ...الذئاب مع هزة ارؤوس و نشوب الاناب تدمدم وتثير الهلع... تقف شعرات اجساد اهل القرية،تتضيق صدورهم ،فالراعي لاينثي مجرد ان يرمى عليها حجارة ،ولايحث عليه ويطلقه على الذئاب.ان قطيع الاغنام بركة دوارة تدور حول الراعي...لقد طرحت الذئاب عشرات الجثث ارضاً ،ثم ان كل ذئب يكتسح بقوة صدره نعجة الى ماوراء السفوح والجبال،الراعي يولغ فمه في اللحم الني للجثث التي لاتزال تهرهر متأثرة بتدفق الدماء الجروح...انه يرفع رأسه وينظر الى اهل القرية يخيشومه الدامي....وحين يفيق اهل القرية ضجيج و عجيج المارة على الشارع ،ومن اصوات السيارات ... يبهت المنظر ارهيب المائل امام عيونهم تدريجياً ،يتوضح مرة اخرى الشارع بمعالم قصوره واسواقه وناسه ،ويلقي ربيوار نفسه بلجاجة ويمرق كالسهم الطائش...!وسمكو يربت على كتف بريخان ويقول لها :

لنعد الى القرية...هذه قصة ذلك الراعي الذي استحال ذنباً .

النظرة

حمه كريم عارف

ترجمة: جلال زنگابادي

حقاً هو هكذا ، فالجوع يحيل الحرام حلال ، وإلا هل خطر في خيالي ، في الحلم حتى ، أن أنخرط في الأحتراب ضد بني جلدتي ، بل ولا أتردد في سفك دم أخي؟! أي غدر شنيع هذا ! إذ كيف سأفتح عيني من بعد؟! ياله من عار وشنار !!.

كان حسن جالساً على هذه الضفة من النهر ، وهو يردد تلك العبارات في قلبه ويحتضن بندقيته ، التي كان غريباً عليها وكانت عدوته ، ثمّة كان ينتظر عودة القوارب وهو يتمنى الف مرة أن تنقض قذيفة بقدره قادر عليها فتطرح حطامها في الهواء ، فلا يمكنه العبور .. أو أن يفيض النهر فيضاً يجرف القوارب و...

كان مشوشاً ، حائراً وكان عقله عاجزاً عن اتخاذ أي قرار .. أجل عمّ يتخلى وأي طريق يختار ، فالمرء يضيق مدى تفكيره عند الضيق ! هوذا الليل والدنيا غائصة في الظلام ، والكلام بصوت عالٍ محظور ، كذلك السعال ، إشعال السكاكر وحتى العطاس و.. ثمّة لا نامة تخرج من فم .. إنما الصوت الوحيد هو هدير الأمواج الجموحة الناطحة للحافات ..

تسللت نسمة منعشة بين أغصان الأشجار وأوراقها الغافية ، فاستفاق حسن من غفوته ، فاستلقى على ظهره وراح يشرد نظراته في السماء ، التي كانت النجوم تنبجس منها متدفقة .. ولشد ما كانت النجوم تتلألأ وتلتمع ، كان بريقها يخطف البصر ، فأحس حسن أن عينيه قد استحالتا بركتتين طافحتين بالماء! فتجسد أمام عيون خياله ، منزله وأهله ، فولج المنزل مسرعاً ، غرفة ، أم وأربعة أطفال ، بينما كانت (رعدة) المؤجرة تفترش العتبة كعادتها ، فاستلقى بسلق ونصف .. وعكازة غليظة خشنة ، حيث أنقضت عليه خمسة أزواج من العيون كالعقبان المتضورة جوعاً .. أربعة أزواج من العيون الغائرة الناقمة ، المعاتبة والمطالبة بالقوت، فضلاً عن عينين تترقرق نظرات الأشفق فيهما ، وتتمن عن النظارة المفقودة من محياً ذاو إثر النكد والكمد والجوع ، ومع كل ذا ينهمر التعاطف منهما.. إيه .. الحياة هي ذي الحياة ، من كمين لآخر .. وأى

كمين أرهب من كمين نظرات المتضرر جوعاً !! يقيناً أنه يحطم الأيدي والأرجل .. أو اه منك أيها الجوع! يامنبع أم الخطايا كلها !.

قام حسن متوكئاً على عكازته ، فجاب فنار الدار مطلقاً ، حيث ألقى نظرة أسية الى صندوق عدة الصباغة الملقى في إحدى الزوايا بلا إكتراث ! ثم انطلق خارجاً ، يجوب الأزقة والحارات .. وإذا به يلمح في زقاق خال عجوزاً أنيقة أمام باب كبير ، فيقترب منها ويقف قبالتها ، فيتبادلان النظرات المتفرسة برهة .. ثم تقول العجوز:

- تفضل يا بُني ..

كاد حسن يغمض بالبكاء وهو يقول :

- أمي العزيزة .. أ .. نا .. جائع

فاصطحبته العجوز الى الداخل ، فقدمت له الطعام .. وإذا ببخار الخبز والطعام الحار يسميل لعابه ، لكنه ما أن يتناول منه ملعقة حتى انقضت عليه النظرات المعاتبة ، المطالبة بالقوت ، نظرات أطفاله الشبيهين بأفراخ العقبان العاجزة عن الطيران ، فاستفاق حسن من شروده ، فسارع برد الطعام وهو يقول بصوت خافت ومكروب :

- اللهم زده ..

لم تعلق العجوز التي عركتها الحياة .. وبعد برهة

- يا بُني ، ليس السؤال عيباً .. كما يقال .. هل ساقك هي هكذا منذ الولادة !

- كلا .. كنتُ بيشمركة وقد أصبت بالحرب ..

وتضرع حسن الى الله أن تكف عن طرح الأسئلة ..

- في أي حرب !

أجابها وهو يجهش بالبكاء :

- أح .. تر .. اب .. الأ .. خوة !!

فألقت عليه العجوز نظرة لا مبالاة فاترة وهي تزم شفقتها بازدراء دون نامة !

* * *

ثمة هبت ريح شديدة ، فاخترقت أغصان الأشجار وأوراقها الغافية ، فنهض
نافضاً ملبسه وهو يقول في نفسه :

- هه..الكلام بصوت عال محظور ، فكيف بأزيز الرصاص ودويه يا ترى !!
عندها سرت غبطة في حنايا قلبه ونفسه .. وقد بان القارب يعود كمشبح رهيب ،
يعلو ويهبط مع حث المجانيف .. ثم بلغ الشاطيء حيث رسا ، فأزف دورهم
للعبور .. وإذا حسن يقذف ببندقيته في النهر بكل ما أوتي من قوة ويطلق ساقه
للريح عائداً ، لا يلوي على شيء !

الخنفساء
دلشاد مريواني
ترجمة : نجات خوشناو

عندما توفي والدي ذات صباح ، كنت طفلاً صغيراً ، وبينما كنت أنظر الى مكانه الفارغ ،كأنت الدمعات تنزل من عيني ، رأيت ست أو سبع من الخنافس بين صغرة و كبيرة على مضجع والدي ، في تلك اللحظة اصابنتي نوبة خوف فصرخت :

أمي العزيزة ، أقضي على هذه المجموعة من الخنافس ، لأنهم أكلو والدي ، لذلك سيأكلوننا نحنُ ايضاً ، في تلك اللحظة أصابني نوع من القشعريرة نتيجة الخوف ، لكن أمي هدأتني وطمأنتني وأبعدتني عن المكان ،حيث أكدت على انه بسبب رؤيتي لتلك الخنافس من مسافة بعيدة ، سيكون تركيزنا غير دقيق ، لذلك نعتقد بأنها خنفساء ،لكن في الحقيقة ليست بخنفساء ، انها مجرد قطرات من الدم التي تخثرت بمرور الزمن ، اذمع سعال والدك،خرجت من بلعومه هذه القطرات قبل لفظ انفاسه الأخيرة .

قبل وفاة والدي كنت جائعاً، لكن بعد رحيله الأبدي عنا ، ازدادت حالة الجوع عندي ، ففي بعض الاحيان لم نكن نجد مجرد قطعة خبز في بيتنا ، ولكي أنسى جوعي كانوا يقومون بمشاغلتي وإلهائي ، في أفضل الأحوال كانوا يعطونني الخبز المتروك في الحافظة ، وصل الأمر بي أن أفقد صبري واهاجم الحافظة...لكنني وجدتها فارغة وليست فيها سوى خنفساء واحدة، لذا اعتقدتُ بأن هذه المخلوقة اللعينة قد أكلته ، ولم تبق منه شيئاً ، فاغضبتني أيما غضب ، ودفعنتي الى أن أقوم بسحق تلك الخنفساء ، برميها بالحجر لكي لاتأكل مرة أخرى الخبز ، وأبقى أنا جائعاً .

فجأة نادتني والدتي ، وهي تحتضن أختي الرضيعة ،حيث كانت حديثه الولادة ،جاءت الى الدنيا بعد وفاة والدي ، فلما لم أكن أريد أختاً لي لتزيد تعامتنا و شقاعنا ،ونحن في هذا الوضع المزري ،سيما و إني كنتُ اعتقد بأنه قد تم تبديل والدي بهذه الضعيفة المشؤومة ، فعندما كانت هذه الرضيعة تضع فمها على ثدي والدتي المسكينة ، كنت أحقد عليها أكثر ،لان والدتي كانت نحيفة الى حد الهزال ، كان ثديها مثله كمثل جلد منتفخة مفرغة ،لذلك كنت ازداد غضباً و كراهية على هذه الكائنة الممسوخة والبريئة والمسكينة في أن ، حيث كلن

رأسها المغطاة بالشعر الاسود من الخلف، اذ تبدو كأنها خنفساء كبيرة ، تترأى لي مثل الخنفساء ، وقد تأكل والدتي عوضاً عن الرضاعة من ثديها ، فوصل الأمر بي أن أوضح لوالدتي هذا التشابه المخيف ما بين الخنفساء و رأس هذه الرضيعة البائسة...أمي استرسلت في الحديث كثيراً،بينما كنتُ في لحظتها غافلاً عن ثرثرة والدتي ، اذ سرح بي الخيال بعيداً ،وفجأة انقطعت عن ذلك الخيال المجنون بعدما جذب انتباهي حديث والدتي المفاجئُ ،وهي تقول (طالما الأمر هكذا ،سوف نرميها تخلصاً منها سوف ألفها في خرقة قماش ،وأنا أكون معك حتى نصل قرب المسجد ،هناك ستقوم بوضعها أمام باب المسجد ، أنتبه يا ولدي وتيقن بأنه ليس هناك من يراك ،ضعها بسرعة فائقة ،فاذا صادفت أحداً ممن تنبه اليك أو شاهدك أحدهم في تلك اللحظة ،لا تترتبك أو تخاف ،قل لهم بأنّها أختي و تعبت كثيراً من حملها ،لذلك وضعتها هنا منتظراً وصول والدتي ،وعند ذاك ،سوف أتوجه

اليك مباشرة ،فاذا أظهرت غضبي تجاهك بسبب تصرفك ذلك،فلا تتكلم وابقى ساكناً ...صحيح انني لم أكن أحب أختي ،ولكن في تلك اللحظات ،عندما سمعت ذلك الحديث المؤلم والمفاجئ من والدتي...حينها شعرت بان الخوف يداهمني ويعصر قلبي عصراً ،فترفأت بحال الرضيعة المسكينة التي هي أختي ،هذه الكائنة البريئة التي لاحول لها و لاقوة!!

أمي العزيزة ،ألا تموت وهي في هذا الحال ؟

كلا ياعزيزي ،لايمكن ان يكون جميع الناس مثلنا تعساء ولا يملكون مايسد رمقهم ،أو عرايا كحالنا لا يغطي اجسادنا الهزيلة سوى قمابش مهترئ !! اذ لأبد أن يكون هناك ممن يراها ويحملها ويتبناها ،اذ قد تعيش في ظروف و حياة افضل من حياتنا .

حسناً يا والدتي لنذهب انن !من الآن فصاعداً سيكون لدينا الخبز الكافي لناأكله....هل ستعطيني يا أماه قرصة خبز كاملة لكي أكله؟!

يبدو ان والدتي ستفي بوعد لها ، بعد أن حاولت أن أرجع بسرعة دون أن يراني أحد....لا أدري كيف استطاعت والدتي ان توفر لي رغيفاً كاملاً من

مخبز (الاعاشة)*...لكني أتذكر الآن جيداً ، عندما كنت أتناول الخبز الذي كان محمراً ،بعد أن، نضجت وأستوت بمافيه الكفاية ، وذات نتوءات بارزة تشبه الى حد بعيد (ظهر الخنفساء)،لذلك كانت تبدو لي من بعيد و كأنها (خنفساء).

* رغيف (الاعاشة) :تهى و تباع من قبل افران حكومية تابعة لجهات رسمية :تباع باسعار مدعومة (أي سعر رمزي).

البرقية

رضا سيد گول البرزنجي
ترجمة : ابراهيم باجلان

(١)

- قرأ رقم الدار... ووضع اصبعه على الجرس .. فتح الباب..
- هذه البرقية مرسله لارام ..
 - برقية..!! لي ؟
 - أنت...؟ اذن تفضل هذه البرقية ، ووقع لنا ايصالا بالاستلام .
 - فاستلمها .. ثم عاد الى غرفته . فقال لنفسه :
 - اللهم اجعلها خيرا ..
 - اخرج البرقية من داخل الغلاف ..
 - (عد سريعا وبلا تأخير)..التوقيع خرامان، فانتابت القشعريرة كل كيانه...وازدادت دقات قلبه... واصبحت نبضاته اسرع ... وتبدل لون وجهه... وبدأت هواجسه:
 - خرامان...! ولماذا ؟ ماذا حدث... بالامس كنت بخير وفي اتم صحتك ، عندما عدت ... اه ... لم يكن يصدق عينيه فأعاد قراءتها مرتين او ثلاث مرات ايضا.
 - التوقيع .. خرامان...خرامان ... اصداء أسمها كانت ترن في اذنه... خه...را...ما.. ن... مان... ما... ن .
 - الامس فقط رجعت ولم يكن قد حدث اى شيء...هذه الكلمات الثلاث او الاربع صارت عبئا ثقيلًا و ... كالكلبوس جثمت على صدره... وخارت قواه فلم تطاوعه قدماه على السير ... فجلس حيث كان واقفا ... وبدأ يعيد قراءتها ايضا ... (عد سريعا بلا تأخير) التوقيع...
 - لا بد انه قد حدث شيء ... والا...؟! كالحجارة المرمية في اعماق البحيرة... كان صامتا و غارقا في لجة التفكير يضرب اخماسا بأسداس ، عندما برزت امام عينيه عبارة (بسرعة وبلا تأخير)، فانتشلته من دوامة التفكير والهواجس ... فداهمت كيانه قوة مفاجئة وتوترت عضلاته .. فنهض فورا و بنشاط... قد نسيت نفسي... لقد طلبت مني ان اعود بسرعة... فامسك بقلمه و كتب على قصاصة من الورق هذه الكلمات :

- (لا تقلقوا علي..لقد رجعت الى البيت بسبب برقية تلقيتها) أرام... وضع الورقة على المنضدة وخرج .. كان يسير كالمثل في الطريق و كالمجنون كان يكلم نفسه ..كان يبدو كمن فقد شيئا يحاول العثور عليه ،،،وصل الى النقليات...والسيارة التي كنت تتوجه الى مدينته كان ينقصها راكبان لكي تتطلق...ولم يكن بوسعه ان ينتظر اكثر... لذا خاطب السائق قائلا :

- حرك سيارة وانطلق ... وسأدفع لك اجرة الفرد الذي ينقصك... بدأت الات السيارة بالاهتزاز .. مثل قلبه ، و برز في مخيلته كثير من الافكار والتوقعات و الاحتمالات و الهواجس التي أعترضت مجرى تفكيره ، و بدأ يحاور نفسه:(ليتها هذه المرة.. و لهذه المرة فقط تخضر شجرة الامنيات.. و بغمضة عين كنت ابغ الدار... و كنت افهم كل شيء ولكن أين...وهل تتحقق أبدا ...)

كان قد وضع يده في جيبه...وكان ممسكا بالبرقية ضاغطا عليها بقوة في راحة يده. ولشدة استعجاله و لهفته للوصول كان يشخص شيئا بعيدا على الطريق يركز نظره عليه فما ان تجتاز السيارة الشيء الذي جعله معلما . حتى كان يعين شيئا اخر...

(ليتني كنت اقود هذه السيارة...حينذاك كنت اعرف كيف اجعلها تطير).
اخرج البرقية من جيبه دون ان يقرأها... برزت الحروف امام عينيه الواحدة تلو الاخرى... سأم السفر وبعد الطريق كان قد ارهق المسافرين وجعلهم يستسلمون للسكوت او الرقاد ..الا هو وحده كان كمن غرقت سفينته...فهبط نحو اعماق واغوار نفسه يخاطب ذاته : (لا الطريق تنتهي ولا الساعة تتحرك..كأنت الساعة نائمة !فعاقربها لا تتحرك ...سينفجر قلبي الى أن ابغ البيت) و كان السائق قد أحس باضطرابه وانه يحب ان يسرع في السير ... لذا كان يسرع و يسرع فبدأت السيارة تطوي الطريق طيا . و كلما كانوا يزدادون قربا من المدينة كلما ازداد اضطرابه واشتد شوقه... و الى يسارهم كان قرص الشمس يبدو كدائرة متوهجة ساكنة وهي تتحدر بطيئا بطيئا نحو الجهة الاخرى من الارض ... و كلما كانت تختفي..كلما كان ضوء النهار

يودع الكائنات.. وعلى قلبه كانت تخيم ظلمة قاتمة... كانوا قد قطعوا ساعة من الليل عندما بلغوا المدينة. نزل وبخطوات مضطربة.. قلقه وبطيئة كان يقطع الطريق ، كان لا يزال بينه وبين ان يبلغ باب الدار بضع خطوات ، وشحذ مشاعره لاستنكاء الحقيقة... كان الهدوء يخيم على الدار... والمصباح الذي امام الدار كان مضاء ككل مرة...

- أنها في الدار... ام يا ترى حدث حادث...؟! و بصورة غير اعتيادية كان قلبه يدق... وضع اصبعه المظطرب على زر الجرس.. و على شاشة مشاعره برزت صور شتى من الاضطراب و الهواجس المختلفة... و ركز عينه على الثقب الموجود على الباب محدقا من خلاله ، نبهه الصوت المنبعث من خلف الباب .

- من...؟ (هذا صوت خرامان).

- أنا يا خرامان .. أنا ... و أنفجرت الباب... وعلى الفور ركز عينيه في عينها... فأطمأن قليلا وهدأت مخاوفه !
- أنت...؟

- قبل كل شيء اخبريني... ما الامر... و اي شيء حدث..؟!؟

- لم يحدث اي شيء... فقط كنت احب ان تعود...

- لماذا...!

- أدخل اولا.

- هل هناك مشكلة او حدث شيء ؟

- لا شيء... ولكن سوف لن نقف هنا فقط...

- انفتحت الباب على مصراعها .

- ولكن لمجرد ان اعود ابرقت الى... ولكن أنا...

- مثلما قلت لك... شعرت بالوحدة..واقفقتك في غربتك فاحببت أن تعود..

(ليظن هكذا..انه أثم..ان ابلغه وهو على هذا الحال من الارهاق لأوجه الى الغد).

- لماذا انت حائرة ؟

- كنت أفكر فيك عندما وصلتك البرقية ..
- هل أصدق انه لم يحدث اى شيء ..
- لقد أربكتيني لدرجة لن استرد حالتى الطبيعية بسهولة ...
- هذه الليلة فقط سأنسيك كل شيء .

(٢)

كان الوقت بعد تناول فطور الصباح...كانا يجلسان متقابلين وكل منها يرنو في عين صاحبه يرمقه محاولا إستنزاف ما فيها...وكانت المرأة مع نظراتها تقول مع نفسها (لا أشك في انك تحبني كثيرا... ومع ذلك لا بد من أن أبلغك ... واعرف انه سيكون عقدة كبيرة في قلبك ومع ذلك ليس أمامي خيار آخر..وليس بوسعي ان انتظر اكثر) وكانت نظراتهما تلتقي في نقطة واحدة... فوجهت دفة الحديث نحو زوجها وقالت :

- اتدري لماذا طلبت منك ان تحضر !؟
- نعم... ألم تقولي لي...أذن ماذا كتبت هذه الليلة الحلوة..!؟
- كلا... لم أقصد هذا..!
- هل تمزحين معي ...
- كلا سأقولها باختصار... و عندما نطقت هكذا...امتقع لونه وشعر بضيق في أنفاسه... و شخص ببصره نحو شفتيها ليعلم بماذا تنطق .
- طلقني

دخلت هذه الكلمة الى كيانه كالمخدر...واخذ يسري في انحاء جسده... فتخدر جسمه ... وكمن تلقى لكمة على ام رأسه...فهزته ...واصابته بالدوار...ودارت الغرفة امام عينيه...وترددت الكلمة في أذنه...طل...قني..طل..قني..طل...ق..ني

و كالأبكم بدأ يتكلم ويقول :

- ه...ه...ل...تصدقين؟
- نعم...

- أربعة...أربعة اعوام كاملة من الحب...و أربعة اعوام معا من الزواج ..
ثمانية أعوام ...ثمانية... تمحى.. بكلمة واحدة!؟.
- نعم
- حسن.. فلماذا!؟
- احب الأطفال...الأطفال...أحب أن أصبح أما...ماذا ينقصني عن
الاخريات...وانت....انت ايضا..
- كفاك...كفى...فهمت...جيد ولكن الم يسبق لك وعندما لم يكن قد مضى على
زواجنا اكثر من سنتين. الم اقل لك ان كنت تحبين الاطفال فانا مستعد لان
اطلقك... انا لا اريد ان احرمك منهم...فهذا حق لك.... فقلت لا اريد الحياة بدونك
و... لا اقبل ان تذكر كلمة الطلاق مرة اخرى..
- حقا.. لم اكن راغبة في الاطفال حينذاك... و كنت لا ازال أأمل ان أحمل...
وان تجعلني أما...والآن لم أعد استطيع ان اتحمل اكثر مما تحملت...
- ولكن يا فتاة ... منذ ذلك الوقت وانا انشغلت عن العالمين بك ... و ارى
الوجود فيك...وقد عقدت كل امالي عليك..اتركى هذا الامر...رغم...
- ولم تطوعه لسائه على اتمام الجملة...!
- رغم ان طلبك هذا حق مشروع لك...لانني عجزت عن ان اشبع فيك عاطفة
الامومة ... وعجزت عن جعلك أما...ولكن عليك أنت ايضا أن تفكري بكل
هذه السنوات...فالفراق صعب جدا...جدا...
- حقا ولكن الرغبة في إنجاب الأطفال... و لهفتي للأطفال الآن فوق كل شيء
ولا أدعي ان محبتك قد زالت من قلبي..ولكن هذه الرغبة التي انبعثت في
مثل جذور السرطان قد إكتسحت كل كيائي فكلما رأيت امرأة تحمل طفلا
أحببت أن أذهب و أخذه منها ... و أن أحمله... و أحمله لحد الاشباع الصقة
بصدري ... و أن نضع ثديي في فهمه.. ومن جهة أخرى أنقم عليهن: لانني
أنا أيضا امرأة..امرأة...امرأة

- ليس عسيرا على الله أن يرزقا بطفل ... فليست كلما تهم سندا... وليس قصدي أن أمنعك ولكن الطفل ليس كل شيء.. هناك كثير من الأزواج بل وبلا حصر ... مثلي ومثلك؟؟
- هذا خارج عن إرادتي فمناغمة الأطفال الصغار سلبت مني أحاسيسي وأمتلكت مشاعري أتركني أعطني حريتي ...
- صحيح .. إن الأمل الذي لم يتحقق في أربعة أعوام... فهذا يعني... لاشيء... ومن فرط تأثره وأنفعاله ضاعت الكلمات على لسانه... وجاشت عواطفه...
- أنا وحدي اعلم كم احب الاطفال... وكم اتمنى ان يكون لي طفل ... وحتى لو كان كسيحا او اعمى... لينادينني بابا فقط... وهكذا اعلم الى اى حد بل ربما وأكثر تحبين الاطفال وتتعذبين من اجلهم... وعاطفة الامومة كم تعذبك... و لكن الفراق كذلك صعب جدا.. و موءلم... وبحاجة الى الارادة والتحمل.. وبعد اما زلت مصرة...
- نعم...
- تحسر من الاعماق وقال:
- حسن ها انا ذاهب... وغدا انتظرك امام المحكمة...
- لا... لا... لا تذهب، فلنقضي هذه الليلة ايضا معا...وبعدها سنذهب معا في الغد و
-
- وهذا صعب ايضا...ولكن فلننصف هذه الليلة ايضا على الاعوام الاربعة لكي تصبح أربع سنوات ويوما واحدا.
- عندما سمعت هذه الكلمات أطبقت أهدابها واطلقت حمرة..وبعد سكوت قصير فتحت عينيها وقالت :
- حقا إنك رجل جرىء...!

أقاصيص يومية

رؤوف بيگرد

ترجمة: حسين عثمان نيرگسه جاري

- ١ -

الأم

يوميا تسير امام دارنا وهي منتشحة بالسواد، وترتقى صعدة المقبرة وتجلس على نفس القبر الذي لم يزل ترابه يميل الى الحمرة، بهدوء وحبور تبدأ بالبكاء والنحيب، فتصبح الذكريات دموعا وانغاما، ولا نعلم سوى ان القبر لشاب كان في ربيع (١٨) عاما وكان الابن الوحيد لتلك المرأة.

الخالة (منيح) هي الاخرى كانت جارتنا، وهي تجلس بجانب جدار بيتها وهو قريب من ذلك القبر، وتبدأ هي الاخرى ببكاء ونواح أشد غليانا، تتشابك أصوات أنينهما وتلوهاتهما وتملا المنطقة بالهياج والاشجان، الا ان صوت وأنين الاخيرة كان أكثر نفوذا وتأثيرا، لانها تنحب وتولول لابنها الوحيد الذي كان بدون لحد وكفن.

١٩٨٠

- ٢ -

الحياة

طأطأ رأسه قليلا وأمعن النظر في أطلال وبقايا داره وتذكر زقاقه، الا انه لم يستطع تحديد وتشخيص جميع الدور كما كانت، عندما وصل ارض داره، اعترته زوبعة فرجت جميع أعضاء جسده، فتفقد بقلياه شبرا شبرا، ورفع رأسه نحو الأعلى، فرأى ان السماء نفس السماء والنجوم نفس النجوم التي كان يعددها داخل حصيرة القصب واحدا واحدا وهو صغير، ثم يستسلم لسلطان النوم، في تلك الايام كان طفلا حروكا لا يحزن لأي شيء، ولكنه الآن اصبح رجلا ابيض الرأس واللحية وله كرش متدلي، وكذلك اصبح ذهنه الساذج البسيط ممتلئا ومعقدا، فقال لنفسه: ((أنا وداري متشابهان وكلانا في نشوء وسقوط، يُبنى على دارى دار أحدث وانا أنجب أحفادا انفع مني وأصلح، هي النجوم أبدا تبقى راسخة في اماكنها وتجذب أصابع الصغار اليها)).

الشمس في كسوفها

في الليالي وأثناء ترويض الوقت وإيقاظ الذكريات العزلاء الخجولة، كان مؤشر الاحزان يرسو على وجه (هيو) وتتجلى في سيمائه، فيرسم المؤشر على وجهه صورة لدنيا عجيبة غارقة في الابهام والمجهول.

(هيو) ليس شيخا معمرًا، وهو الآن يناهز الثلاثين عاما، الا ان البياض غزا شعر رأسه ولحيته، كما وان التجاعيد القت حملها على جبينه وخديه، ومرات ينثر (هيو) على من حوله لفحة ذكريات لأيام بهيجة وحلوة جدا، فسيماؤه .. لونه .. عيناه وأصابعه في هذه الحالة تصبح هائمة داخية، وعندما يلج في هذه الحالة لا نكثرث به، فيصبح كشاعر .. فيلسوف أو صوفي ملتزم ومنشغل بنفسه وعالمه وهو عاشق ولهان ثمل لا ينتبه لشيء.

كل ما نعرفه عن (هيو)، هو انه كرس كامل شبابه لغاية، ووقع على هذا الطريق في عشرات الانتكسات والمصائب الجلل، ولكنه لم ينهزم أمام تلك الأرزاء، ونزفت منه دماء .. جاع وعطش كثيرا، رفس في ذلك الطريق الاحجار الصماء بحيث لم يصبح حذاؤه فقط بل رؤوس اصابعه ملساء ناعمة كأنها صقلت ونعمت بورق الصنفرة (سمارته) وسقطت بعض من أظافره ايضا.

يعيش (هيو) الآن في بيت أحد أقاربه، فلا أب له ولا أم، أخوه الوحيد اعتقل لاجله منذ عشر سنوات وهو بدون لحد وكفن، أنا أزور ذلك البيت كثيرا ومولع بهدوء (هيو) وذكرياته الحية، أريد ان أجعل منه بطلا لاحدى قصصي، الا انه يتهرب في كل مرة ويصبح أكبر وأكبر من أبطال قصتي، الا اني لم أتركه لحاله فأتبعه، أرتاد المقهى التي يقف أمامها (هيو) ورفاقه، انهم يقفون أو يتكئون على السياج الفاصل بين الشارع والرصيف، وهم يتحدثون في الاسرار يشكون ويعاتبون، رفاق (هيو) ليسوا مبيضي الرؤوس واللحي، ولكن يوجد بينهم مبتوري اليد أو يمشون برجل صناعي، بينهم من وجوههم وأيديهم

مسودة كلن حرائق البارود شوهتها و غيرت لونها الطبيعي، بينهم لاترى فيهم تلك التشوهات، الا ان وجوههم تشبه وجه (هيو).
عندما تستمع اليهم تجدهم منهمكين في سرد حكايات و ذكريات عن سنوات
الجبل، يروون شذرات من شمائل رفاقهم الشهداء، أو يتحدثون عن كيفية
حياتهم وسط أكوام الثلوج المجمدة، أو حياتهم في الكهوف و شقوق الجبال
و الوهاد، وأحيانا تخض حادثة سارة غديرهم و ترسم بسمات عريضة على
شفاههم.

عندما ينتهون من نبش الماضي و يصلون الى الحاضر، تنفجر حالة متشنجة
وكلن و قود البنزين سكب على النار.. أو السماء تمطر أحجارا.. أو ان الارض
و السماء تصادمتا، انهم يقحون بوابة لوا عج الآمهم و معاناتهم.. و يعرضون
صفحات قاتمة من قشور جروحهم القديمة، انهم مشتاقون الف مرة للايام التي
لا يرون فيها غير الاحجار الضخمة الصماء، وهناك في الجبال بدلا من ان
يروا مضطرين و جوه المنفورين و سماع لغط المكروهين و الانغال، يستمعون
الى حفيف النسيم و طنين الرياح.

و بعدها كعادتهم يرفعون أعناقهم و رؤوسهم نحو القمم الشاهقة و النجوم البعيدة
الباهتة، هؤلاء الشباب مشحونة رؤوسهم بالخيال و قلوبهم مملوءة بالحب
و الضجر و الاستياء، ولكن جيوبهم خالية خاوية، ولا توجد يد تحن عليهم
و تخفف نتفا من أتعابهم و إجهادهم.

١٩٩٢/١١/٢١-٢٠

مريم و الشجرة

زينب يوسفى

ترجمة : نجات خوشناو

كانت مريم قد غطت في نوم عميق تحت الشجرة المحترقة الواقعة على سفح الجبل منذ زمن. حيث لم تؤثر كل تلك المأمآت والثغاءات المستمرة المنبعثة من قطعان الأغنام على نومها المستميت. كانت القطعان قد نفذ صبرها وبانت متوترة، لا يستقر لها قرار. هل كان ضوء الشمس الخافت، في افق ذلك المساء يستدلها بأن وقت الرحيل قد حان؟ كانت القطعان قد فقدت هدوها المعهود ومريم مازالت في سباتها، فاقدة وعيها بالوجود..

(كان يترأى لها، أن الدم كان يقطر من بين أصابع (أسو) وكانت اغصان واوراق الشجر، قد اشتعلت فيها النيران فتساقط مشتعلة على رأس ورقبة (أسو) قطعة قطعة. كان أسو وهو على حافة الهاوية منشثاً بنتوءات أحجارها. كانت مريم بثيابها الممزق تبحث بين الأحرار وركام الغابة عن أخيها وهي تصرخ: أسو.. أسو.. تعال إذن! كان أسو من تأثير الألم والخوف من الشجرة التي كانت ترتعد وتضرب، مثلها مثل الانسان، قد أصيب بالصم والبكم) كانت قطرات العرق تسيح من جبين مريم على خديها. وثغاء القطيع ما أنفك حتى تحول الى ضوضاء لا يحتمل..

(كانت مريم تائهة حائرة بين الاحراش وهي تبحث عن إخيها بلا جدوى.. أسو..! هيا إذن..! حسناً.. سوف لن أتحدث ولن أخبر أحداً بذلك. ستخيظه أمي مجدداً، وأنا بدوري سأسامحك. وقد تأخرنا كثيراً ويجب أن نرحل.. أن الروائح التي كانت تفوح من الدخان المتطاير ومن جسد أسو ونكهة ذلك المساء المشثوي قد امتزجت وتداخلت ببعضها البعض.. أحس أسو بأن النتوءات الحجرية قد تنفلت وتنسل من بين يديه.. دمعت عيناه فتساقطت ثمة دمعة في بحيرة ماء صغيرة فأرتفعت منها موجة خفيفة مبتلعة أسو.. بينما النيران كانت تلتهم اغصان الشجر، هب النسيم من اعالي فروعها وشجرة مريم لازالت تحترق وتتساقط منها أغصان متفحمة. لم يبق منها سوى جذع لاهية فيه، فاتحاً فاهُ نحو السماء (يا ماري الحلوة.. عودي! هيا يا جميلتي.. عودي! كانت القطعان في حالة خوف وثغاء مستمرين، كان ثوب مريم الاصفر قد رشح من كثرة سكب الدموع مدراراً وفصد العرق. (حينما سحبت البحيرة أسو إلى داخل

حناياها كان هو يسمع الكلمات ذاتها (يا ماري الحلوة.. عودي! هيا يا جميلتي.. عودي!) حين شعرت مريم بأن شيئاً ما يجذبها إليه، إنتابتها قشعريرة هزت كل كيائها. شئٌ كإمتزاج روائح الدخان وذكرى أخيها مع أصوات مبهمه كضباب الليل.. فأتجهت هاربة حيثما البحيرة والشجرة المشتعلة والدم لازال يقطر من بين أصابع آسو الذي لققته البحيرة ولم ثبق منه سوى يديه الملطختين بالدماء خارجاً. كانت مريم تزعق وتصرخ وهي تمسك بأصابع آسو الملطخة بالدم مجردة وأياه نحوها (لماذا إنن يا آسو أشعلت النيران بها؟ شجرتى يا آسو لم أحرقتها..؟

- يا مريم! لقد سمعتها بأذني هاتين. سمعت كل ما قالته الشجرة.. سمعت.. سمعت..)

كانت القطعان تبعث ثغاء الإستنجد وهي في حالة خوف وترقب دائمين من سكنون ذلك المساء المشئوي وما تخترقه من أصداء عواء الذئب ونباح الكلاب، تملأ أجواء المشتى رُعباً وهلعاً.

كان القمر بازغاً، حين كان حَمَلُ مريم الصغير، يلتهم بفيه ثوبها ويمزقه (يا ماري الحلوة إنهضي.. إنهضي..) أفرع الصوت الحَمَل الابيض الصغير فالتجأ الى حضن مريم التي هي بدورها اندفعت نحوه وأستنهضت ماسحة صبوب عرقها من أطراف الوجه وما حول رقبتها. كان الهدوء والسكينة يعمان أجواء السفوح والوديان المترامية الأطراف. كانت القطعان قد اختفت عن العيون، ولم يبق هناك سوى آثار الغبار والعجاج التي بدأت تنثال على أرضية السفوح وعلى رأس الشجرة المحترقة وكذلك على ضفائر وكتفي مريم.. ليس هناك سوى الغبار..

رأس في شق قبة الجحيم

سالار اسماعيل سمين

ترجمة : انور حسن موسى

مع عصف جحيم مباغت ارتعشت اوصال مدينتي الحبلى بالهم الابدي ،
وجفلت نوارس نهرها الفضي الخالد .. بعد الظهر بسويغات هدأت
الضوضاء، وقف صياح باعة الخضر واصحاب محلات (كوجك بازار) رجع
المصلون الى منازلهم بعد أداء صلاة الجمعة ، وما أن مضت ساعتان حتى
استغرق الجميع في نوم عميق داخل غرف قديمة تأكلت جدرانها في نهار
حزيراني قانظ هز دوي انفجار هائل اركان المدينة فتحت أبواب الجحيم في
احدى درابين هذه المدينة البائسة .. سارع الناس من بقية الاحياء الى مكان
الأنفجار.. كان علو قباب المنازل المنكوبة لا يتجاوز قامات غداري المدينة ..
انهارت القب العتيقة والجدران المتأكلة على رؤوس ساكنيها .. تجمع الناس
هناك وهم يصيحون بلغات شتى .. امرأة مسنة استندت على نتوء حائط منها
تصيح بأعلى صوتها :

- زينب .. زينب .. زينب

ذراع شاب مبتورة تطفو فوق المياه الراكدة في الزقاق .. عند اخلاء كل جثة
جديدة يصطبغ وجه السماء بلون قاني .. المرأة المستلقية قرب الحائط تردد
بأنين مفعج اسم ابنتها زينب .. حقا" لقد كان مشهدا" مريعا لا مثيل له ، كان بابا
من ابواب الجحيم قد فتح في ذلك الزقاق .. نساء حاسرات الراس يلطمن
وجوههن وخدودهن .. وكان اكثر الناس يحملقون من فوق سطوح المنازل
المجاورة لمسرح الجريمة .. على بعد أمتار تعالت صيحات النساء .. تسارع
الناس نحو مكان الصياح .. رأوا جثة بلا رأس .. ترى من تكون صاحبة هذه
الجثة ... ؟ قسم من النساء هتفن : جثة زينب ، وانكرت اخريات الخبر ..
احضروا أم زينب كي ترى الجثة ، وما أن رأتها أغميت عليها ..

بقايا البيوت المنهارة توحى بأن المكان قد تعرض لقصف طائرات حربية ..
عشرات النساء شكلن حلقة وهن يلطمن على وجوههن وكان صياحهن يشق
عنان السماء .. مال قرص الشمس نحو الغروب ، وبدأ ظلام الليل يبتلع رويدا
رويدا آخرما تبقى من شعاع الشمس .. تفرق الناس ، وانسحبوا الى منازلهم

مبهوتين مكوديين بعد بحث مضمن عن الضحايا المدفونة تحت الانقاض ..
ونزحت الطيور عائدة الى أعشاشها بين أغصان اشجار البيوت المجاورة ..
خيم الرعب على الجميع .. بدأ رأس زينب رحلة البحث عن الجسد المفصول
مردداً بصوت مخنوق :

- أماه .. أماه .. اين انت يا اماه !!

انتصف الليل .. خلا المكان من الناس الا عدد قليل تحلقوا حول جثة زينب
المقطوعة الراس والذراعين والحيرة بادية على وجوههم .. ترى من أين يبدأوا
البحث ؟ أخذ الرأس يئن ويردد :

- يا اناس انا هنا .. انقذوني من هذا الجحيم ..

سمع المتحلقون حول الجثة نداء الراس فسرت الرعشة في أبدانهم ، وفي ذلك
الوقت تعالى صوت من السماء :

- يا اهل الخيرة .. راس زينب قريب منكم فلا تبتعدوا .. رأس زينب مثل راس
حيّة تبحث عن جسدها المقطوع مابين الجحور التي خلفتها بقايا القبر
والحيطان المنهارة .. زينب في رحلة البحث صادفت ذراعاً مبتورة قتهل
وجهها بادئ الامر لانها ظنت انه ذراعها اليمنى وعلا صوتها :

- وجدت ذراعي .. وجدت ذراعي ..

ولما صارت قريبة منها وجدتها غير ذراعها فا جهشت بالبكاء والنحيب ..
الباحثون عن راس زينب نال منهم التعب وانهارت قواهم مع اقتراب موعد
آذان الفجر ، وغلب عليهم النعاس فقرروا الانسحاب على امل معاودة البحث
في النهار .. بعد يوم كامل من البحث قرروا دفن الجثة ، وابتلع الأفق آخر
خيوط الشمس لنهار اليوم الثاني لتبدأ أخرى مجللة بالحزن والأسى .. نال التعب
والارهاق من رأس زينب المحشور في شق احدى القبب المتشقة ، وظل يحدق
في المجهول بنظرات حائرة .. رائحة الاشلاء العفنة تزكم الأنوف وتبعث في

داخله الغثيان .. انهارت قواه ولم يتمكن من النطق سوى كلمات تقطع نيات القلوب : ((أنا الآن اتدلى من شق هذه القبة اللعينة .. اسمع نباح الكلاب السائبة بين الانقاض ، واسمع اصوات الجرذان واشهد حركاتها المجنونه .. مازالت الدماء تنقطر من رقبتى وأخشى أن تهتدي الجرذان الى رائحة تلك الدماء يالها من ليلة قاتلة كئي بها ليلة القيامة))

تذكرت زينب كلمات امها : ((عزيزتي زينب أبداً لا أنسى الايام السوداء التي مرت على هذه المدينة البظلة .. ولا يغيب عن ناظري منظر انقضاض الطيور الجارحة على اشلاء الاجساد الممزقة المبعثرة على ضفاف نهرها الخالد .. ولا أنسى بكاء اهل هذه الديار ... لقد صاروا اسرى وعبيد .. وتحولت مدارسها الى سجون ومعقلات , وسيق الكثيرون الى المنافي المجهولة ..))

فرددت : ((أنا الآن يأمامه في حجيم لايطاق .. أحسُ أن جثتي لا تبعد عني خطوة او خطوتين , ولكن هيهات لا أصلُ اليها .. اسمع اصوات الجرذان وهي تقرض بانيابها الحادة أوتار جسدي ..)) لقد كانت والدتها متضائلة دوماً ومرة قالت لزينب : ((يابنتي سوف يحل يوم نبيع فيه خربتنا هذه ونشيد بيتا جديدا على ضفاف النهر ..))

واصلت زينب تسرد قصة تلك الليلة المشؤومة : ((جاهدت كي أخرج رأسي من الشق دون جدوى فأحسست بيدين قويتين تمسكان برأسي وتشدانه بقوة في محاولة فاشلة لتحرير رأسي من برائن الشق اللعين .. ورغم احساسى بالانهيار التام كنت أسمع صياح الديكة الصادرة من البيوت القريبة المجاورة .. أحسست ان الوقت قريب من الفجر ، وبعد قليل سينبلج صباح يوم جديد ، لكن مكاني سيبقى مظلماً وللمرة الثالثة اسمع نباح مجاميع أخرى من الكلاب السائبة وهي تتقاتل على التهام بقايا الاجساد الممزقة .. في ذلك الاثناء انكشف الشق المقابل لي عن ضياء ساطع .. تأكد لي ان مصدره من الخارج ، أو لعله من فوق سطح القبة المنهارة .. اتسعت مساحة الضوء انكشفت ظلمات القبة والجدران المهدمة الملاصقة للشق الذي علق فيه رأسي .. فكرت في إخراج رأسي قليلا

من الشق لاصرخ باعلى صوتي : ((ياناس .. أنا هنا .. انقذوني بحق السماء ..))

هذه المرة تبينت بوضوح الاصوات المنبعثة من خارج الشق تناهي الى سمعي صياح احد الرجال :

- تمهلوا .. تمهلوا .. انظروا هذا هو ساعد مبتور بين هتئين الصخرتين الكبيرتين ..))

ثم انطلق اصوات بنادق رشاشة وعلا عويل النساء ، وكثت صيحات الرجال يهتز لها المكان ، وتعالى صوت آخر :

- لا تخافوا .. هذه الطلقات النارية ابتهاج بالعثور على اشلاء جديدة ..

حين سمعت هذه الصيحات تملكني الأسى فبدأت ابكي بحرقة وأنا اتلمس رقبتى المبتورة .. سمعت صوتا مخنوقا لشيوخ مسن دخل من توه من خلال الشق المقابل :

- يا ناس .. لقد تعبتم من البحث وأن لكم أن تنسحبوا .. لا فرق بين هذا المكان والمقبرة .. دعوا هذه الاجساد تنعم برقبتها الابدية بين هذه الاطلال الخربة .. كم احزنني كلام هذا المسن الخرف القاسي القلب .. وبصقت على الشق الذي ينبعث منه صوته القبيح .. ان امثال هؤلاء لا يعرفون معنى الحياة، ولا يملكون ذرة من الاحساس بالآلام الاخرين .. في هذا الوقت سمعت صوتا حزينا شجيا لامرأة مهدورة القوى تأكد لي انها واقفة بالقرب من الشق المفتوح المقابل ، واحسست من نبرات الصوت انها والدتي المسكينة .. جفلت واندفع راسي بحركة جنونية نحو الشق المفتوح المضيء واستقر في احضان والدتي .. !!

رسالة من مية

سلام منمي

ترجمة: حسين عثمان نيرگسه جاري

في مساء متأخر رجعت، كانت مرهقة ومرتبكة ومكتئبة جدا، تغير سيماءها وملامح وجهها وكأنها رجعت من مكان بعيد مترجلة وقطعت مسافات طويلة ليلا، أنزلت حقيبتها اليدوية من رف الادوية، ولم تنظر كعادتها السابقة الى المرأة بحيرة وضجر خرجت من عيادتها، خطواتها كانت غير طبيعية وتتشابك، وكادت ان ترتطم بالارض مرات، جلست على مائدة العشاء الا انها لم تذوق طعمها.

لتأدية بعض الاعمال قامت، إلا ان ذهولها وشروذ ذهنها قد اقعداها في مكانها وهي في حيرة ودوار، أخيرا لانتهى الى سريرها وهي مندهشة، ركزت نظراتها على سقف الغرفة وهي تتذكر الكارثة التي حدثت في عيادتها الطبية وأغرقتها في دوامة لاحود لها من الحزن واللواعج الانسانية.

* (كه ژان)! ألم تكوني قادرة على ان لا تستسلمي لهؤلاء الأوغاد؟

إغرورقت عيناها بالدموع وشقتها ترتجفان وهي تتلعثم، قحت عينيها وعزمت على الكلام، الا انها تعثرت، وهي ترتجف كغصن البان.

* لا تخافي .. أنا اعرف بمعاناتك، لست أول امرأة بهذه الوضعية زارت عيادتي، والوقحان اللذان يرافقتك نجسا عيادتي مرات.

* مم أخاف .. ماذا يفعلون أكثر مما فعلوه .. هل بقي ما يدوسونه؟

* (كه ژان)! أذكري كيف وقعت بين برائينهم؟

* في منتصف ليلة داهموا بيتنا لاعتقال زوجي، الا انه وخلال نيران كثيفة استطاع ان يهرب وينقذ نفسه، كان زوجي يعتقد انهم لا يمسون النساء بالأذى، وهناك ماثورة كوردية تقول: (حتى الكلاب لا تتبح بالنساء)، لو لم يكن زوجي استلهم ذلك الاعتقاد، لما هرب بدون سحق رؤوسهم وانقاذي من وحشيتهم.

شقتها ترتجفان وأجهشت ببكاء حزين ثم عاودت حديثها:

* ثقي دكتور! أعتبر نفسي الآن بقرة تطاردها ثيران وهي في هياج الشبق وتتنافس فيما بينها، أي منها أقوى فتفوز بجسدي الى ان يشبع .. قتأتي ثيران وثيران..!

* قلت حتى الكلاب لا تنبح بالنساء.. إنهم ذئاب ووحوش كاسرة، بقروا بطون
مئات الملاك من مثلك انهم لا يشبعون من هدر الاعراض والدماء.
أقلت (كه ژان) نظرة على الغرفة والصورة المعلقة على الجدار وأمعت فيها
وتأوهت بحسرة فقالت:

* كم أتمنى ان أكون مريضة حقيقية، وتجري لي عملية جراحية، إلا اني عنيدة
منحوسة فلا أصاب بمرض، بل أبقى لأشبع غرائز هؤلاء الوحوش المقترسين،
ومن حسن حظ هؤلاء الاوغاد ان يمطر عليهم المنّ والسلوى، وان كنت قوية
مثلهم فمن يتجاسر ان يطمع في جسدي؟

عينها الخضراوان وقامتها المهفهف وشفائر شعرها العسلي تبهر الانسان
وتصيبه بالحيرة والذهول، فمن الجريمة والظلم المسافر ان يكون هذا الجمال
فريسة لهؤلاء، ذي الجباه المحدّبة، أليس من سوء الحظ ان يدور على هذا
الجمال ذباب الكلاب بدلا من الفراشات الجميلة؟!!

جرائمهم توسعت، بحيث لو كانت السماء لحافا، ليس بوسعها سترها، انهم ليسوا
إلا كوابس مخيفة، أسنانتهم مبعثرة غير منتظمة تشبه حزام الخراطيش لقطاع
الطرق القداماء، أنوفهم مسطحة ومسحوقة.

- ٢ -

* دكتور أغيثيني! ان السماء نائية والارض وعر، فبمن أستغيث؟
* أكتب لك الدواء.

* الدواء؟ انه يزيدني البؤس والألم، هل تريدان ان أبقى على هذه الحالة
المزرية؟

* كيف وماذا تقصدين؟

* نعم ان الدواء تعالجني، الا انهم يوغلون في جسدي بنهم ورعونة أكثر.. انهم
الآن في انتظار ان أتشافى كي يناوبوا علي، هل أنت أيضا في خدمتهم؟
* فما هو الحل؟

نظرت مرة أخرى الى الصورة المعلقة على الجدار وقالت:

* أرجوك دكتور! اجري لي عملية جراحية أو أزرقيني أبرة فتقذني من هذا الجحيم، فكل ترفيعة فخذ موتة لي، أية موتة!!
* رسالة الطب ليست قتل الانسان ودفنه، هذه الصورة لعملية جراحية نجحت وصاحبها الآن تغني للحياة.
* قلت لك اني لست انسانا، بل بقرة، وثيران جامحة تطاردني وتنهش في جسدي.

صمتت مدة ثم قالت:

* هل تعتبريني انسانا؟

* انت انسان وانهم وحوش.

* في هذه الحالة المزرية قد تستطيع الرسالة الانسانية للطب ان تنهي هذه الوحشية، فأرجوك ومراعاة لتلك الرسالة، ان تنقذيني من هذه الحياة البذيئة.
* لو أقوم بذلك، فسأكون في حالتك هذه، وتحت يد المسكين كلنا سواء.

* لا أريد ان أكون سببا لعذاب أي انسان، ولكن أية عدالة تقبل ان تكون هذه الذناب الشرسة تلعب ليلا ونهارا على صدري وتمتهزىء بجسدي؟ من الافضل ان أغادر الحياة بأسرع وقت، انهم سيقفلوني حتما ولا يتركوني لحالي، أتمنى موتا أسرع لأحرمهم - كحد أدنى - من متعة جسدي والتلذذ به!

[انها صادقة في قولها، لا أخلاق لهم انهم سيقفلونها، انا أدري بما فعلوا بها! قبل ايام جاءوا بإمرأة اخرى وكانت بنيتها الجسدية أقوى من هذه، الا انه وبعد ايام رأيت جثتها في المستشفى، أنا الآن أمام امتحان عسير جدا.. أنقذ انسانا من أنياب الذناب ولكن أوارى كل هذا الجمال الصارخ في التراب، في حين الانسان مولع وعاشق للحياة وليس للموت]

* أنا في حيرة من أمرك: اذا أقتلك فلن أنج من تائبية الضمير، وصورتك الى ان اموت تطل علي ليلا ونهارا، وهكذا تقتليني معذبة ومقهورة، واذا لم اقتلك، فانهم وكما تقولين تعيش بين أحضانهم يتفعلون عليك وينهكوك قتموتين، لذا أنصحك أن تصبري، مدة علّ فرصة وإنعطافة ما تحدث في هذا الوضع المشين.

* لحظة موت في يومي هذا أفضل من الحياة لعشرين سنة، الموت لي ضرورة.. ضرورة!

* قلت لك رسالتنا ضد الموت.

* رسالتكم رسالة الجبن والأنانية.. يبدو انك ايضا في خدمة مصالحهم واستهتارهم بشرفي.. لا تخافي انهم لا يمسونك بسوء ولا يضعونك مكاني.
ظلت الطيبية في حيرة وإحترق وانتابتها رجفة وعرق بارد، تلوهت وكان حزمة من اللهب خرجت من فمها فقالت:
* أكتب لك وصفة دواء، فبدلا من حبة إستعملي أربع وبدلا من ملعقة، إشربي أربعاً...

- ٣ -

في عصرية وبينما كانت في عيادتها منشغلة بمعالجة مريضة، جاءت الخادمة برسالة، بعد ان كتبت للمريضة وصفة دواء، فتحت الرسالة وكانت معنونة بـ (رسالة من مية).

تحيرت وتاه في التفكير، ذهنها ترى ماذا حدث، هل كتبت وصفة دواء سهوا والآن يهددوني بالثأر، أم ماذا؟ وبعد هنيهة، إنجلي الموقف:-
عزيزتي دكتورة ج !

((في اليوم الذي كتبت لي وصفة الدواء وخرجت، أقحموني في سيارة وذهب السائق لشراء الدواء، وكان شخص آخر جالسا في الصدر، كنت شاردا في عالم الموت، .. الموت الذي بشرتيني انت به، وكان لي بمثابة حياة مترعة خالدة، بل كان بمثابة تحرر شعبي ورفع راية الاستقلال وهي ترفرف، وان كنت ترضى في تلك اللحظة أقبل يديك وقدميك، إلا انك رفضت وأجهشت بالبكاء، فحتى هذه اللحظة أنا عاجزة عن شكرك)).

((لقد حضر فجأة أمام السيارة ثلاث من ملائكة الجبال، ويلمح البصر كموا فم الجالس في الصدر وعصبوا عينيهِ ويديه، جلس أحد الملكين مكان السائق وانطلقت السيارة، كنت أعيش في كابوس مريع من الخوف على الملك ثم على نفسي، فخرجنا من المدينة نحو (تاجرو)، والآن أنا (بيشمرگه)، في قرية (بلكجار) بمنطقة قرداغ.

المخلصة - كه ژان ١٩٨٨

اقصوصة قصيرة

سيامند هادي

ترجمة: جيهان عمر

(حفارة)

مثل المالك الحزين، كنت تبحث عن شواطئ الانتظار في محيط العالم لجزيرة النوارس... حطيت على الشاطئ.. كنورس حيث قطع مجرى خيالاته... رأيت النوارس تلتهم نفسها بمناقيرها..!

(الجندي)

نتيجة اللاوعي قتل صديقة بطلقة طائشة، لقد كان دون أمل.. لأنه لم يستطع ترويض بندقيته بعد عشرين عاما...!

(خادم الحرم)

كان يكتب كل مرة في وصيته : عندما أموت ، ارموا جثتي في البحر ... لا تضعوني في اطار شجرة ولا ضيفا عند رطوبة التراب... لأنني اول ماعرقته، التراب، والتابوت ، والموت ...!

(موعد غرام)

بعد انتظار طويل ، ترك كرسيه وحيدا... ماعدا اوراق الازهار التي انتشرت على الكرسي و على الارض ، خلف الكرسي سويق زهرة وورقة معلقة بها ...!

(الوقت)

كانت تحس بأنها ليست لها علاقة مع هذه الكلمة ..يل تتوقف عند الذكريات ، وعند التأمل تنهزم ...!

(النوم)

ميؤوسة لأجل عبور الوقت والعادات الدائمة... كانت في غفوة... مثل انقطاع الوقت والاستراحة : بعد ارهاقت كثيرة تنام...!

(المكان)

لمستُ انا الذي اتضجر من مشاهدة الشارع ..لأنني أشاهده بشكل مختلف في كل مرة .. وهو يراني في كل يوم بلون ما..!

(مرة اخرى)

في إحدى إقتراحاته كتب لعلماء الكون العالمي: امنحوني فسحة في السماء
لأسكن فيها... امنحوني السهول والجبال و القرى والمدن وكل من على الارض
حتى أكون اول من يسكن فيها !...

(التأمل)

عندما علم بأنهم لا يريدون أن يكفوا قبضة يديه من الافق.. ويضعوا رأسه في
جرة الخيال... ويوقظونه على قدميه... كان يصيح ملء حنجرتة : لا تقلعوا
المسامير و الصليب من على ظهري... أنني متمرس به صلبوني قبل المسيح
!...

الفزاعة

شيرزاد حسن

ترجمة : د. عادل گرمياني

كاد جلبي أن يطير فرحاً في صبيحة ذلك اليوم الذي بذرت بذور الحنطة في أرضه ، وتصور بأن حنطة كافة العنابر و المخازن تحت الأرضية ستكون عائدة له ، وستكون حنطة كافة الأكياس ذات الخطوط الزرق أو الحمر ، من ملكه ، بل و ستكون حنطة كل العالم من ملكه يتصرف بها كيف يشاء ، فلو حصل وكان الموسم جيداً ستنتج كل حبة حنطة مبنورة عشرة أضعافها ، وبقعة الأرض هذه القريبة من المدينة هي سهل خصب ذو خير وفير لو حلت بركة الله عليها .

نظر لما حوله على طول مدى بصيرته ، وتمنى لو أن كل تلك الأراضي و لغاية حدود الأفق هي من ضمن أملاكه .. رفع رأسه فوجد السماء مكتظة بسواد عجيب ، فعدا أسراب العصافير لم ير أي شيء آخر فيها ، وبدت السماء من وان عصافير كل زوايا العالم قد هاجرت هذا العام و أتجهت لهذه المنطقة و سماتها . تلك السماء المغطية لمساحة أرض جلبي .. ياللعجب .. التفت لمحمد صانع الفزاعات و بحسرة قال له :

- انقذني يا محمد ، فلو أستر الحال على هذا المنوال سوف لن نحصل في الغد على حبة حنطة واحدة كدواء .

- سيدي .. أن أحببت سأغرز لك حالاً مئة فزاعة في هذه الأرض .. فزاعات من تلك التي تتكلم و تبصق على العصافير بدلاً منك

- أحسنت يا محمد ، ليس لي سواك في هذه المحنة .. رفع جلبي رأسه و بصق على العصافير ولكن الرياح لم تدع رذاذ بصاقه تصعد للأعلى فنزلت على شاربته ، فأخرج المنديل من جيبه و مسح الرذاذ .. ذلك المنديل الذي أهداه له الحاج ملا شيخ شيروان ميرزا بك بعد عودته من مكة المكرمة وادائه مناسك الحج ..

- ألا تنقل لي يا محمد ما فائدة العصافير عدا كونها تأكل حبوب الحنطة و تقذ ببرازها .. ألا تنقل لي ما الحكمة في وجود العصافير !؟

أغرز محمد في الأرض .. ثلاثاً .. أربعاً .. عشراً من الفزاعات .. عشرين .. ثلاثين .. أربعين .. ياللعجب .. العصافير لم تخف أو تفرع ، بل أنها استمرت

على موجات طيرانها فوق أرض جلبي .. لم تكن أسراب تلك العصافير لتأتي من السماء ، بل كن يأتين من عالم الغيب .. سرب يطير ، وسرب آخر يهبط على تلك الأرض .. كان حفيف طيران آلاف الأجنحة تفرع حتى الرجل الجسور .

حاول محمد كثيراً أن يمنع اسراب العصافير و يبعتها عن الأرض التي بذرت فيها الحنطة ، ولكن جهوده ذهبت سدى . ز قذف بالأحجار يمينا و يسارا ، وكان جلبي كالغراف يصفق بأجنحته و يحرمس حبات الحنطة المبذورة .. كانت جهوده بلا جدوى .. بلا فائدة .. ها قد حل الليل ومحمد الفزاع لم يترك تلك البقعة من الأرض .. جلس تحت و لغاية الصبح لعن العصافير ، وعند حلول الفجر اخذ غفوة من النوم ولكن حفيف أجنحة آلاف العصافير وزقزقتها أيقظته من نومه .

- ها قد عدن .. الأ لعنة الله عليكن ، أين أنتم يا صقور و نسور و بواشق الدنيا الحقراء و الجبناء .. أين أنتم ها هن العصافير بلا خوف و أستئذان تهبط على الأرض !! أطلت سيارة البيك أب العائدة لجلبي مع ظهور أشعة الشمس عند الصباح و أثارت نحو السماء كميات من الأتربة . ز حين ترجل جلبي من السيارة لم ير محمد الفزاع .. كانت العصافير و الأتربة المتصاعدة من تلك المنطقة قد أثرت فيه ، و بصعوبة استطاع رؤية محمد الفزاع ، ثم ذهب نحوه .. سار و أقرب .. أقرب أكثر ، و حين وصل لحدود أرضه المبذورة ركض بسرعة ، وخرجت (الكالة الهورامية) من إحدى قدميه ولم يرجع لها .. وصل للقرب منه .. يا للعجب .. رأى محمد الفزاع حافي القدمين يوجه الصفعات لرؤوس الفزاعات و يكبلهن ضرباً بركلاته .. يبصق عليهن .. يخلع أذرع و أعضاد و رؤوس و رقاب الفزاعات عن بعضها .. يمسك بأحداها و يتشاجر بها مع الفزاعة الأخرى . ز أنها الفزاعات تحطم بعضها البعض الأخر ، وبالأذرع و الأعضاد المخلوطة للفزاعات يطارد العصاير ، ولكن العصافير تطير من فوق رأسه و كتفيه ومن بين ساقيه ، امسك به جلبي من الخلف و أحتضنه ... لم يتوقف محمد الفزاع عن حركته ، ولم يستطع جلبي السيطرة عليه ، وظل

محمد يحاول أنقاذ نفسه و الانتفاض نحو الأمام ، ومن خلال ذل الغبار و تحت ظلام ظلال آلاف العصافير ظن بأن جلبي أيضاً واحداً من الفزاعات وقد عادت له الروح فامسك به وطرحه أرضاً وتولاه ضرباً بالركلات على بطنه .. كان محمداً بفعلته هذه يشبه عصفوراً تولى بمنقاره بطن غراب اسود ميت .. وقع أرضاً (يشماغ) جلبي ، ومن هذه الأحتفالية خلقت العصافير مهرجاناً لها ، وبدون خجل كن يزقزقن و يسقطن برازهن فوق رأسي جلبي ومحمد .. صرخ جلبي بجنون ملاً مساحة أرضه ومع صراخه كانت آلاف العصافير تطير و تهبط ومناقيرها وحوصلاتها مليئة بالحنطة . ز طارت و هبطت .. ولم بعد الوعي لمحمد الفزاع الأ بعد صراخ جلبي قائلاً له :

يا أبني الكلب .. أبني الكل .. ب .. ب .. يا ابن الفزاعة .. أبني الفز .. ا .. عة .. ما شأتك و تلك الفزاعات لم تحطمها لم؟! ..

نهض جلبي من بين ذلك الغبار وهو يمسك بشدة ما هو بين فخذيه مرسلأ رذاذ بصاقثر رذاذ بصاق على شارب محمد ، وكان محمد لحين تلك اللحظة يضطرم هيجاناً ، ويتصبب عرقاً من أنحاء جسمه محطماً كافة الفزاعات من حجارة . ويصق على السماء الواسعة المليئة بالعصافير ، لكنه الآن أصبح مثل لعبة أطفال يرتجف بين يدي جلبي وحين أنتهى الأخير من شتائمته لمحمد بعد ان وجه له مئة شتيمة وشتيمة . قال لمحمد : (ايا حمارة ز ايا خنزير) وعندها فتح محمد الفزاع فاهه و بلسان متلعثم وهو يبلغ البصاق قال له :
سامحني يا سيدي .. سامحني .. أنا معذور .. فهذه العصافير الحقيرة لأ تقدرني و تستهزئ بي .

- لأنك أنت أيضاً عصفور .. عصفور أعمى ..!
- يا سيدي ز لم يحدث مثل هذا الأمر من قبل قط .. أنا أضع فزاعات و العصافير لأ تخاف منها .. أتعجب من مثل هذا الأمر ..!
- لأنك .. لأنك أنت أيضاً فزاعة ..!

- يا سيدي ..
- صه و لا تقح فمك .. أذهب و أبحث عن فردة (كالتي) .. أسرع .

وجه جلبي برجله الحافية ضربة على مؤخرة عجز محمد ، فاسرع الأخير مهرولاً بشكل و كأنما الضربة وجهت لخصيته .. بحث كثيراً ووجد أخيراً (الكالة) .. رجع للقرب من جلبي و أنحنى نحو قدمه ، وبيده أمسك بركبة ساق جلبي و رفع قدمه .. انها قدم عريضة ذاق محمد و السركال و العمل الأجراء ضرباته المريرة ، وهم فقط يعرفون طعمها ، وتقصد محمد عرقاً كثيراً من جسده ، وكأمر خارج عن ارادته أخرج صوتاً نشازاً من مؤخرته شعر به جلبي ، لكن الأخير كان يرتجف غضباً من اثر مصيبة العصافير ، وفقد لسانه القدرة على الكلام ، وبأضطراب شديد هرول نحو سيارة البيك أب ورمى بنفسه لداخلها ، وأحدث تحريك السيارة صوتاً أطار آلاف العصافير التي كانت هابطة على ارض تلك البقعة ، بينما كان محمد الفزاع جالساً بيأس حول فزاعته المحطمة ، ولم ينهض من مكانه .. ذلك المكان الذي وضع فيه جلبي قدمه المباركة في (كالتة) .. زاد محمد من جرأته و التفت لما حوله ، وتجراً على رؤية الحركة اللولبية للأتربة المتصاعدة نحو الأعلى والتي أحدثها جلبي بسيارته و تركه في تلك البقعة بعد مغادرته لها ، وبدأ ذلك اللولب الترابي المتصاعد و كأنه غول كبير منتصب ، وتساءل لماذا تركه جلبي بصمت؟! وجلس في ذلك المكان داخل دائرة من الفزاعات المحطمة و تحت مطر براز العصافير فوق راسه يفكر في ارضاء قلب جلبي و كيفية القضاء على كافة عصاير العالم ، وكان رضاء جلبي لديه من رضاء الله !.

وصل جلبي إلى المدينة .. أحاط به رجاله وافهمهم ما حل بأرضه و حنطته المبذورة فيها ، فأندهشوا وهم فاغرو أفواههم ، وهزوا رؤوسهم تعجباً ، وضربوا كفاً لكف ، وبعدها هرول كل واحد منهم نحو محلة .. زقاق .. بيت .. باب .. اثنين .. عشرة .. أبواب البيوت الطينية المتهرئة عشرات من الأباء الجائعين العصيبي المزاج ، و الذين لم يحلقوا ذقونهم .. وجوه تغطيها الأبواب .. وخلف كل رجل منهم طفلاً ذو أسمال رئة و عيون صفراء و رقبة رفيعة يتلصصون النظر وقد كحل الخوف و الجوع عيونهم ، فخرجوا فرادى من زقاق و زقاق .. بيت وبيت .. ليسوا كأطفال جائعين و خائفين و خجولين ، بل

انهم كمجموعة فزاعات حملوا في حوض سيارة البيك آب ، وعادت السيارة أدرجها بسرعة نحو بقعة أرض جلبي ، فكل الشيء الذي كانوا يشاهدونه في الطريق هو فقط ذلك اللولب الترابي المتصاعد نحو الأعلى من أثر جريان السيارة ، ولحين وصولهم كان محمد الفزاع ساقطاً على بقعة الأرض بين مهرجان العصافير ، وعندها أخرج جلبي راسه من نافذة السيارة و ناداه بأعلى صوته : (تعالى يا خنزير.. أنزل هذه الفزاعات) ، و بهرولة ركض محمد نحو تنفيذ طلب جلبي الذي لم يترجل من سيارته ، والذي خاطب الأطفال قائلاً لهم :

- أيها الأطفال القذرون .. لا تدعوا عصفورا يقترب من أرضي ، وسأعود لكم مساء .. وسيقبض أبواؤكم أجوركم .. (لم يتفوه أي من الأطفال ذوي السيقان الفريضة)..

لا تكونوا كالفزاعات ، وليمسك كل نكم علبة صغيرة و يملأها بالأحجار وهزوها مثل الحرافيش ، فإن لم تفعلوا مثلما قلت لم ستعتبركم العصافير مثل الفزاعات أيضاً !..

لم يتفوه أي ن الأطفال ذوي العيون الصفرة ، فنادى جلبي على محمد ، لكن الأخير لم يدعه يكمل كلامه ، فركض نحو الكبرة ، وعاد بعشر صفائح فارغة ، وأعطى ل طفل منهم واحدة منها .

- أسرع يا محمد وليقف كل واحد منكم فيزاوية من زوايا الأرض ، ولا تدعوا العصافير تهبط على الأرض .

مرة أخرى لم يتكلم الأطفال ذوو الرقاب الرفيعة ، فصرخ بهم وإذ لك واحد منهم يركض نحو زاويته التي حددت له ، وألقت جلبي نحو محمد الفزاع ، وقال له :

- هناك صفيحة مليئة بالنفط الأسود موجودة داخل الكبرة ، فقل لهم ليسودا وجوهم بها .

بعدها بصق على العصافير ، وادار محك سيارته ، ركض محمد الفزاع خلف الغبار المنبثق من حركتها ، وبجهد شاق أوصل يده نحو إحدى حلقات المعلقة بها ، وقفز بجسده نحو داخلها ، وما هي إلا أقل من ثوان وإذا به بقع مترنحاً

على الأرض ، فهض و كرر المحاولة بلا جدوى .. تسلى جلبي بهذا المنظر رغم أحزانه و همومه تلك .. ثلاث وأربع مرات يتوقف بسيارته و ينطلق و من المرأة كان يشاهده ، فرأه داخل عاصفة من الأتربة ، واخيراً وكشيء ثقيل سقط على ظهره ، ومرة لم يرى أكثر من غبار الأتربة و الأطفال غارقون فيها ، بل هم عشرة أولاد من اليافيين و الخائفين في تلك البقعة من الأرض الخالية الأ من آلاف العصافير وكل واحد منهم يحلم بمصيصة لأستيكية .. عصفور مشوي .. أفواه يسيل اللعاب على جانبها .. أنهم واقفون كالفزاعات ينظرون نحو الشمس ز. أية شمس .. أنها تصبح مثل قطعة ريف مشوي .. او إطار ذهبي لعربة .. أو شال أصر لأم .. أو معضد ذهبي لعضد أبنة جلبي الصغرى .

عند وقف الغروب وقبل أن يحل الظلام عادت السيارة لبقعة الأرض ، ولكن هذه المرة كان محمد يقودها و جلبي جالس بجانبه ياهخذ شهقات من سيكارتته .. تزلجوا بسرعة ، وبأضطراب ركضوا نحو الزوايا ، ولكن ياللعجب فبدلاً من عشرة أولاد يافيين وجدوا عشرة فزاعات بلا ارواح و جنب كل فزاعة علبة مليئة بالأحجار ، و طكلهم يتطلعون بأبصارهم نحو غروب شمس الأفق ، فأقرب جلبي بتآن و خوف و سيقان الأطفال الفزاعات ، فبدلاً من الشعر كان هناك اعشاب ، وبدلاً من العظام كان هناك لوحات خشبية وبدلاً من الساقين كان هناك عكازتان وبدلاً من عينيين مليئتين بالحزن و الخجل و الخوف كان هناك قطعتان من زجاج صفراوان يلمعان .. و بعينيين مندهشتين و بخوف التفت نحو محمد وقال له :

إذا أين هم الأطفال ؟

- يا سيدي .. من الممكن أنهم هربوا ؟

- إلى أين ؟

- الله وحده يعلم .. يا عزيزي انهم لم يكونوا أطفالاً بل أنهم كانوا اشبه بعشرة فراخ للشياطين .

- والله أنك لأحمق .. يا خنزير أنهم كانوا يتنفسون من جحورهم .. عن اية شياطين تتحدث ؟

- كما تشاء يا سيدي
- حسناً من الذي صنع هذه الفزاعات العشر الجميلة ؟
- ومن يكون سواهم ؟!
- أنهم منهكون من الجوع ، فما شأنهم وهذه الفزاعات ؟
- حسناً يا عزيزي ، هل من الممكن أنهم سحروا وأصبحوا فزاعات ؟
- لا تسفه في كلامك .. ليس هناك من وقت للكلام غير المعقول .. يجب علي أن
أعيد عشرة أطفال لأبائهم و أمهاتهم ..
- ولم تجعل نفسك مضطربة هكذا ؟ ..
- صرخ جلبي بعصبية .. يا حمار ، ان لم اضطرب و أتضايق ماذا أفعل إذا ..
يا أبن الخنزير .

قال له محمد العاقل و المطيع بأبتسامه و كأنه يسمع طرفة - يا عزيزي بدلاً
من عشرة اطفال أعد لهم فزاعات ، فمن منهم يجروء على الاعتراض ، تأمل
جلبي العصافير و بأضطراب قال له: ضع عشر فزاعات في حوض البيك آب .
كان الشمس في غروبها تشبه برتقالة كبيرة ، تلك البرتقالة التي لم يذق الأطفال
الفزاعات طعمها ، وكان طيف الشمس يضيء كل الذرات ..

رميت الفزاعات العشر من الأطفال في داخل حوض السيارة الواحدة فوق
الأخرى ، وآلاف العصافير أصبحت مظلة ما فوق الرأس ، فأخرج جلبي رأسه
من النافذة و بصق نحو الأعلى عليها و لعن كل العصافير الدنيا ، وفجأة أنهمر
مطر برازهن و سقط على فم وأنف و شارب و حنجرة و عيون جلبي ، و
بسرعة أدخل رأسه نحو الدال كالقفذ ومن شدة حقه و بلاوعي رفع يده
اليمنى عن مقود السيارة ووجه بها لكمة لراس محمد الفزاع و يشماغه فضحك
محمد دون أن يعرف السبب .

حين حل الصباح كان التعجب يغطي كالسما فوق المدينة وأمتلات بالآف
العصافير في الغابات و الحدائق وتحت سقف البيوت و الأيوانات و فوق
الأشجار الوحيدة داخل بيوت الفقراء ، ولم يهدأ لها بال لغاية الصبح ظلت
تزقزق زقزقات مليئة بالألام والأحزان و كأنها زقزقات للمواساة فقال الشيوخ:

لم يحدث ولم نسمع بأن العصافير لا تخلد ليلاً للنوم و الهدوء..!
وفي صبيحة اليوم التالي أصطحب جليبي معه عشرة أطفال آخرين إلى
ارضه ، وعند حلول المساء عاد بعشر فزاعات أخرى ، وهكذا الحال في اليوم
الثالث ، والرابع ، والعاشر ، والعشرين ، والأربعين ، والمئة والمنتين .. فزاعة
.. طفل .. طفل .. فزاعة .. فزاعة .. طفل فزاعة .. فزاعة .. فزاعة .. فزاعة .. محلة
الفزاعات !!

تنبؤ
شیرین. ك

وحيدة، واجمة كسلحفاة عجوزة تدب في ارجاء البيت، تسحب كعبيها المتشققين وركبتيها المتورمتين، لم تعد الفصول تزور هذا البيت ولم يعد الليل ولا النهار يطرق الباب، تنثرت الساعات واللحظات..

في ربيع ما عندما ضاع الزوج في خندق موحل او ربما على سفح جبلي او في هاوية أو.. أو.. أصابت شجيرات الورد في حديقتها حشرة لزجة لم تفتح البراعم وذبلت جميعها واسودت وأصبحت هشيمًا..

وفي خريف ما عندما أغوى احد الشباب ابنتها الوحيدة من الذين يعودون الى الوطن بحثا عن عروسة حسب المواصفات.. يومها لم تهتم الابنة بكل تومسات الام وبكاءها، بل عَنفها اثناء جدال محتدم؟ بماذا تمنين علي؟ من ضربك على يديك لتبقيين بدون زواج بعد رحيل والدي؟

شهقت الام جزعا وابتسمت الابنة بمكر وغمزت لها (ولم تكوني راهبة.. استمتعت قدر ما سمح لك شبابك..)

وفي نفس ذاك الخريف عندما ودعتها ابنتها على عجل وتركت البيت جذلي، سقطت آخر ورقة من الكرمة ولم تخضر منها بعد ذلك ورقة ولم تصل من الابنة قط لا رسالة ولا ورقة مالية..

وحيدة ساهمة تطوف غرف البيت وهي تسحب جسدها الذي شوهته السمنة، تمشي وتعرج في مشيتها وتكلم الحيطان والاشياء، الان وبعد أن خسرت الشباب والجمال والصحة، كف الرجال عن مطاردتها بعد أن كانوا يحومون حولها كما الذباب يحوم حول الحلوى، والشباب الذين كانوا يتبعونه كالجراء بدؤوا بالاختفاء بعد أن غزى الشيب شعرها، فمع كل عثرة لها كانوا يتخلفون عنها ومع كل سقطه كانوا يختفون، والاصدقاء والمعارف الذين لم يكونوا ليدعونها وحيدة ولا للحظة لم يعد لهم وجود، فمنهم من مات ومنهم من سافر او هاجر او تخاصم واياها.. هاجمت الاشواك والاجمات الحديقة الجميلة وجعلتها كدغل موحش، ما عدا شجرة التوت غير المثمرة بقيت صامدة لتملأ الحديقة بالاوراق الصفراء في الخريف وليجعل من صوت الريح عواءاً حزينا في الصيف.. تلك الشجرة التي نمت هكذا من حيث لا تدري ولم تثمر قط وكم

قالوا لها (من الافضل قطع شجرة غير مثمرة) لكنها أبت (كلا انه إثم، قطع الشجرة فال سيء). إنها الان ترى نفسها كتلك التوتة غير المثمرة، تسيير وحيدة في ارجاء المنزل الواسع تحمل خرقة وتمسح الكراسي والمناضد والخزانات والتحفيات واللوحات ورفوف المكتبة الكبيرة وعندما تلمح صورة زوجها الغائب تشهق وتسأل نفسها هذا السؤال الذي لا يبرح خيالها وتخيلاتها ولا تمل من تكرارها: ماذا لو كان حياً ويعيش في مكان ما من هذا العالم الفسيح؟ انا لم ار جثته ولا أحد من الذين كانوا معه في نفس المكان وعادوا معوقين أو نصف مجائين أو.. لم يروا جثته.. ولكن سرعان ما يضيع السؤال في ذهنها المشوش.. وعندما تقف قبالة صورة ابنتها الوحيدة، تضطرب رؤياها فتضع نظارتها التي علقها بسلسلة في عنقها وبعد ان تسقط النظارات عدة مرات من على انفها الذي بات متدلياً بعد ان كان شامخاً في يوم من الايام، تقرب من الصورة اكثر وتلقي بالخرقة ارضاً وتمسد على الصورة بحنان كأنها تلمس خدها وشفائرها وتبتسم لها وتترنم بأغنية كانت تغنيها لها وهي طفلة الى أن تبح صوتها وتخبو وتضيع وسط زمجرة الريح الذي يهز أغصان شجرة التوت ويرج زجاج النافذة التي اصبحت صدئة ومخلخلة.. تسأل نفسها وقد ملئتها الشكوك: هل انجبت حقاً؟ تلك التخيلات والاسئلة تدوخها، تجر جسدها الواهن نحو غرفة نومها، تجلس على حافة السرير وتتنظر خلسة الى طول وعرض السرير (كم هو واسع هذا السرير! يا له من قفار موحش!).. هذا السرير الذي تراه الان كقفار موحش، كان شاهداً لحفنة السنين التي قضتها مع زوجها الذي بلعته الحروب وهو في ريعان شبابه، وكان شاهداً لأيام وليال أخرى مليئة بالحب والحزن والضحك والبكاء والفرح والخوف واللذة والندم ايضاً، انها الان تستلقي عليها بمشقة وتحاول ان تريح ظهرها ورأسها على المحدة فتقع عينيها على الساعة المعلقة على الحائط قبالتها والتي تعطلت مثل بقية ساعات البيت وسالت منها الدقائق والثواني وجرت الى ما لانهاية.. الى ما لازمان..

كانت الساعة الواحدة ظهراً عندما تذوقها رجل ما، كثمرة محرمة، لكنها ولفرط إرتباكها وجدت المسألة برمتها بدون طعم ولا لون ولا رائحة.. لكنها وفيما بعد كلما تذكرت تلك الساعة تحس بفرح وسعادة غير مألوفة (لأول مرة شعرت بوجودي بشكل مختلف، شعرت بأنني أملك جسدي، شعرت بكياني بكثافة..)

وكانت الساعة الثانية لبعده ظهر آخر ومن سنة أخرى عندما ذاقها رجل آخر وتذوقه هي الأخرى وبدون خجل ولكنها وفيما بعد شعرت بخواء وضجر كبيرين ووجدت الوضع مثيراً الاشمزاز (ومنذ ذلك الحين أصبحت ساعات الظهيرة تخيفني.. وتلك الساعات التي تصبح الروح فيه عبدة للجسد والغريزة تأخذ بزمام العقل.. تلك الساعات كان هذا السرير يحترق كما الجحيم)

شاهدت بعين الخيال من مكانها على السرير جميع ساعات المنزل، حيث توجد في كل غرفة ساعة جدارية، تلك الساعات التي علقت لكي تعد ثواني ودقائق وساعات وأيام وليال كانت هي فيها ملكة للجمال والشهرة والسهرات كانت مشغولة على الدوام، كانت أياماً، هي تركض ولا تستطيع اللحاق بالساعات التي كانت تذوب كتلج ربيعي.

وحيدة، تجول وتحقق في أثاث البيت، كل غرفة وكل قطعة أثاث تذكرها بحكاية عشق غادر وعديم الوفاء، عشق رجال يلجأون الى دواوين الحب لنزار والاشعار الرقيقة لسهراب لكي يغازلونها.. رجال يأكلون لحمها وثم يكسرون عظامها.. رجال ينتهكون جمالها وحنانها بأسم المدينة و.. تجلس على اريكة من اراءك غرفة الاستقبال وتمسد على القماش المورد للاريقة فتشم رائحة باقات النرجس التي كانت تهدي اليها من قبل رجل ارتدى لبوس الفراشة.. تحقق في الساعة الكبيرة والتي توقفت على السادسة تماماً وأزرعها الثلاث توقفت كصليب بذراع واحدة (كانت السادسة مساءً) ابتسمت وغامت نظراتها: (يا لمساءات الرومانسية، مساءات تشتتهي فيها الروح الشعر والموسيقى والحب.. مساءات تحس فيها الروح بالوحدة اكثر.. فتخبو رغبات الجسد وتصبح الروح فراشة يعشيها العشق ثم وبعد إنتظار طويل كان يأتي او لا يأتي..)

كان مساءً عندما تعرفت على الحب من جديد، كانت تظن ان الحب للمراهقات فقط، كانت متأكدة من انها لن تحب ولن تصبح عاشقة مرة اخرى، هكذا تربت (لن يحب المرء الا مرة واحدة) لذلك عندما كنت ترغب في محادثته تتعجب من أمر نفسها وتساءل لماذا؟ وأخيراً عندما اقتنعت بأنها احبت وأصبحت عاشقة من جديد، كان الاخر قد تراجع وحنث بيمين حبه لها وكان كأكثر الرجال يحب لحمها فقط..

(في هذه الغرفة وبين زهور هذه الاريكة طردته.. وقلت له: اذ كانت الشهوة اصبحت هاجسك.. اذ كنت تجيد لغة الجسد فقط. اذ كنت.. ايضاً.. فأرحل..)
رحل وصفق الباب بقوة ودقت الساعة ست مرات، ثم تجمد الزمن فيها.. زمن الحب انتهى.. انتهى زمن الاحلام وسالت دموع غريزة..

وحيدة، شاردة بين الاثاث المغبر وتحمل خرقة بيديها تمسح وتمسح وتظل البيت والاثاث مغبراً، تسير جيئةً وذهاباً تكلم الاثاث، لقد تعلمت لغة جديدة والاثاث بدورها تعلمت لغتها هي.. وهم في حوار مستمر.. عشرات من كتب المكتبة ينادونها بأسماءها المستعارة وكل كتاب يعلن عن الاسم الثلاثي للذي أهدى الكتاب لها في حينها والزهور الموضوعه في الاواني يحكون عن المناسبة التي بسببها جلبوا الى هذا البيت واللوحات المعقدة على الجدران يسردون حكايات عن الايام الخوالي في المعارض والغالييريهات.. والهاتف الذي كان يمطرها كل حين بكلمات الحب همساً بات الان اخرساً، ومنافض السكائر تتحدث عن الشفاه التي كانت تحترق لهفة لقبلة منها قطفاً السكائر في صدرها المسود ويملونها بالرماد.. والمسجلة التي مضت موضعها من زمان تصدح بالأغاني التي اصبحت جزءاً من ذكرياتها تلك الأغاني التي تقطر حبا، تلك الكلمات التي كانت تظفي ظمأ جسدهما العطشى، جسدها هي وجسد رجل أصر ان يبقى جسده ضامناً لها وهاجر وقال عند الوداع: (لن اشاركهم في تلويث جسد هو عندي جسد مريم عذراء، جسد خلق للحب، هذا الرجل حلق

كطائر خرافي لم يبق منه غير اغنية حزينه وكومة رسائل حزينة، بهتت
واصفرت..)

وحيدة تجوب ارجاء البيت، وحيدة تسحب جسدها المضني من غرفة الى
اخرى... وحيدة تكلم الاثاث والحيطان وحيدة تسلم يوما آخر من عمرها الى
السراب اللانهائي، وحيدة تمضي آخر أيامها مع أشباح الماضي..
وحيدة تعاود احلامها، تشعلها وتطفئها وكل ليلة تستلقي على سريرها الفسيح
على جنبها الايمن قبالة القبيلة وتحاول جاهدة ان لا تشغل جسدها مساحة اكثر
من شبرين، السرير يغور بعمق قامة رجل وتتحول ظلام الغرفة الى تراب
وينهال عليها وتصبح الثريا الفاخرة حجر اللحد ويهبط ويهبط وهكذا فكل ليلة
قبل ان ينال منها النوم، تتدرب على الموت، هذا الموت الذي لم يبق لها غيره
لكي ينتظره..

التجار

صابر رشيد

ترجمة : د. عادل گرمياني

منذ مدة و عبدالله يبحث عن عمل ما ، ولكن كل محاولاته تبوء بالفشل الذريع و يرجع خالي الواض ، لذا فأنه كان مستعداً لعدم تفويت أية فرصة عمل يحصل عليها ، وخلال بعض السنين مارس عدة أعمال ، حيث لا تمضي سوى فترة قليلة على أنشغاله و عمله في عمل ما الأ و أنصرف إلى عمل آخر ، ولذا لم يكن ليستقر أبداً في عمل محدد بذاته وخلال أعماله كان يلجأ للقسم باغظ الأيمان كذبا ، ويقوم بالآف الحيل و الخدع فيها ، ويقترض أموالاً من هذا أو ذاك ولا يعيدها لهم بعدها .

مارس عبدالله لبعض السنين تجارة شراء و بيع الأصواف ، وبعدها تحول إلى المتجرة بالجلود و الأمعاء ((المصارين)) ناقلاً أياها من هذه المدينة لتلك المدينة ، و يحصل في نهاية هذا الأمر على ارباح جيدة ، واستطاع بتلك الأموال التي حصل عليها أن يبني له بيتين قام بتأجير أحدهما و سكن هو في البيت الآخر ، اشترى له أيضاً سيارة ، و بقيت تحت يديه أموال طائلة وأستطاع صديق له من ذات صفاته أن يحتال عليه و يستحوذ عليها عن طريق أقناعه بالأشتراك معاً في مقولة تجهيز إحدى الدوائر باللحوم ، وحصلاً على أرباح جيدة في هذه المقولة لغاية سحب هذا العمل منهما ، حيث أنتهى و أنفضح عقد هذه المقولة بأية طريقة كانت وأعطيت لشخص آخر غيرهما، فاصابت البطالة الجديدة لعبدالله بنوع ممن الدهشة و التعجب .

بدأ عبدالله في كل مكان يبحث عن عمل له ، وتنقل لهذا الشأن بين هذه المدينة و تلك المدينة عسى أن يجد عملاً لا تقل أرباحه عن أرباح أعماله السابقة ، فلو أنه جلس بلا عمل وأعتد على مبلغ إيجار بيته و تلك الثروة التي لديه لأستطاع تمشية أمر و حياته حتى الممات من دون أن يمن عليه أحد ، ولعاش هو وزجته العاقر حياة سعيدة ، حتى أن البعض من الناس كان يسمعه في أغلب الأحيان بعض الكلمات المقصودة ، ويقول له :

(كفاك يا رجل ، إلى متى تبحث عن تجميع الأموال .. لمن تبذل جهودك يا معدوم النسل) ، ولكن كان هو يصم أذنيه عن سماع تلك الأقاويل ولا يعيرها أية أهمية تذكر .

كان عبدالله يصاب بالحزن و العصبية و يطوي النوم من عينيه حين يكون عاطلاً بلا عمل و لأيدري ماذا يفعل ، وبقى على هذه الحالة من غير عمل لمدة ليست بالقليلة أو القصيرة ، وفي أحد الأيام دخل بيته أحد رفاقه القدماء و قال له :

لقد وجدت عملاً سهلاً و ارباحه أكثر من الأعمال الأضوية .

- عن أي عمل تتحدث .ز أسرع و أخبرني به ؟!

- هذا العمل هو مقولة تجهيز عظام .. !

- ماذا ..!.. مقولة تجهيز عظام .. حسنا أخبرني عن طبيعة هذا العمل و مقدار أرباحه ؟!

- هذا العمل عبارة عن اتفاق مع أحد أصحاب المعامل التي تستخدم العظام في أعمالها الخاصة ..

- ولكن ما علاقة ذلك المعمل بالعظام ..!.. كلا لا تمزح معي .. أنا لا أصدق ذلك أبداً ..!..

- وهل تعتقد أنني أكذبت عليك .. يا أخي العزيز . أن لهم قصداً يخصهم ، و يستعملونها لبعض الأعمال الكيماوية الخاصة .

- حسناً ، وما طبيعة ذلك الاتفاق ؟

- الاتفاق ينص على تزويدهم ملء سيارة بيك أب من العظام و لا تهمهم نوعية العظام أيأ كانت ..

- حسناً ، وما المبلغ الذي يدفعونه ؟

- كل ما أعرفه هو أنهم سيدفعون مبالغ كبيرة لأ أعرف مقدارها لحد الآن ..

- إذا قد حصلنا على عمل جيد ، ولن نعيش بعد الآن في دوامة البطالة ..

- يا أخي لا تخف .. لن أدعك تبقى بلا عمل ما دمت أنا معك ..

بدأ الاثنان بمهمة تجميع العظام بعد أبرامهما الاتفاق مع ذلك المعمل ، أخذا يتجولان بسيارة البيك أب في كل أماكن المدينة و أطرافها .. كنا في كل يوم ينطلقان من مجزرة المدينة ذاهبين لغاية سوق الجزارين، ومن هناك يذهبان إلى

مزابل المدينة و يجمعان كل ما يحصلان عليه من العظام ، حتى أنهما كنا يخطفان العظمة من فم الكلب حين يجدانه يلتهمها .

وبعد مضي عدة أيام على مهمتهما في تجميع العظام وجدا أن الحمل المقرر لسيارة البيك أب لم يكتمل من العظام ، ولم يبق على مواعدهما المقرر لتجهيز المعمل سوى ثلاثة أيام ، وانهما سيصابان بالضرر ان لم يوفيا بعدهما حسب الاتفاق الذي أبرماه مع المعمل ، لذا اضطريا وأرتكبا كثيرا ، ولم يجدا أية فائدة تذكر من جهودهما المبذولة ، فسأله عبدالله صديقه قائلاً له :

- ما العمل؟! .. يجب ان نجد حلاً؟!!

- ولكن لا أظن أن كمية العظام المطلوبة ستكتمل ..!..

- يجب أنكملها بأية طريقة كانت .

نكس عبدالله رأسه وفكر بعمق في هذه المسألة ، وبعدها رفع رأسه و قربها من رأس شريكه ، وقال له :

- ما رأيك لو ذهبنا معا إلى المقبرة لعدة ليال حاملين معنا (المسحاة) و (القزمة) و نستخرج بها العظام المتى .. أليست هي أيضاً عظماً ، والعظم عظم حتى ولو اختلف نوعيته؟!..

- كيف ترضى بها يا عزيزي عبدالله .. حتى الله لا يرضى بمثل هذا التصرف ..؟

أليسوا هم أيضاً لهم أقارب و معارف!..

- تجاهل أمرهم يا رجل ، ولا أدري عن أي بشر تتحدث ، فهولاء الموتى لم يبق منهم سوى العظم ، ولا أعرف فائدتهم أن لم نتفعا عظامهم في مثل أيامنا العصبية هذه ..

- حسناً، هل ترضى لو أن أحداً حفر قبر أحد أقاربك أو معارفك وأخرج جثته ؟ .. ألا تستنكر عمله هذا؟!.. ألا تدخل معه في خصام تسفك فيه الدماء .

نعم أفعل ما ذكرته ، ولكن سنحفر نحن القبور خفية في الليل تحت ضوء خافت لفانوس لغاية طلوع الفجر ، وعندها سنركب سيارتنا و نعود أدرأجنا ، ولا يعرف بأمرنا أحد ..!..

- حسناً ، ألا يعذبك ضميرك؟! .. ألا تحرك الإنسانية مشاعرك؟! ..
- الضمير و الإنسان و الإنسانية .. كل هذه كلمات قديمة بلا فائدة تطرق
مسامعي.. عن أية أنسانية تتحدث! ..ومن هو الذي يفكر الآن في تلك الكلمات؟!
حسناً ، لندع كل هذا جانباً ، ما العمل مع الخوف! .. ألا تخاف من دخولك
المقبرة في الليل الحالك الظلام و تقوم بحفر القبور وتخرج منها جثث الموتى؟!
- كلا ، لا اخاف .
- ولكن أنا أخاف .

أستطاع عبدالله، وبأي شكل كان، أن يقنع شريكه ، وعند حلول الفجر أتجه
الناس نحو أماكن أعمالهم و خرجا هما بسيارة البيك أب العائدة لعبدالله من بيته،
وبحثا في كل الأزقة و الزوايا عن العظام ، ووضعنا كل ما جمعناه داخل
سيارتهما، وعند حلول المساء ألتقينا مرة أخرى ووضعنا (المسحاة) و (القزمة)
و فانوساً داخل سيارة البيك أب، وأتينا نحو مقبرة (سيد معروف) ، وحين
أقتربا.

بدأت الكلاب الموجودة هناك بالنباح ، فوقفنا السيارة . في إحدى زوايا
المقبرة ، ووضعنا الفانوس فوق شاخص أحد القبور وأوقدأ (الفتيلة) و بعدها
أمسك أحدهما بالقزمة ، وأمسك الآخر بالمسحاة ، ووجدا قبراً لا يوجد عليه أي
شاخص ، وتصورا أنه قبر قديم ، وأن الجثة الموجودة فيه قد تفسخت منذ مدة
بعيدة ، وأنهما سيستخرجان عظامها بسهولة ، ولكن لم يعرفا أن ذلك القبر يعود
لميت فقير لم يستطع ذووه سوى أن يعيدوا تراب الثرى فوق لحده ، ولم
يستطيعوا شراء شاخص له ووضعوه فوق قبره .

لم يكونا قد بلغا الأنتهاء من أمرهما في حفر قبر الميت الفقير حتى بدأ نباح
الكلاب بالتزايد و كأنها قد شممت رائحة العظام فنبه كل منهما الآخر على أمر
العظام الموجودة ي البيك أب ، واتجهت من كل أطراف المقبرة نحو السيارة ..
بدأ صدى أصوات الكلاب في كل الأماكن .. اضطرب عبدالله و شريكه
وارتبكا كثيراً ، ودخل خوف مفاجئ لقلبيهما ، وشعرا بأن العظام الموجودة
داخل سيارتهما و التي جمعهاا بشق الأنفوس ستصبح من نصيب تلك الكلاب أن

يخرجون من المقبرة بسرعة ، ولذا تخلوا عن تكملة حفر القبر ، ووضعوا (القزمية) و (المسحاة) داخل السيارة ، وأنطلقا بها بسرعة من دون أن يتذكروا جلب الفاتوس ايضاً ، ولمسافة بعيدة عن المقبرة كانت الكلاب تنبح و تركض خلف سيارتهما ..

النجمة العالية
صلاح شوان
ترجمة: محمد صابر محمود

- بابا ... ! اين هي النجمة؟؟
- انها لا تظهر للعيان من هنا ، يا حملي الصغير .
- ولماذا لا تظهر للعيان ، يا بابا ! ؟
- يا بني ، ان السماء تشوبها الكدرة ، و ..
- ولم تشوب السماء الكدرة ! ؟
- أم م م .. لأن .. هذه المدينة كبيرة ، وفيها نطف كثير .. وحين يشعلون فيه النار ، يتحول إلى دخان و .. يمد على النجوم افاق الرؤية .. عندما نعود إلى (نبع الحوريات) (١) ، نتسلق – سوية – قمة (الشيخ سيوه يل) (٢) ، ثم من هناك نصعد متن نجمتك ..
- لكنني ، يا ابتاه ، لا استطيع المشي بعد الان .. ابتاه ! ، لا تدع الطبيب يأخذني ، .. انها تطيب ، وسوف تتماثل للشفاء من تلقاء نفسها . اليس كذلك بربك ؟ !
- ولكن يا صغيرتي أن الطبيب هو ادرى منا علينا ان نلتزم بما يوصي به
- اذن لن ارافقك . والنجمة ايضا لا أريدها .
- أنها كانت غلظتتك يا بني . غلظتتك كانت ...
- ابتاه ! ألم تقل أنت بنفسك ، أن في وسع الطائرة ، الوصول إلى النجمة العالية ؟ ! .. اذن سوف أخبرها فيما لو سارت إليها أن تهوي بها من عليتها .
- ابتي ! هل تعود بي غداً إلى البيت ؟ أنها لا تؤلم .. لقد ألمتني كثيراً حينما انجرحت .. أما الان فأنها لا تؤلمني . ألم تقل أنت بأننا اذا وصلنا إلى (الكوكب العالي) فأنها تتدمل ، من تلقاء نفسها ، وتتماثل للشفاء . ! ولماذا لم نذهب يا بابا ؟ !

(١) كاني به ريان - نبع الحوريات .

(٢) بير سيوه يل – الشيخ سيوه يل .

ابتي ! يا أبتي ، خذني الان بين ذراعيك ، واحملي واصعد بي إلى مشارف
(الشيخ سيوه يل)

عندئذ - من هناك سوف اسير على قدمي بنفسي ..

أما قلت انت بالذات : بأننا اعتباراً من هناك سوف لن نسير على اقدامنا ؟ !
وأنا مثلما تسبح الاسماك في الماء هكذا نمشي ؟ ألا نختنق ؟ ! .

قل لي يا أبتي : ألا تؤلم الأسماك أرجلها ؟ !

ولماذا حين يرمي (خضر ره ش) قنينة البارود في (البركة (٣) الصفراء
(ترى الأسماك بعدها ، لا تستطيع السير ، فتمتلكي - هكذا مثلي - على
ظهورها فوق سطح الماء ؟ !

أبتاه ، ثم أنها لا تمتلك حتى الأجنحة ، كي تصفق بها وتطير لتحت إلى
جوار ((النجمة العالية)) .

أما أنا فلو - كان لي جناحان لكنت الآن أطير هكذا ، وأذهب أو تأخذني
بنفسك يا بابا إلى رأس (الشيخ سيوه يل) ؟ ! ها ، بابا ؟ !

- أجل يا ولدي .

- ومتى ؟

- الآن . الوقت ليل . سنذهب غدا مبكرين .

- أبتاه ، ألا تمنع الأطباء من أن يأخذوني ؟ !

- بلى أمنعهم يا ولدي . غدا في وقت مبكر ، وقبل أن يحضر الطبيب ،
سأحملك على حاركي وتغادر ..

سنصعد من السكة الرفيعة التي على جانب (نبع الحوريات) هل سبق لك
، وأن شاهدت الطريق ؟ !

إنها طرق صاعدة زلقة جداً ، أنني لكثرة ما أسطرقتها في تنقلاتي ، ملم بها
شبراً شبراً ، عارف بصخورها ، صخرة صخرة .. فيما مضى حينما كنت

صغيراً ، كان أبي كلما أستبد بي التعب ، وأجهدي السير ، يضعني فوق
حاركة ، ومن ثم يتقدم إلى الأمام ، كنت أذاك أتملى على هواي جوانب

(٣) كومه زه رده - البركة الصفراء .

الطريق ، وأمتع نظري كما يحلو لي دون أن ينتابني الخوف من الانزلاق ،
أو السقوط . كانوا يقولون لأبي : ((أنزله من على كاهلك يا رجل ، كي
يسير على قدميه بنفسه .. أنه ليس طفلاً)) .

وقتها كنتُ في مثل سنك الآن . كنا دائمي التنقل فيما بين المناطق السهلية
الحارة ، والجبلية الباردة .

أحياناً كان يصادف أن يطول بنا المسير إلى أن يخيم الظلام أبي كان قوياً
جداً . في كل مرة كان يبادر الآخرين بقوله : ((ألا أيها الشباب ! بالله
عليكم دعوا الخجل جانباً . لو أصاب أحدكم الأعياء وخائته قواه ، رجلاً
كان أم امرأة ، فأنني على أهبة الاستعداد ، كي أحمله على كتفي ، إلى حيث
يشاء)) . كثيراً ما كنت أستمتع بغفوة لذيذة ، وأنا محمول على ظهره .. مرة
وأنا غارق في النوم فوق حاركه ، إذا بي أنتفض أثر صفق جناحي أحد
السمائيات .

لكم تمنيت لو أرفرف مثل ذلك الطائر بجناحي ، فتحدر صوب (وادي (٤)
الجان) الأخضر العميق .

أبي قال : ((يا بني أنك لست بطائر السماني (٥) . سوف تنهلوى ، وتسقط
فتتشهم ، وتتبعثر اشلاءً)) .

ولحد الان ، حينما أحلم ، استحيل طائراً سمانياً ، وبرفة من جناحي أنحدر
إلى عمق الغابة من علياء القمة لكنني حالما اتذكر قول أبي ، ينتابني
الخوف ، فيهيض جناحي ، وأتهلوى ، ومهما أحاول وابذل فلا تلمس
قدمي الأرض ، إلى أن استيقظ مذعوراً ..

أما أنت يابني فلا تخف ن وكن مطمئناً ، لأنني سوف لن أتخلي عنك ،
وسأظل ممسكاً بك ، وأحميك من السقوط .

(٤) كاني جنوكان - نبع الجان .

(٥) السماني : الواحدة : سمانة والجمع : سمانيات . طائر أصغر حجماً من الحجل . من

فصيلة الدجاجيات :

(سويسكة) .

وأنا في هذه المرة ، سوف لن ننحدر صوب (وادي الجان) ، وإنما يكون مسارنا باتجاه كوكبك بالذات .. أليس هذا حسناً يا ولدي ؟ !
ندت منه التفاتة إلى ابنه .

فصل برفق ، كاهله عن حافة السرير الأبيض الذي يرقد عليه ابنه ، ثم مد عنقه متطلعاً ورنا إليه ، وهو متصرف .

كان هو مغمض العينين ، ثمة بسمه ساخنة كانت طافية على أساريه ، تشبه في صفاتها ماء (نبع الحوريات) الرائق جداً ، أذ يكتسح من طريقه الثلوج المتراكمة ، أيام زمهرير كتون القارس . هو ينحدر صوب (البركة الصفراء)
قال في نفسه :-

ترى لو علمت أمك بهذا الخبر ، ماذا تفعل بنفسها ! ؟ .. وبأي وجه أعود بك إلى القرية يا صغيري المحبوب ! ؟

وهل تقوى ركبتاي بعد على حملك فوق حاركي لأصعد بك و اوصلك إلى قمة (الشيخ سيوه يل) ! ؟ ... لا ... لم يقدر لأمثالنا أن يعيشوا دون سيقان ! إننا لسنا بأشجار (وادي الجان) ، ولا بالأسماك ، أو طيور السمائيات أيضاً . حين لفه الصمت ، لم يكن يتناهي إلى سمعه سوى هدير محركات السيارات المسرعة . أسند ظهره إلى الطبلية ، فألصق ركبتيه بصدرة ، ثم أطبق عينيه : ((غداً أحزم أمري مبكراً ، ولسوف أحملك ، ونواصل السير ، لا نخرج على القرية ، بل نسلك السكة الرفيعة ، ولا نتوقف إلى أن يستقر بنا المقام فوق هامة (الشيخ سيوه يل) . وأذ تسدل الظلمة ستارها ، لبيزغ كوكبك الصغير . هذه المرة لا يكون بزوغه من فوق قمة (الشيخ سيوه يل) ، وإنما أبعد بكثير . عندئذ تبادرني فتقول : فلننطلق إليه وثباً . أنك لا تفكر في (وادي الجان) ، كم هو عميق ، بعيد الغور ، ومخطر ؟ ! . أنه الليل مظلمة هي الدنيا . لا يبين له من أثر . وأنا أتذكر كلام أبي فأرجع القهقري ، وأنت تتخيلني بغلاً ، فتنط وتثب ، ثم تهمز خاصرتي بقدميك ، لكي أتقدم بك إلى الأمام .

لحظتئذ أنسى مقولة أبي ، فتنبجس في عروق أجنحتي دماء السمائيات . لا أنظر إلى الأسفل ، بل أستجمع بأصرتي ، فأحدق في كوكبك الصغير ، ثم أقفز

بخفة ، فأرتفع مثل العنقاء . عند أنطلاقتي الأولى ، ينبغي ألا أتذكر مقولة أبي ،
وإلا أسقط ، وإلا أنتفض من نومي مذعوراً . سأخذك ولن أتوقف ، حتى تلامس
بيديك كوكبك الطالع . إن أبي لم يعلمني الطيران . أما أنا فينبغي عليّ أن أعلمك
كيف تطير ، لأن قلبي لا يطاوعني في أن أراك ، وأنت مضطجع مقعد طوال
حياتك . أننا معروفون أباً عن جد بكوننا نلفظ أنفسنا الأخيرة ، ونحن وقوف . لا
اطيق رؤيتك وأنت مقعد تستلقي على جنبك أكثر من هذا حينما تحرك لسانك
لأول مرة بالنطق ، وأذ كنت تطلب مني شيئاً فثلكاً في أحضاره لك ، كنت
تقول محتجاً : : إنني لن أصبح أبنيك بعد الآن فلم – الآن – أنت صامت هكذا لا
تنبس يا قسمتي ؟ لست أدري كيف أطبقت جفنيك ، ونمت في هذه الليلة دون أن
تقرّ عيناك بروية النجمة العالية ؟

ها أنت وعلى مدى صيفين أو ثلاثة ، وإلى أن يستبد بجفنيك الكرى ، قنّام
وأنت مضطجع فيما بيني ، وبين أمك ، تظل تحدثني باستمرار عن النجمة
العالية وكيفية الوصول إليها لست أدري لماذا شغفتَ بها وحدها من دون تلك
النجمات ، والكواكب ، فملكك عليك قلبك حتى لكأنها ملكك الخاص ؟
أني لا شك في أن يخطر ذلك الكوكب الذي هو لك ، حتى ببال المنجمين أيضاً ،
ليعتمدوا عليه في حساباتهم عند قراءة طوابع الناس .

أية حورية أسكنت قلبك الصغير ذلك الكوكب ، يا ولدي ؟ فلو صدقوا ، وكان
كوكبك الخاص بحق وحقيق لوجب أن يكون سامقاً ، لا يدانيه كوكب ، ولوجب
أيضاً ، أن تكون أنت بمنأى عن هذا البلاء الذي ابتليت به ، يا وحيدي .
وأذ فتح عينيه ، كانت الدنيا مضاءة بهالة من النور الكثيف الأبيض ، لا الشمس
كانت تتراءى له ، ولا أي شيء آخر . ثمة امرأة متسرّبة بثياب بيضاء كانت
واقفة فوق رأسه ، تنرقبه بأبتسامة رقيقة بادرته :-

- لماذا لم تخبر الخفير كي يزودك ببطانية زائدة ، تنام عليها ! ؟ وأذ تلفت
حواليه ، فلمح أبنه ، تذكر الليلة الماضية أراد أن ينهض على قدميه ز أحس
بساقيه اللتين كان يتوسدهما وكأنهما قد فارقنا جسده .

- ثمّة لذعة كالأوية تصاعدت من اعماقه ، لكنه سرعان ما تمالك نفسه قالت له
المرمضة :-

- ساقاك متخدرتان . مدهما قليلاً ، كي يزول عنهما الخدر كيف أستطعت أن تنام
وأنت في وضعية الجلوس هذه ، أيها المنكوب ؟ !

هيا .. أسرع يقول الطبيب : إن أول عملية جراحية تجرى اليوم هي لأبنك
- أية عملية جراحية ؟ ! وهل تبترون ساقه ؟ كلا .. إذا لم يكن في مقدروكم
معالجته ، فدعونا وشأننا . جزيتم خيراً ، إنني سوف أعود به من حيث أتيت .
- يا أختنا . لقد تلوث الجرح ، وأزمن ، وليس له من علاج آخر . فلن لم تُبتر ،
فأنه سوف يموت .

- لا بأس عليه .. الموت أهون من ذلك . ألقى بنظرة على أبنه وضع راحة يده
فوق جبينه . هو فتح عينيه . هذا قال :-

- يا (هه لو) .. قم يا بني ، لنبارح . ونواصل مسيرنا وعلى وجه السرعة ..
فإذا قبض لي ان أبقى على قيد الحياة ، فسأوصلك - اليوم إلى قمة (الشيخ
سيوه يل) قبل أن يخيم على الدنيا الظلام .

تلك و ذاك
صلاح عمر
ترجمة عبدالرحمن الباشا

لاداعي لأن انادي على نوزاد كل يوم ،لن اسأله عن ابن الكلبة ذاك ،جاء أم لا ؟ فهذا واضح كوضوح الشمس إنه يهمل علينا كل يوم اكثر من مرة .حان الوقت ،سيصل الان أو بعد قليل ،مثل البارحة...مثل كل الايام الاخرى .الباب مفتوح على مصراعيه في انتصاره ،انه صاحب الدار وكل انسان سيتصرف مثله عندما يتعبر بيتاً ما مثل بيته .لن يقيم اعتباراً للأخرين ،يدخل و يخرج دون خوف ،ليس هذا فحسب بل ربما يستحوذ على اشياء اخرى ، ثم من أنا ليضعني في الحسبان ،من يأبه بي ،مشلول مثلى ماذا تبقى له ،ماذا يمكنه ان يفعل ، ثم بماذا يفعل ،بالفم واللسان ،بالسيقان ،بالقوة ،بالشهامة والحماس و هذه كلها مواصفات الرجال الشجعان و والشجعان وحدهم بإمكانهم أن يمسحوا الدنس والرذيلة في طرفة عين ،انا لا اقدر على ذلك...فات الاوان ، لو حدث هذا في الماضي لكنت عرفت كيف انتقم من كل الذين يسيؤون لي ،ولاسيما إساءة من هذا النوع ،إساءة اخترقت عظامي ،تكاد تحرقني ،فات الاوان دعهم يتوجون كبريائي باحذيتهم المدنسة ويمرغون قلبي ومشاعري في الاوحال ،دعهم فأننا المشلول لست اهلاً لغير هذا .

لايتوانى عن الدخول حالما يصل ،يتسلل الى المطبخ بهدوء ودون إرباك ،لكنه يمرق كالسهم عند الفتحة التي ابدو له فيها ،ظناً منه بأنني لا اراه !لم أصبح حماراً بعد كي لا افطن الى ذلك فلي عينان وانان على الرغم من الشلل ، وحتى لو كنت أعمى ونصف اطرش فساراه بحواسي الاخرى ،اعرف متى وكيف يأتي !ماذا يذهب ،ماذا يفعل؟! (روح..روحة بلا رجعة) لا اريد ان اراك ساقلاً..أه ليت هذا يحصل ،ولكن متى؟ لن تسعني الفرحة أنذاك! ((ذاك)) لانذب له ((تلك)) هي التي اقعته بأنني مخبول واهبل ، لا اشعر بمليدور حولي ، هي التي أخبرته بأن نظري ضعيف وبأنني اصبحت نصف حمار لا اسمع حتى وقع الاقدام والضوضاء ،هي التي اوحت له بأنني مصاب باهتزاز في المخ وبأن الاشياء لا تبدولى اكثر من اشباح.(تلك) أخبرته بأنني حمار وبغل و بأنني لا أكف عن الهذيان . هاهو (ذاك) قادم..اهلاً ومرحباً..مهلاً لم العجلة ،لاداعي للانفعال فهي لن تهرب منك ،ستلتقيها دون شك ،تعال هنا...تعال واخبرني لماذا

تأخرت هذا اليوم... أين كنت، بم انشغلت، هذا غير معقول، لايجوز، المفروض إن تتشرف بالحضور في الموعد المحدد، لم تعذب من طال انتظاره لك لماذا لا تفكر ب(تلك) لماذا تعذيبها، حرام عليك انا ايضا قلقت وتساءلت من غير المعقول ان يغيب عنا (ذاك). تعال، سأعفوك هذه المرة على ان لا تكرر ذلك، لا تهتم، اسرع، لماذا تسير بخمول اسرع لترتمي في احضانها قبل ان تشب فيها النار اسرع ومعطر و (تلك) بانتظارك على حسن حال . ظل ما يبدو لي، لست مخطئاً، كيف أخطى هل يخطأ من ليس لديه شاغل سوى الترقب ليل نهار... هل يخطى من تحول جسده الى مرصد. اتضح الظل، إنهما ظلان، الاول يشبه الكرة ينتهي بمقبض، بما كانت سلة بيد شخص ما، نعم إنها سلة، يحمل لنا.

(انت مريض، وهذا المكان بارد، لن تتحسن صحتك اذا ما بقيت هنا، الزاوية تلك افضل فهي دافئة ولن تشعر فيها بالبرد) ولكنني في هذه الزاوية المظلمة لا ارى شيئاً، اه لوجاء هذا الملعون (نوزاد) سأطلب منه ان يضى المصابيح لأرى كل الاشياء لأرى كل ما يحدث في المطبخ، ماضير ان تبقى المصابيح مضاءة حتى في النهار، هذا الملعون... لا ادري لماذا لا يصغي الي! في هذا الركن القذر، او شكت ان اصاب بالجرب... اظن ان القمل يملأ ملابسى الداخلية فالحكة تنهش جسدي، في هذا الخضيض لا يسلم الانسان حتى من العفن، انا نفسي أشم رائحة عرقي وقد ارتي فكيف بالآخرين؟ لكن الذنب ليس ذنبي، فأنا لا اقوى على الاستحمام، من ليس باستطاعته ان يتحرك كيف له ان يستحم! من لا يبلى جسده بحفنة ماء طوال شهر أو شهرين ما الذي سيحل به.. أجيبوني انتم؟ لا سيما اذا كان الجو قانظاً بهذا الشكل، هل ستموتين لو انك حممتيني مرة كل اسبوعين، لست ألف طن لكي لا تقدرى على حملي! لا ازن حتى خمسين كيلو غراماً. انا اقل بكثير، لست اكثر من حفة عندما لا يبقى من المرء سوى العظام؟ أين يكون الثقل؟ الصعوبة تكمن في الوصول الى الحمام، لست بحاجة لان تحملني، تمسك بيدي فقط استند اليها للنهوض ثم استند بنفسى الى الجدار، استعين به للوصول الى الحمام وهناك أتكى على الجدار ايضا وينتهي الامر

لا يبقى عليها اكثر من أن تكسب قليلا من الماء على جسدي ،لاحتاج الى (ليفه)
لا اريد الصابون،لا اريد غير الماء لازالة رائحة العرق والقذارة التي تفوح من
جسدي (انها لا تجيد سوى الارتماء في احضان (ذاك) ما الذي تجده فيك انت،
انت لم تعد كما كنت ،فقدت الرغبة ،لم تعد تنفعها ،لاستطيع ان تفعل شيئا،
لا يمكن ان تشبع القذرة تلك) ماذا ستخسر لو حممتني، هل من المعقول ان يأتي
الغرباء لخدمتي ،مانفعتها هي اذن ،اذا كنت تنقزز ولا تقربني فكيف سيقرب
مني الغرباء؟ لاشك ان رائحة جسدي القذر تملأ الجوار ، تزكم انوف الجيران
، انهم طيبون ةالا كانوا احتجوا علي،حبذا لو فعلوا ذلك ،ليتهم جاءوا للاحتجاج
،كم اتمنى ذلك !!ليأتوا ويروا الحال الذي انا فيه،لاشك انهم سيكيلون لها
العتاب،سيلومونها ،هيا تعالوا... تعالوا واضربوها..الى هنا،لا تتركوها قبل ان
تأخذني الى حمام اقبل ان تحممني بشكل جيد،اتوسل اليكم تعالوا...هيا تعالوا
لتقنحوا لل هذا الباب،انفاسي ضاقت...اكاد انفجر ، تعالوا فلربما استنشقت هواءً
نقيا او غمرني بعض النور،او تعالوا لترموني خارجا فلربما انقذتني الشمس من
القمل والميكروبات التي اجتاحت جسدي، تعالوا فستعذرونني اذا ما شاهدتم
ركني المعتم هذا و رأيتم كل هذه القاذورات التي تحاصرني، ستتأكدون من
انني لاستغيث عبثا ولا اتحمل عليها بلاسبب، ولكن ماجدوى هذا الكلام
الفارغ، انا واثق انكم لن تأتوا،لا احد يجي ،انتم لن تأتوا ،(تلك) لن تأتي ،من
يأتي اذن؟!عندما انا ديها لا ترد علي ،تبو كأنها لاتسمعي ،منذ ما يقارب الشهر
لم تدخل الى هنا..حتى ولو لمرة واحدة ،انها لاتقرب من الباب ايضا ،احيانا
،تخاطبني من بعيد...من خلف الباب الموصد أو تكلف (نوزاد) بالدخول بدلا
عنها،تخشى على نفسها ولكنها لاتخشى على (نوزاد) تخاف ان تصاب بالجرب
أو ان اقتربها،أه لو قدر لي أن أمسك بها،لكنها تخاف ان تدنو مني..انها متأكدة
من انني لو امسكت بها سأغرز أظفري في رقبتها حتى لو كنت بهذا الحال، لن
أسمح لها ان تدنس تراب هذا المكان وتجعل منه بؤرة لرغبتها الدنيئة ،لم تكن
هكذا اول الامر،كانت تخدمني تطعمني بيديها احيانا،لا بد من ذكر الحقيقه الله
،كانت ترغمني على الاستحمام مرتين كل اسبوع ولكنها اهمتني بعد ان

اخبرها الدكتور بأنه لا امل من شفائي، وكيف لاتهملني، حتى هذا الركن لايعجبه ان يأويني ويبيدي استيائه من جسدي المشلول .(رغبات وطموحات الانسان لاحود لها فعندها يفقد المرء شيئاً يبدأ بالبحث عن اشياء اخرى)

سأرسل في طلب اخيك، لقد اصبحت ثقيلاً ،لن اتكمن من خدمتك مستقبلاً! هذه الكلمات رددتها مؤخراً على مسامعي اكثر من مرة.ولكن اين أخي..لماذا لاياتي، مالذي حل به؟ هل إنتلعه حوت ،هل سافر بلا عودة؟كلا إنها تكذب لم ترسل احداً في طلبه،ستقاعست عن فعل هذا ايضاً كن بإمكانها ان ترسل احدهم اليه،لوكان اخي هنا ماكان ليرضى ان اكون مهملًا بهذا الشكل ،لاصدق إنها ارسلت في طلبه،ربما ضجر مني هو الآخر..ربما تجاهلني، إنها الحياة،لاشيء فيها غريب، كلا لاصدق...ربما كان غائباً .(تلك) العاهرة تكذب في كل شيء لكنني لااظنها تكذب هذه المرة إنها تفضل عدم حضوره لتخلولها الساحة لأن (ذاك) لن يتردد عليها ،كيف يمكنه ان ياتي واخي هنا...سيقطع له ساقيه،ليته جاء ، يالفرحتي لو أطل مرة اخرى على هذه الخربة ،سأشي بها ،اخبره بكل التفاصيل ،لأدع ذلك الان فلكل شيء أوانه،عندما يحين الوقت سأرجوه ان يخرجني من هنا ليأخذني الى أ] مكان مرة واحدة كل يوم ،نعم مرة واحدة فقط،حتى لو أخذني الى المقابر !اريد فقط ان اكون عن هذا المكان ،ليأخذني الى الاشياء.الظل الاخر طويل..نحيف..كأنه رجل،إنن فاته (ذاك) نعم (ذاك) بعينه ،لن اذكر اسمه لن اذكر اي اسم ،سألمح للاشياء منذ الان، ليكن كذلك (تلك) و(ذاك) لم يعد لاسميهما وجود في قاموسي ،انظر ،انظر الى السافل كيف يمر..هكذا إنن،نسيت كل افضالي عليك..ماذا تتوقعون من اهل قنر و مخبول عندما يصبح ذا شأن ،بالامس كان لايطرد الذباب عن نفسه واليوم يتصرف وكأنه (أغا) من لايعريفه؟ حتى الحمير تعرفه،انه هو ،هو وحده بإمكانه ان يضع اقدامه في هذه الباحة ،نعم انه هو ،نذل ،بلا اصل ،اعرف لماذا ياتي هذا القنر ،جاء ليسرقتي ،انه لص حاذق فاللص العادي لايمكنه ان يسرق في وضع النهار.(ذاك) ياتي كل يوم..في الصباح أو عند الظهيرة،يسرقتي بلا خوف ويغادر بلا خوف..انا لا اقدر عليه ،لا احد يستطيع ان يمنعه من ذلك

عندما يأتي يكون لوحده ،حالما يدخل المطبخ يصبح اثنين ،ليصن نشيطين ،يسرقان كل ما املك وعلى مرأى مني ،لاطاقة لي على منعهما ،ومن يستطيع ان يمنعهما ..لااظن ان احدا يمكنه ذلك(...). ما الذي يخشاه ،الحلبة هناك تبدو للعيان.. اذهب ،اذهب وافعل مئثاء ،تمرغ ،ارقص ،اضطجع فالأسرة مفروشه ،دافئة ،إرم بنفسك من الاعالي ،لاتخشى فحتى اظافرك لن تصاب باذى لو حدث هذا في الماضي لعرفت كيف اغرز انيابي كالنمر في رقبتيهما يلفظان انفاسهما الاخيرة ،ولكن كيف يمكنني ان اطالهما وانا بهذه الحالة المزرية ...لن أتمكن منهما ابدا ،حتى لو التصقا ببعض واضطجعا امامي معا فلن اتمكن ان افعل شيئا..حتى لو صرخت فانهما لن يستعالي ، ولن يأبها بي .انه ذنبي ..نعم والله ذنبي..ذنبي وكفى. انا السبب في كل مايحصل لي لو لم اسمع ل (ذاك) بالتردد لما آلت الامور الى هذه الحال .كنت مغفلا عندما ظننت انني لن اجد في الدنيا اكثر غباءً وسذاجة من (ذاك) (أستاهل) .ابن الحرام لم يكن هكذا قبل اسبوعين او ثلاثة ،كان يقف أمامي ساعة كاملة دون أن يجروء على رفع رأسه ،كان يشيح بوجهه عن (تلك) كلما وقف في حضرتها..يتترك سلته ويغادر على عجل ،لا ادري كيف تغير؟ ومن الذي غيره؟كأنه ليس (ذاك)،لم يعد للخبز والملح اعتبار ،لم يعد للفضيلة وجود ،يصول ويجول على هواه..لاافهم كيف تغير؟انه واضح،(تلك)هي التي غيرته..جذبته كالمغناطيس،هزته ..اوقعته في شباكها..إنها تققت الصخور بسهام عينها القاتلتين ،من يقاوم ،من يقاوم اغراء تلك المومس؟ فلت زمامها من يدي،تمهل ،تمهل قليلا لترى كيف سيتزاحم عليها رجال المدينة بعد ان تمل من (ذاك)..ستجد الآخرين هنا ايضا.انه لايبتعد عن المكان ،يحشر نفسه في المطبخ بين الفينة والاخرى كيف لاياتي أذن؟! أين سيجد مكانا ادفاً من هذا المكان؟ لا داعي لأن تتساءل عما يفعلانه معا في تلك الخلوة المظلمة انا السبب لا ادري اي شيطان او حي ان كل اسراري .كانت إمرة جميلة وانيقة ،تعطر رقة و عذوبة وهل كئنت اكثر جمالا واناقة مني ؟واين تلك تكون اجمل منك..من تتجراً ان تكون مثلك ،ولكن وبصراحة كئنت هي الاخرى جميلة ،كنت افقد صوابي عندما اراها مقبلة من بعيد ،لم تكن

رؤيتها يكفي لآخاماد الجحيم في اعماقي، واصلت ملاحقتي لها وتمكنت من ترويضها اخيراً.ونلت منها طبعاً! طبعاً...ثم اصبحت لاتطبق النوم إلا وهي في احضاني.لاشك انه المطبخ قد رتب بشكل مثير فالفراش لم يعد في مكانه فوق الصندوق،بعضه نقل الى هناك،انه يملا عليها حياتها،أما انا فلم اعد اعنيها في شي،أنا شبه ميت لايمكنني ان اتقلب في سريري فكيف يمكنني ان اذهب لارى المطبخ،بامكانهما ان يفعل كل شي امامي!حتى لو انتقلا الى (الايوان) فما الذي يمكنني ان افعله،غير التحديق والامتلاء بالغيض. بنست الحياة التي اعيشها،ليتني مت، اغراضي كلها مرمية في الخارج على الرغم من أنني لازلت على قيد الحياة!ماذا لومت؟!أتحدى أيا كان ان يعيش في هذا الركن المظلم، حتى الكلاب لاتقبل ان تأوى اليه..القديم كان افضل بكثير،لو كنت هناك،كنت سألم بكل ما يفعلان،كنت ساراهما بشكل أفضل وأرى المطبخ بوضوح لو حتى اطفاء النور، لقد اتضح كل شي الآن عرفت لماذا غيرت مكاتي.... المقبرة،المقبرة لابس بها،ساتجاذب اطرف الحديث مع الموتى...سأضحك مع شواهد القبور،احتضنها انام الى جوارها في المقبرة سأكون تحت سماء مقنونة،ستهب على نسيمات علية من يستطيع ان يلازم فراشه ٢٤ ساعة،اسبوعاً شهراً شهرين،اذا استمر وضعي هذا فسيصاب نصفي الاخر ايضاً بالشلل،سانتهي،سأتلاشي،ستتهدل شفقتاي اكثر ستحول الى مسخ،لوكان اخي هنا لأبعدني عن هذا المكان،ماكانت الفرحة ستسعني ليتني ابتعدت نصف ساعة فقط عن هذا المكان سأخال نفسي أميراً،سينتعش فؤادي،كم أتمنى ان ارنو الى الخارج،حبذا لو سنج لي ان ارى الشوارع والطرق والاشجار والاحجار،مرةى اخيرة! ليس ضرورياً ان اسير فيها راجلاً يكفيني ان اراها فقط ما اروع أن تكون الان في هذه اللحظة داخل طائرة وتري من خلال المنظار كل الزوايا الخفية،ان تروي أعماقك بالنظر الى الاماكن التي لايمكن رؤيتها بالعين المجردة،تنظر الى كل ما في هذا العالم كالمجنون،إنني ابدو وكأني لم أر عماراً منذ الف عام.الحنين يشدني الى زوايا المدينة،مااروع ان ارى المقاهي والحدائق العامة والطرق للمرة الاخيرة،ليس بالضرورة ان

اي هذه الاماكن بالضبط ليكن اي مكان قذراً عفاً ،حتى ولو كانت مزبلة فأتنا موافق ليأخذني الى الاماكن التي لايمكن لأحد ان يحيى فيها ،أو الى تلك التي لايمكن المرور بجوارها ! سأرى الشمس هناك بلاشك ،سألمح شعاعاً من النور ،ليكن مكاناً مليئاً بالفئران....بالجردان،لتفوح منه الروائح الكريهة لايريد اكثر من ان اكون بعيداً عن هذا المكان! مللت من مشاهدة هذه المسرحية وهذه العذابات التي تتكرر امامي كل ساعة ،هذه الغرفة الفارغة الضيقة، المضلمة تحولت الى طاحونة تطحن كيائي ،هنا يخال لي وكأني امام غابة تعج بالضواري والوحوش ،تعضني ،تهشني ،قلبي سيغادر صدري لامحالة .هذه ليست غرفة إنها قن دجاج ،مستعمرة نمل ،خلية دبابير أو حجر ذئب ،ليس هناك إنسان انظر اليه ينظر الي احثه يحدثني يسمع صوتي اسمع صوته حتى هذه الباحة التي تبدو لي تحولت الى صحراء مترامية الاطراف تحولت الى ارض عطشى قاحلة تخسر من احاسيمي وتهزأ من مشاعري بينما هناك خلف تلك الصحراء ،شبحان يركلان شغاف قلبي، من الاعلى من الاسفل ،طولا وعرضا ،ويسحلانني خلفهما، شبحان...لصان يوشكان أن يفقداني صوابي ،ان يسلباني عقلي يلهوان باعز ما عندي ،يفرطان بما عانيت من اجله سنمن طول .لقد دنسا هذا المكان...دنسا كل شئ ،الاشجار، الاحجار، الارض، التراب ،دنسا الجدران و الابواب والنوافذ وميدنسان كل الاشياء الاخرى .رائحة القذارة والدنس تصيبني بالدوار،الاشجار النطيفة في الخارج ،البيوت ،الازقة،الطرقات كاها توشك ان تصبح سوداء .شبحان ،لصان،احدهما يأتي من الخارج وايخرين من الداخل ، يلتقيان عند مدخل المطخ ،عندما يتمرغان هناك تشب في ملابسني نار الرذيلة وتتحطم عظامي، انا المسحوق اصلا يحيلانني الى جثه،يطحنانني ،ليأت احدكم و يرميني خارجا لأنقض عليهما ،كل من يزيل من امامي صورة (ذاك) و(تلك) له أجر عظيم في الدنيا والاخرة.(تلك) العاهرة و (ذاك) النذل،ابن حرام ،(ذاك) الذئب (تلك) الشبقة (تلك) المومس ،تعالوا وانقذوني من (ذاك) الذئب الشرس ،تعالوا مزقوا (تلك) العاهرة،أحيلوها نصفين ،هاتوا فأساً لشج رأس (ذاك) وحصانين ليمزقا (تلك) أو تعالوا وارفعوا جدارا

بيني وبين المطبخ كي لا اشعر بهما ابدا وإلا فإن روحي وقلبي سيلازمان
المطبخ، ليأت من يستطيع... يبدو ان لا احدا يقدر على فعل يقدر على فعل
ذلك! حبذا لو ازالنا عاصفه هو جاء كل اثارهما. هذه الغرفة الصغيرة الفارغة
والمظلمة لاتتلائم مع المطبخ المنتظم، المفروش والمطلى، هذه الغرفة كانت
فيما مضى، جميلة، رائعة بينما كان المطبخ مليئا بالفئران والعجلان
والصراصير، اليوم اصبح العكس فالمطبخ اصبح ملعبا للهو والسمر، وتحولت
الغرفة الى خربة تمرح فيها الحشرات، من يجرو ان يدنو من هذه الغرفة، من
يتحمل العفونة التي تفوح منها. ما هذا الذي اسمعه، الله... صوت اطفال، انه
رفيع وحاد، صوتهم متميز، يبدو انهم بعيدون فاصواتهم تأتي خافتة، لابس
بذلك.. بالعذوبة هذه الاصوات، إنها تزيل همومي عندما اصغي اليها، استعيد
احساسي بالحياة كلما سمعتها، طالت غيبة هؤلاء الاطفال لا ادري أين كانوا كل
هذه المدة، لماذا لما يأتوا الى اللعب والرقص خلف هذا الجدار؟ لولا هؤلاء لكنت
نسميت حتى التفكير والكلام، ليهتم لا يكفون عن اللعب بسرعة، ولماذا يتخلون عن
اللعب... لماذا يذهبون، أتوسل اليكم ان تبقوا قرب الجدار، ماذا لو تحلقتم وراء
اثناء الليل ايضا، ارجوكم ان تلعبوا الى وقت متأخر، اللعب رائع في الليل
فالصيف على الابواب والسماء مقبرة والجو لا يشبه جو غرفتي المستعر كنت
على وشك الانفجار حزنا لانهم كانوا بعيدين عني كل هذه المدة، لم اكن ادري
ماذا افعل، انتظرتكم طويلا ولكن دونه جدوى، أصبت بضيق في التنفس على
مدى يومين، احسست برغبة في البكاء لكنني لم استطع ان ابكي، من يمنعكم من
التجمع واللعب هنا؟! لاتذعنوا لأحد... اذفوه بالحجارة... اسخروا منه، تحلقوا
حوله، طوقوه، لاتخشوا منه، اين وقع اقدامكم، تحلقوا... اسرعوا، تحركوا، دوروا
حول هذه الجدران، انا لوحدي في هذه الغرفة المهجورة.. مكثي هذا
يناسبكم، لاتذهبوا الى مكان اخر، الأخرى لا يحبونكم، انهم يكرهون
صراخكم، يزعجهم ضجيجكم، انهم كثيرون ليسوا وحدهم انا لوحدي، فوضاكنم
تروق لي.. انا سي الحظ.. نصف حي وشبحان يوشكان ان يضعوا لحياتي... هكذا
نعم ليرن صوتكم في أذني الموشكين على الصمم انني اليمنى لا اسمع بها شيئا

ولولاكم لانتهدت اذني الاخرى ايضا، تعالوا ، اقتربوا اكثر ، ضعوا آذانكم على الجدران لاهمس لكم ، انا اعرف ما الذى يفرحكم انا ايضا افرح لذات الشئ ليذهب كل منكم ويأتي بقضيب مدبب او صفيحة حادة ، او هاتوا معكم المعول وانهلوا على الجدران من اطرافها الثلاثة.. إحفروا انه سهل ، لن تتعبوا لن تستغرقوا وقتا لتفتحوا بعض الفجوات ليتركم فعلمت ذلك !سأضحك مل هذا الظلام سيغمى على من الفرح أتعرفون ماذا ايضا؟سيتمسلل النور الى الداخل ، هذه الخبرة ستمتلئ بالنور ستمتلئ بالهواء النقي وباصوات كل الذين في الخارج ، اما انتم واصواتكم فذاك بحث آخر! من خلال الفجوات سارى الاحجار والاشجار والجدران والبيوت واعمدة الكهرياء والسماء وآلاف الاشياء الاخرى التي لم المحها منذ شهرين ، اطمئنوا سأزحف بنفسي الى الثعور، أو تعالوا انتم خذوا بيدي الى الفجوات ، سأضع رأسي فوقها وينتهي كل شئ ، أنا متأكد بأنني سأسمع باذن] شبه الصماء سارى بنظري الواهن ، لاشك ان سمعي ونظري سيتحسنان فهناك فرق كبير بين ان لاارى سوى الظلام وبين ان انظر الى الاشياء وارى النور ، اما اذا بقيت على هذا الوضع فأنني لن اتعرف على اقربائي واخواني ولن حتى ابني كل الاشياء تبدولي كالاشباح.. لصا الخارج احالا كل شئ الى اشباح اشباح فوق اشباح...الدنيا كلها تحولت الى اشباح.ابن عمي كان هنا البارحة ولولا انه عرفني بنفسه ماكنت احسست به حتى لو وقف امامى لساعات ، من يرغب منكم بالدخول فليدخل ، انا شخصيا يسعدني ذلك ، من يريد الدخول لامتع لدي من ان يصحب معه كلبا أو قطة، اذهبوا وأتوا بالكلاب و القطط فأنا احب اكون وسطكم ليل نهار ، اللعب في الداخل افضل ، لن يمنعكم أحد ، ارقصوا حولي...غنوا لانتسوا ان تجلبوا معكم الطبول والصفائح الفارغة ففي هذه الساعة تستهويني الحياة مع الحيوانات والوحوش ، انا واثق انكم ايضا تحلمون بالعاب كهذه واذا كنتم لاتمانعون فتعالوا وانهضوا بي ..أديروني على ظهري ، ضعوا يدي تحت رأسي واثنوا ساقي لأبدو كالحصان ثم امتطوني اركبوا فوق ظهري على التوالي لاتخافوا لن يصيبني مكروه فاجسادكم خفيفة ، الى اين تريدون ان اوصلكم انا مستعد الى اي مكان تريدون..هناك ، هنا لامتع

لدي سأبج أيضا دعوا كلابكم أيضا تنبج ليختاط النباح بمواء القطط ،لنلهوا مع قرع الطبول والصفائح والنباح والمواء ...انه رائح ،وهل هناك اروع من ذلك لاتنسوا ابني اتوسل اليكم ليأت معكم،اذا لم يكن برفقتكم الان فارسلوا في طلبه ،ليأت هو الاخر ،سيفرح كثيرا ذهبوا من اجلي وابحثوا عنه فهو ايضا يحب اللعب ،لماذا تأخرتم ،أين ضجيجكم؟!لوكان باستطاعتي النهوض كنت اتيت اليكم بنفسي ،كنت سأعدو وانتم ورائي..نغني ونرقض ونحن نجوب الازقة والطرقات والاسواق وكل الاماكن النائية .لعبة (هه ياران مه ياران) جميلة ها .تعجبكم ،ما ضير ان نلعبها الان..موسم الصيف غير مناسب لهذه اللعبة!إن الاطفال المجانين لايعرفون الفصول..يفعلون كل شي متى ما ارادوا ،لماذا انتم واقفون ،تحركوا لاتخافوا اقسم لكم بالله لاوجود لأي شي هنا، اية وحوش ،اي غول ،لقد كنت أمزح ،لاتخافوا فالتست وحشا لأقتربكم تعالوا وانظروا من بعيد لتتأكدوا ان جسدي الهزيل هذا لايليق باجساد الوحوش كيف اصبح وحشا هل حذرتكم امهاتكم من الاقتراب مني مثل (نوزاد)...الغرفة واسعة تستوعبنا جميعا ،سيتمسلل النور من الفجوات الثلاث ويتلاشي الظلام .(نوزاد)لايدنوا مني ابدا..كلما ناديته ابتعد عني اكثر قد يدخل معكم والافانه لايتجاوز العتبة ليرفقتكم هذه المرة لكي لا يخاف اعرف من الذي يبث فيه الخوف إنها (تلك)هي التي ادخلت الروع في نفسه ولقنته (ةالدك قذر..جرب ،تفوحمنه الرائحة)صحصح ،كل هذا صحيح ولكنني لست نذبا لاقتربه متى تحولت نذبا فيحق له ان يتجنبني ،حينذاك لاتقربوني انتم ايضا ،هيا ادخلوا ..لم الخوف ،ادخلوا مع الخوف...كومة عظام جسد ميت .رجل كسيح مقعد من يخشى منه ،شخص لايمل منذ شهرين كيف يمكنه ان يفترس الاطفال ملعونه ،عندما اموت افعلي ماتشائين لاتزوري قبوري ،ارمي مخلفاتي احرقني كل الاشياء التي تفوح منها رائحتي لامانع لدي..لكن الان ،الان لااقبل ان تقربي من حاجياتي لارضى ان تدنسيها فانا لم امت بعد وكل حاجياتي اثيرة عندي ،الارض والتلاب ..الاثاث ،الاحجار ،احب كل مافي هذا البيت عذاب ،انت...انت لا احبك ،اكرهك انت لست انت ،انت بلا اسم ،انت (تلك) شبح ،لص ،انت كلبة حتى لو حببت كل

الاشياء فلن احبك متى مامت افعلني ماشئت ،عندما لا يبقى لي وجود عسى ان تمنحي نفسك للجميع... لا اظنط ستشبعين ،عاهرة من هناك ؟ نوزاد...ابني،تعال لاتخف، اين انت... الحمد لله لانك جنّت ،تعال لاقبلك ،لاتخف فلن اقترسك... طيب لاداعي لأن تقرب ،وانت مكانك من خلف الباب ،اصغي الي لماذا المصباح مطفاً، ومصباح المطبخ، كم مرة قلت لك دعه مضاء، ماذا ايضا ،ماذا؟ لاتكذب... ومن علمك ان ترد علي بهذا الشكل والدتك ايضا ،اعرف انها لاتسمع لك ان تقرب من المطبخ، تعال.. تعالواخبرني عما في المطبخ ،الم تر في الداخل ،كيف؟ بامكانك ان تنتظر من النافذة... سيبدو لك كل شئى ،سترى كل مافي المطبخ ،ربما هناك مأكولات لذيذة ،حاول ان تعرف ماذا ايضا، أسرة... مفروشات ،كم مضى عليك دون ان تطل على المطبخ، ثلاثة اسابيع ،اربعة.. كم ؟ حاول ان تتسلل هذه المرة فالباب مفتوح! ماذا! مقبول! والله عال ومتى تقحه اذن؟ عندما يأتي (ذاك) ...ها! (نوزاد) (ذاك) السافل كم مرة يتشرف بالحضور يوميا؟ عشر مرات ،عشرين، كيف لاتعرف؟ اين تكون اذن طوال النهار؟ الى اين ترسلك!؟ منزل (هه ورو)... وماذا تفعل هناك تفعل هناك كل هذا الوقت؟ ساعة واحدة او ساعتان تكفي للعب ،ابني (نوزاد) إذا اعطيتك شيئاً ما هل ستساعدني؟ كيف... لاتساعدني... اقرب قليلا، ادخل عون بسيط، سلعدني على تغيير مكاني ،أحب ان اكون بالقرب من الباب ،مكاني مظلم هنا، احس بالضيق، لاارى شيئاً ،اريد ان انظر الفى الخارج... لست ثقيلاً ،امسك بيدي فقط ساعدني على الوقوف سأستند على الجدار للوصول الى الباب اقترب من الارض هناك لاداعي للفراش ،دعه في مكانه سأستمد فوق التراب ،التراب انظف ،فراشي متعفن ،رائحته نتننة ،لاتخشى ،إحذر قليلا فلن تتسخ ،قف بعيداً ،(الصفحة) هناك، ابعدها عن نفسك ،تعال وانظر الي... لست قدرا كما تتصور ، وهذه الرائحة تفوح من (الصفحة) أما القذارة فسببها الفراش انا لا اشم شيئاً ،فيما مضى كنت اشعر ببعض الضيق اما الان فقد تعودت على ذلك !ماذا! اية رائحة... لم اتغوط في فراشي ،إنها رائحة (الصفحة) بامكانك ان تسكبها في الخرج وعندها ستزول الرائحة ..صحن الاكل هذا خذه معك.. إقذفة

لك ..خذ، تعال من الافضل لك ان تغطي (الصفحة) بقطعة القماش هذه، أين والدتك، لماذا لاتأتي الى هنا ؟ لادري لماذا تكرهني أمك ، انها لاتريد رؤيتي ، كأتني قاتل والدها عزيزي (نوزاد) ارجوك تعال وانظر الى هذا الصحن ، هل انا كلب لتضع لي هذا الاكل ؟! (تلك) هي كلبة و(ذاك) .. كلا هما، كيف يمكنني ان اتناول هذا الطعام ، طعمه كالسم... انه مالح جدا ، والدتك تتعمد اكثر الملح لكي لاتنوله ، انا لااكل سوى الخبز ، وانتم ماذا تأكلون؟ ... إذن فطعامكم ليس مثل هذا ! لحم وأرز ومن أين لكم والارز؟... (ذاك) .. إذا كان الاكل بهذه الوفرة فاين هو إذن لمن تعطيه، ترمونه، (ذاك) ايضا يتناول معكم الطعام... ها جيد! واين تجلسون اثناء الغداء... هناك .. خلف الجدار.. لكي لا اراكم، ها، وكيف اراكم وبيننا اكثر من غرفة. (تلك) و(ذاك) شبحن سافلان ، لصان قذران ، يسرقاني في كل شيء ، ينفردان هناك ، لانفصلا ، لا اقدر ان افصلهما ، اللهم إلابندقية صيد يمكنها ان تقصف عمرهما ... واين يجلس (ذاك) النذل عادة . بالقرب من والدتك... بعيدا عنها... امامها، كيف ؟ وكم تكون المسافة بينهما بتصورك، شبر واحد أقل يتلاصقان أم يتعانقان ، ثم ماذا ، يفعلان... أين يذهبان (طبعاً .. طبعاً ينسحبان الى المطبخ ، لاشك في ذلك) وانت ماذا تفعل ؟ الاتراهما ، ألم تلاحظهما . كيف تبدو ملامحهما يبدو انهما فرحين ، هل يبتسمان لبعض أم .. وانت لماذا ترضى بذلك ؟ من يكون (ذاك) السافل لكي يتصرف على هذا النحو؟ أي اقرباء وأي (بطيخ)... من قال انه ابن خال والدتك ... صدقتي لاهو من اقربائنا ولاهم يحزنون ، وهل ترتدي والدتك فساتين جميلة هذه الايام ؟ هل تتألق ام انها لاتبالي بهند امها... أعرف ، أي الفساتين ترتدي... تلبس الفستان الوردى، تضع الماكياج... تلطخ وجهها بالالوان.... تتعطر بالكولونيا!... واين تترك اختك (شه وبو) هناك... تضربها إذا بكت... طبعاً ستضربها فهي كبيرة وتدرك كل ما يحصل الاخر صغير، لايفقه شيئاً، بسيطة... ربما ستدخل، انا اعرف كيف سأنتقم منها... كيف سأطفي حسابي معها) (تلك) اللعوب استدرجت (ذاك) بدلالها وبكلامها المعسول (لعنة الله عليك.. كيف اقتعت (ذاك) الساذج الطاهر.... كيف اوقعته في شباكك؟) .

من يعرف ... من هذا ؟

صمد أحمد

ترجمة: عبدول حسين

من يعرف من هذا؟ وجهه وسيماءه كالليل مظلم أسود، لكن في اعماقه يتوهج ضياء. فكره دليلنا في الطريق نخطومعه ينير لنا الطريق خطوة بعد آخر. لانشك انه يوصلنا الى مكان آمن ويمنحنا السكينة لأن ضياء فكره وحده هو الذي يصيب الطغاة بالعشو.

حين كان ربيع عمره، وردة سوداء، وضعوه بغير حق في شباك عنكبوت السجن، ارادوا ان يسقطوه. ولاكن لم يستطيعوا. احلامه وامنياته وخواطره، كانت كحمامة بيضاء تهدل وتنشد بصوت بهيج للسلام.

بعد هذا الكلام، كتبت بخط كبير على السبورة (من يعرف.. من هذا؟) لم يعرف أي من الطلاب. بعد ذلك قلت: إذا فلتسمعوا جيدا، لكي تفهموا سر سبع وعشرين عاما من الألام، عليكم ان تتعارفوا مع الألحان غير المسموعة للحمام المتمرده في اعماق هذا الرجل، لأنه يعلمنا كيف نقطع حبل السياسيين المحترفين، ونحرر أيدينا ورسخنا وكل اجسامنا.

صمت كل التلاميذ، بعد هنيهة، قال احد اذكيائهم:

- استاذ. إنه سبارتاكوس

- لا ابني، ذهبت بعيدا.

- انبري احد التلاميذ دون ان يرفع يده.

- انه بلال الحبشي.

- انت ايضا لم تعرفه. هذا المتواضع، حي جسما وروحا.

خدم التلاميذ تماما. وقد تعجبوا خاصة من قولي:

(هذا الانسان القديس، سياسي محترف ولا يكذب صاحب سلطة ولا يظلم!)

لم يعرف احد منهم، من هو. بعد ذلك قلت:

حسنا ومن هذا الرجل. كيفما تقول، فان مظهره رشيق وجميل ولكن لو نزلت سلم واحد في اعماقه. لن تشاهد غير نقطة قطرانية وحلقة ولا تصطبير البقاء من كثير روائح الجثث والدماء. وقد بقي كثير من سلوك هذا الرجل لأعرفة بالتلاميذا عندما سد التلاميذ انوفهم بايديهم وصاحوا مع الجشوء.

- ميلوسوفيچ.
- احسنتم. ثم قلت:
- اذا عرفوا جيدا. يجوز ان ينبت في سيماء سوداء. قلب نظيف و ابيض،
ويسع وجه ابيض وجميل قلبا اسود و عفا.
- وقد خمد التلاميذا كثر. ثم قلت:
- لم تعرفوا ذاك القديس السود ذا الدم الخفيف، الذي ذكرناه. من هو؟
- (...)
- فلتعرفوا جيدا، ان ذلك الرجال هو (مانديلا).

قصص قصيرة من الحياة اليومية

د. عارف حيتو

ترجمة: سامي الحاج

(١)

في ليلة رأس السنة القصيرة، كانت فوهات الزجاجات تمطر خمر الخلود،
ونغمات العود تدغدغ المشاعر الفوارة، وإطفاءُ النور جعل الشفاه تتبادل التهاني
القلبية. كل الاصدقاء تركوا وعيهم عند أطفالهم وخرجوا منتشين سُكراً من
بيوتهم.

ها قد مر عام آخر من حياتنا وأطفأنا منها شمعة اخرى، حمل آخر يضاف الى
مسيرة كفاحنا التي ستزداد ثقلاً ويزداد ظهراً إنحناءً. أظن كان من الأجدى أن
يعزي احدنا الآخر لان سنة اخرى قد نقصت من أعمارنا ولكن لولا هذه النشوة
كيف كان لهذه الحفلة أن تكون.

ثم دار الحديث عن أمنيات السنة الجديدة... كل صديق كان يتكى بهدوء الى
كرسيه، يمضغ أمانيه ثم يطلقها في الهواء، الاماني الكبيرة تتراقص متنافسة
والكلمات الرقيقة تتقاطر شعراً من الافواه.

كل أمنية تود أن تكون أكبر وأدسم من باقي الاماني كي تجعل من صاحبها
كذلك.

مجرد أمنية، لا ضريبة عليها ولا خراج، فلماذا لا تكون كبيرة!
أهلنا في هذه المدينة، مدينة العشق والحقد، المروءة والوحشية، النفاق وقول
الحق، كل واحد مشغول بأموره. شاب مشغول بملاحقة سيده شابة بتنورتها
القصيرة، عجوز تحمل سلة خبز فوق رأسها وهي تتجه صوب بيتها، أستاذ
يتأبط كومة صحف، باعة متجولون وصبأغو أحذية ما زالوا في عمر المراهقة،
أطفال أغنياء يسوقون سياراتهم الفارهة بسرعة البرق، ورجل مرور يحمل
صفارة بين شفثيه وهو ما ينفك يصفر. أتمنى ي ي ي ي ... أن يأتي يوم، عندما
أصعد الى رصيف الشارع، الشارع الذي يضج جانباه بالدكاكين والوجوه
التعبانة، وتتلاعب رائحة شواء الهامبرغر بأنفي ويسيل اللعاب ليملأ فمي. ليتني
ي ي ي إستطعت شراء لفه هامبرغر وأن التهمها وانا ماش دون أن ينظر
أحد بدهشة الى تصرفي الشخصي هذا.

(٢)

في دائرة الاحوال الشخصية كان الناس يقفون في طوابير، يسجلون أطفالهم في قيودها. كان الموظف المسؤول عن التسجيل أصلع الرأس، مربوع القامة قصيرها، صوته جهوري:

- بالله عليك... وهل ضرغام إسم، أو قحطان أو ريان؟!
- ماذا نفعل، هي الاسماء التي نعرف، ثم إنها مفاتيح أبواب الجنة.. أو كما يقال لدينا اسماء الآخرة، في يوم القيامة سيرحمنا الله بها.
- ولكن ألا يعرف الله الكوردية؟!
- إستغفر الله... الله أعلم العالمين.
- حسنا، إذا كان يعرف العربية فقط، ويهب رحمته للاسماء العربية فقط، فكيف يكون أعلم العالمين إذا؟

- أبويه.. أنت غلطان، هذي الاسماء تطلق على البشر الصالحين.
- وهل يكون الانسان صالحاً بإسمه أم بأفعاله وأخلاقه؟
- أليست ديمقراطية؟ أنا حرّ في إختيار إسم لطفلي، سأطلق عليه هذا الاسم.
أسكت صاحب الصوت الجهوري كلّ الاصوات، لكن الشخص الغاضب لم يهدأ، إلتفت الى أصحابه وإستمر يتحدث بصوت منخفض:
- كل شئ لهم، فليتركوا أمر أطفالنا لنا! لم يبق إلا أن يحددوا لنا كم مرة ننام مع زوجاتنا.. إشدعوه..!!

آخ لهذه الامة التي تخبئ رأسها كالنعامة وغافلة مثل بقرة.. كيف نقطع جذور مثل هذه الافكار السقيمة من الاعماق؟ مثل هذه الافكار هي التي سبقي عقول القوم في بركة راكدة. كلما فكر المرء فيها أكثر إزداد أمره تعقيداً وفقد هدوءه.
ثرثرة وتهويشات الموظف الاصلع المربوع القامة لم تحرك في اولئك الواقفين بالطلبور ساكناً وكته يعزف الناي في مجموعة ثيران. كان يتم تسجيل أسماء الاطفال واحداً بعد الآخر، الاطفال خميرة إستمرار الحياة، والحجر الاساس لخلود الموتى، الاطفال ذرية المستقبل.

ولكن عندما جاء دور الحرية، قالت: - أنا بدون ذرية!!

(٣)

ذات يوم تاه الشاعر بين القصيدة والمشاعر اللاهبة لأنسانيته المستثارة والحرية الكارتونية.

وفي رحلة تيهه هذه شاهد الكثير من الاشياء! رياضاً جميلة، كلمات جريئة، أشخاصاً أبطالاً وشجعاناً، بنيات عالية وشوارع واسعة، مقاهي لأجترأ الحديث وميادين للأفعال، خامت قصائد ورغوة أنهار. والشاعر ذاتٌ معقدة ومتمردة، متمردٌ على الازقة الضيقة والسقوف الواطئة، متمرد على خطب المنابر ومنابر الخطب الرنثة، وعلى النساء المتبخرات بحليهن، متمرد على مسبحات الرجال. في رحلة التيه هذه كان الشاعر يبحث عن نفسه.

(٤)

المقاتل، كان يحمل بندقية ساخنة الماسورة ومهياً. تسجد له المغارات والصخور والجبال والعصافير. على أخمص بندقيته ثمة صورة لغيفارا. شعيرة التسديد تغني أنشيد خضراء لهامة السلام، أنشيد ساخنة سخونة رغيف الخالة، عذبة وجميلة كحلاوة لقاء الحبيبة، أنشيد متخمة بالهيبة، سامية كعلو هامة الجبل. وهل هناك شيء أهم من السلام لثغنى له كل هذه الانشيد الراقية؟! ولكن عند سواحل البحار المالحة، كان الضمأ قد حول كل جسد السلام الى حرب، حرب مستمرة بلا نهاية.

- ٥ -

قتال، قتال، بالكلام أو بالأيدي، أحمر كان أم أخضر أم أبيض. من الضروري جداً أن تنتهي هذه القصة المتقطعة.... ولكن... ما زالت هنالك بقية.

الأم پیروز
عبدالله عزیز خالد (آگرین)
ترجمة: جلال زنگابادی

في الهزيع الأخير من الليل، أيقظتني أمواج الفجائع، فرحت أدير مؤشر مذياعى، لكنني لم أظفر بأية محطة تروق لي، فأدرت زرا نحو اليمين بتجهم وأطفأته. كانت دنيا هادئة سكانية. وكنت أضواء المصابيح الصفراء وحدها تترقب في انتظار يائيس... دفعتني رهبة طغيان الصمت أن أسارع بمدّ يدي، وأنزل الكتاب الموضوع قرب رأسي، لأطلع على الصفحة (٥١) أكاذيب التاريخ... كيف؟ (فيه، يمرغ العاشق في دمه بلارحمة، والورد لا يدعك فحسب، بل تققت بتلاته عمدا) ورحت أقرأ الموضوع بأعصاب هادئة، مراجعاً بعض فقراته مرتين، ثم هاجمني جحفل التعب، ليدجنني و يسقطني لكنه خاب في أن يعيبيني ويدفعني إلى لإستسلام، حيث كنت أردد: "طالما أمضيت ليال مثل هذه الليلة ساهراً حتى النهار"

لقد إنفعلت نفسياً إثر قراءة أسطر من تلك الصفحة، لكنني هدأت بعد ساعة، إذ قامت كلمة (دسيمة) بتطبيع حالتي.

كنت أظن الوقت منتصف الليل، فأزحت ستارة الشباك الذي جنبي في رمشة عين، فوجدت الفجر قد إنبلج و الدنيا تنتور تدريجياً، وقد جاشت روح العشق، حمسب سنة الحياة، لتحفز الطيور الجميلة الملونة فتغادر أعشاشها وتتطير بحرية من هذا الغصن إلى ذاك الغصن مزقزقة وصادحة بألحانها الرقيقة... كان ذلك المشهد مطر روح طاهرة يغسل النفوس السوداء القذرة، ويمنح خلقاً جديداً والهام هيام معاصر.

هممت أن أطبق الكتاب، فاذا بعنوان بارز (أغلب ما في التاريخ كذب وزور!) يجرنني إليه جراً. وانبعثت من تلك العبارة برق ناري شديد بهرني، فتعتمت عيناى فترة طويلة، ثم إمتلأت حنقا، فانفجرت بغتة كبركان:

"هل كنت مخطئاً حتى الآن، أو كنت أغالط نفسي؟!!"

لقد دفعني ذلك العنوان الجذاب، لأقرر إعادة قراءة التاريخ من جديد بنفس معاصر، لكنما المشهد الواقعي الراهن إنتزع حالة تفكيري من مصراعها، وهيج و عيي و خيالي، وعتعت عصييات دماغي، حيث هيمن هاجس معرفة

حياة (الأم بيروز) وفجعتها على رغبتى في إكمال قراءة الكتاب ، أجل ، تلك
الأم المتشحة بسواد المحنة الدامية ! وكان التخلي عن ذلك محالاً .
لم أكن مختلطاً بالأم بيروز وعائلتها ، ومع ذلك فقد قُتحت أمامى بمنظرها
المريع بوابة تفكيرى وموقف جديد ، فخطوت على الدرب المعتم و الحزين لهذا
الزمن :

"ف على قدر حياة الظالم "

كأنت الأم بيروز في زمن ثورة كردستان ، قد اختارت خندق البشمركايتى
(العمل الفدائى) ،تعلقاً بفلذة كبدها الوحيد (مينه) إذ كانت تتبعه وترافقه أينما
رحل وحل....وكانت قد تخلت من أجل (مينه) عن أبى مينه ونويها ، وكانت
رغم البؤس والخوف تفضل وتحبذ الحياة مع البيشمرکه في الجبال على أية
حياة أخرى.....وطالما كانت تسكن غريفة أو مغارة، وتعد الطعام لمينه
ورفاقه.كانت الأم بيروز مع أداء تلك المهمة ،تنسج في خيالها مشهد زفاف
(نخشين) ابنة شقيقها و ابنها مينه ، ومن ثم كانت تحتضن أطفالهما في مخيالها
! وبينما كانت تعيش في سورة تلك التخيلات البنفسجية الحلوة، إذا بريح تفوح
برائحة الدم تخبرها بعاصفة فجيرة موت وحيدها مينه ،وتدفن أمنيئاتها المقدسة
الحية، ومن هنا راحت لفافة حظها التعيس تتدحرج منحدره...بل فقدت إثر
هجمات أنفال البعث الهمجي كل أفراد أهلها و نويها، وبقيت وحيدة متشرده
تحت رحمة برائن المحن ، لتتجرع سم الحياة هنا وهناك ،حتى انتفاضة ربيع
الحرية في كردستان ،إذ عادت إلى منطقة (بتوين) واستقرت في غريفة
لايتجاوز ارتفاع سقفها قامه رجل متوسط الطول . وأجريت إنتخابات البرلمان
و تأسست حكومة إقليم كردستان ،وأصبحت السلطة بأيدي مسؤولي الثورة،
واختلط معهم الكثير من الدخلاء ،ومع ذلك ظلت حياة الأم بيروز كما هي في
زاوية تلك الغريفة نفسها ،بينما تحسنت معيشة عموم الناس بمن فيهم البعثيون
وأفراد الجيش الشعبي وأزلام النظام السابق ! أجل ، ولما تتغير معيشة أم
الشهيد مينه ، الأم بيروز المبطوحة تحت مديّة تناسي السلطة الكردية ، ولم
يكن هنالك من يلتفت إلى حالها ، وبينما راح أغلب القادة والمسؤولين، لاسيما

(حديثو النضال) يملؤون جيوبهم و يضاعفون سمك شحوم كروشهم ، بعد نقلة صغيرة لمواقفهم !

"حقاً ما هذا الكلام؟ أهو حلم ، أم هذيان ، أو حقيقة؟!
لم يسعني إلا القول :

"إنه ظلم الزمن واضطهاد ذوي القربي "

للأسف ما أسرع نسياننا و تناسينا للكلام و الموقف و الأحداث !

أواه من ذاك اليوم الأسود الذي تنهى فيه خبر استشهاد مينة إلى مسمع أمة ثيروز ، التي راحت تصرخ وهي تلطم و تنتف خصلات شعرها :

"ليكن ولدي فداء كردستان ، فذريتي كثيرون.. جميع رفاقة البيشمركة أولادي" و هاهي الأم بيروز الآن وحيدة بلا معين و بأئسة مطروحة في غريفة بلا معيل ، وقد أحنى الغم ظهرها ، تنتقلب ألماً في فوضى المستقبل المظلم.

كنت غاطساً في تصور ذلك العالم الصاخب ، إذا بنباح يقطع سلسلة أفكارى و الأحداث المتواترة في ذهني ، فقلت لنفسي : "هل هذا وقت نباح في هذا الصباح الباكر وفي هذا المكان بالذات؟! "

و إذا بصوت يحدث رنيناً في جمجمتي : "كان النباح موجوداً في كل وقت ، وسيظل..."

فانتصب واقفاً لحظتئذ ، لأستعلم عبر الشباك ما هو النباح المتناهي ...؟! لكنني تراجع و عدت جالماً في مكاني بهدوء :

"النباح إسم على مسمى..."

"سواءً كان ثمة نباح أم لم يكن ، فالقافلة لا تتوقف و تظل تسير قدماً قاصدة الهدف..."

وإيمشهد حياة الأم بيروز يجرجرني إليه من جديد.... "ولماذا؟! أ هناك أقدس من تلك القضية؟! "

كان مكتوباً تحت صورة مشهدها المحزن في الجريدة : "من يغيث هذه المرأة المنكوبة؟"

فتسمر وعيي و تفكيري : "هل يعقل نشر هكذا خبر مخز عن وضع أم بيشمركه شهيد ، في ظل حكومة كردستان والسلطة الكردية؟! "
"يا للعجب!"

تمعنت في الصورة : "تف علينا وعلى كذب التاريخ "
واستفقت على صفة شديدة من كف الزمن: "أسكت ! إصمت ... واحن رأسك مثلهم وأرحه في حرك "
"كأنت الدنيا هكذا ... وستظل..."

لم يستسلم فكري و موقفي للأمر الواقع إزاء تلك الواقعة الغريبة ، فطار وحلق بعناد غير هيب ، ومع تمردي ذلك ، لم أنج من وطأة ثقل جواب سؤال التاريخ :
"أنت أيضاً مسؤول نو سلطة مشارك في تلك الجريمة "
فامتفت خلايا دماغي المفكر ، فنطق مجيباً: "صحيح أنا مسؤول ، لكنني لست أصم و أبكم ...!"

هنالك تنتظر الأم بيروز أن يزورها رفاق ابنها مينه ، لتخاطبهم مثلما كانت في زمن بيشمركايتي ابنها المأسوف على شبابه:
" أقتديكم بروحي ، ولتصبني كل البلايا بدلا عنكم "

إنها أليفة حياة البيشمركايتي في قدمات جبل قنديل وسفوحه ، وليست متألفة مع سهل بتوين ... وهي متعاطفة مع موسم الريواس (الراوند) حيث يجتمع شملهما في المروج ، أما الآن فلم يبق عندها أي جمال و مذاق للربيع الزاهر .
لقد جرفتني تلك الأفكار إلى دنيا متلاطمة الأمواج ، ولم أكن أعرف ماذا أفعل ، وكيف أبلغ العالم كله تلك الفضيحة المخزية ، وأجد لها حلاً ؟ فبصقت على السماء وقلت :

" هذا وحده لا يكفي ، بل لابد من كلام ، من بذل جهد وسعي و موقف معاصر "
إن ما أصاب الأم بيروز من إجحاف و ظلم ، هو شيء عادي و لا قيمة له عند البعض ، وكذلك في القسم الزائف من التاريخ ... بينما أشعل حريقاً في دماغي ونفسي ، بحيث تعجز مياه المحيطات عن إطفاء بركان شعوري لحظة واحدة

، وكنت على وشك الخروج من جلدي ، لا يقر لي قرار ، وكنت أعزي نفسي بين
الفينة والفينة :

"وجداني مرتاح في هذا المجال ، فقد بذات قصارى جهدي " فقد أوصلت
خبر الوضع المزري للأمم بيروز إلى مسؤول كردي عالي الشأن ، فوعدني
بمعالجة مشكلاتها . وكان ذلك الوعد لي بمثابة بشرى فوزي بالجنة ، ولم أكن
أعرف ماذا أفعل من شدة الفرح ، كما لو منحت منجم ذهب ، فكتبت على عجل
رسالة إلى أحد معارفي الأعرزاء ، لكي يتقصى آخر أخبار وضع الأم
بيروز ، ورحت أنتظر بلهفة و غبطة أكثر من الوعد المذكور.... وإذا بجواب
شائك يصلني بالأمس يبيض سواد عيني :

{ في وقت متأخر من فصل الخريف ، بينما كانت أوراق أشجار البلوط
تتساقط مشاركة الحياة التراجيدية لأم الشهيد ، كانت الأم بيروز قد تيممت في
غريفتها المظلمة بلا أحد ، ولم يعلم بموتها أحد إلا بعد ثلاثة أيام ، وقد دفنها
بعض الخيرين ولكونها بلا ذوي ، فلم تحظ بمجلس فاتحة على روحها ! }
وأثناء قراءة الرسالة ، اجتاحت قشعريرة شديدة كل أوصالي و جوارحي
، فبصقت على السماء ، وخاطبت نفسي :

"إمتزجت كارثة عسف المجتمع والظالمين بالحياة التراجيدية للأمم بيروز
، وقلبت صفحة صادقة في سفر التاريخ المزور ، فقد كانت كلمات الرسالة طين
عار دبق لرشق وجه كتاب التاريخ الزائف ، وكانت سم زباني جريمة نكراء
لعست قلب التاريخ "

كنت قد تركت كرسي سائراً نحو راحة الوجدان ، وبينما كنت غارقاً في تفكير
عميق ، ثم حركت بالكاد شفتي :

"غالبية سجلات التاريخ أكاذيب و أضاليل "

وبعد العودة إلى هدوئي الطبيعي ، قررت ألا أستسلم لسفر التاريخ الزائف
، وقلت : "يجب أن نكون واعين يقظين إزاء سفر التاريخ المزور " و " إياكم أن
تنسوا واقعة تراجيديا الأمم بيروز "

السيارة
عبدالله سراج
ترجمة: كمال غمبار

كان (سالار) بمسرتة المتهرئة اد سائقا يقود السيارة .. كان سوق سيارة غير مرئية فرودو (لو كنت في البيت لوقفت على رأسي ان ثم أتحوّل الى عقرب أطارد أختي (شيلان) .. فلماذا لاتعطيني الدمية .. أه ما أجملها وهي ترمش عينيها) لغ رصيف الشارع هوب ، داس على البريك والقي بثقله نحو الخلف نسحبا الى الوراء ، ومع التفاتة خذ لسائه يمارس عمله حسب الحاجة بييب ، بييب ، بييب أستخدم جهاز المنبه كمن يريد . أن ينزل نفرا ويصعد اخر، ثم دار بشدة في ظل شجرة الصفعاف حول امرأة حسناء ، نظر مليا الى الشجرة : (أن شيلان أصغر مني لكنها تمتلك دمية أقول يا أمي ، أما تشتريين سيارة لي ؟ تاوذ بالصمت أو تكم في حالاً : لماذا تفكر فيما الى هذا الحد ! أكاد أموت يا امه .. ابني سوف أشتريها لك) توقف هناك ، طار طير عينيّه عدة مرات نحو تلك الجهة ، ذبح مراهقان مخنفسان الشارع وحركا شفاههما ، ومن هناك دخل شخص آخر زاوية نظره مادا يده بخضلته ووقفت سيارة خضراء عند حافة الرصيف وحملت الامراة الحسناء .

- لنركب نحن أيضا مثل هذه السيارات يا أمي

- أبني أنها غالية

- لان رجالي تولمانني

- الان يأتي الباص الاحمر .

بدأ من جديد يسوق السيارة غير المرئية ،

وفي داخل الباص أقحم نفسه في حضن أمة .

- بطاقة واحدة

- ما شاء الله أن أبنيك كبير !

- لاداعي للجدل .. أنه لم يدخل المدرسة بعد !!

بدأ (سالار) يعد أعمدة التلفون (أنها أنجزت ملابس جميلة لدمية شيلان،

فانز أنا أيضا أطلب منها خرز النمنم لسارتي .. ولن اعطيها لاطفال المحلة ..

فلماذا هم ..) نزلا من بداية الشارع ، دخلا بسرعة فرجة باب، وأطل شخص

آخر برأسه وأغلق الباب مباشرة :

- أمامه الا يكون شخص آخر والدي ؟

..... -

- من يشتري لنا الحاجيات ؟

..... -

- ما علاقة صاحب هذا البيت بنا ؟

- لاشيء ، أدخل هذه الفرقة لكي أغسا الملابس

- لا أذهب

- مادام الامر هكذا فلن أشتري لك السيارة .

- أضطر سالار أن يتوجد نحو الفرفة (تنيم شيلان دميته ليليا معها وتمرر اصابعها على شعرها .. وانا أخفي السيارة تحت وسادتي ... وأغسلها في الصباح الباكر بالماء والصابون حبذا لو أشتريت لي السيارة الصفراء .. اه ما أجملها) وكان الوقت داخل الفرفة سلحفاة عرجاء .. شعر بالضجر . لقد أعتاد فيما مضى أن يقص عليه والده العامل في الجص بعد الاستراحة من تشنج التعب حكاية شعبية (كان ماكان لم يكن في الدنيا أكبر من الله ، وأكذب من البط (كان يتفكر في الله ، ما حدود كبره ! لم يكن يسمع نهاية الحكاية الا ماندر ، وكانت جفونه تتناقل ، وأمه تفضيه بحنان ببطنية قطنية متهرئة . ولو كانت أخته شيلان قابعة هناك لمجرد الاستماع فاته كان يكثر من أسنانه كمن يقرض الجرزات (فلتقص الولدة أيضا الحكايات لك .. حكاية القزم ذي اللحية الاربعين ذراعا) وكانت شيلان تعاند وتقترب أكثر (لقد سمعت هذه كثيرا ، يبدو أنك لاتعرف غيرها) وكانت أمها تفهقه (اي والله يابنتي لقد تعلمت هذه وحدها) وكانت أبتسامه رقيقة ترتسم على محيا والده (ايه ياولدي العزيز ، حين تمرغ الذئب في الطين الاحمر ودق باب الصغيرات ... قلن من الطارق ؟) قال : أغتحن الباب لامكن ، أتيت بالحشيشلاء أسناني وضرعاي مليونان بالحليب ، أنهن قان : ذهب غان أمنا خضراء اللون .

وفي الصباح وجه سؤاله مثلها لو الدته :

ماذا حل بالصغيرات ! ؟

قالت له أمه بحنان :

أسأل يابني أباك مساء

أنتظر عودة والده حتي المساء ، ولهذا تعلق بملابسه الملتخة بالجص
ووضع أمامه الابريق .

أبدأ يا أبي من نوات العيون المفتوحة .

(ها فان والدة الصغيرات صعدت سطح بين الذئب و أخذت تعدو ، فاطلق

الذئب مرخة ، من ذا ينير الغبار ، ويملا صحنوني ومواعيني ترابا ؟ قالت ؟

أنا الانى ، لي عينا مفتوحتان من أكل صغيرتي ، من أكل قررة عيني ، ليدخل
معنى العراك ..) لايزال يتذكر اليوم الذي حل في البيت وفي وقت متأخر من
الليل حشد من الناس ، ما كان يدرك معنى السقوط من على (الاسكلة) وماذا
يعني الموت ، وحين لم ير والده عدة أيام تعود على تصرف سيء حيث كان
يعاند من كل شيء ويتمرغ في التراب .

وقد مروا من باب الحديقة الواقعة خلف البيت كشبهين . كان سالار منزعا
لجوجا وقد شحب وجه والدته ، وبدت أثار الصابون بين أظابعها وراحة يدها ،
وأخذا يتخبطان (العب مع شيلان ، وأسحب سيارتي بحبل ، فلتضع هي دميتها
فوقها. توت .. توت .. توت .. أنتبهي يا شيلان لئلا تقع) .

وتوقفا أمام مخزن .. أحس سالار وتحولت البشاشة الى حركة صافية ،
وقد أخطأ صوته بشدو طائر :

- هل تشتريين لي يا أماه السيارة الصفراء ؟

- على عيني الان ساشترىها .

أشرق محياه كعملة جديدة ، وبعد برهة سألها :

- لماذا لم تشتري لي مع دمية سالار ؟

- أبني أنت أكبر منها ونحن لسنا متمكنين ، فان والدك المرحوم لم يترك

لنا شيئا من بعده .

لقد تضاعفت معاناة والام والدته وأستمر لمكانها تتحدث مع انسان كبير .

.. أبني العزيز من أين لى الغاوس ؟ فتحولت الحياة الى الزرنيخ ، والمغلاء
مستمر يكثر كالذئب عن أسنانه ، والسماء لاتمطر لمنا برغلا .

واو أن سالار لم ينبس ببنت شغة ، ملكن أقوال والدته بدت في أعماقه على
هيئة صدا وتنين مخيف جمعا شوقه ورغبته في الاطار الزجاجي للمخزن .
(في الليالي أربط حبل السيارة باصبعي ، وحين يئتي اللص ، أتيقظ بهدوء
وأنبه والمدتي و شيلان) .

وقد تلبدت السماء بقطع غيوم داكنة ، وكنت أشجار الشارع خضراء متألقة
(غلاماذا يسرقون سيارتي ودمية شيلان ؟)

وقد أبيض وجهه (لماذا لا يشترون الاشياء الجديدة لاطفالهم ؟) وقد كان
بابهم مفتوحا على مصراعيه ، لكن سالار أغلق الباب بقوة لمتركض شيلان
مسرعة وتتعجب من رؤية سيارتي لقد خاب ظنه ، أندفع نحو الداخل لم تلاحظ
والدته هذا المظهر .

- لم تنتهدين هكذا يابنتي ؟!

- أمي ذلك الولد ، الولد ، الولد ذو الرأس الكبير من تلك الجهة .

- نـي

أختطف مني الدمية .

وقد جاء سالار بكل تؤدة السيارة ووضعها أمام شيلان ، وكنت هي عن
النشيج .لاداعي لمبكاء يا شيلان ، كلانا نلعب بسيارتي هذه ، أشرق وجه
شيلان ، وأخذت تمسح عينيها باهداب ثوبها . كانت أمهما تدهن يديها بدهن
الطبخ أمام المرأة المعكرة،و مسحت عن عينيها دمعتين حبيستين، وقد تألق
تلك الليلة القمر متأخرا،وكان الليل دانتिला أسود حين طار النوم من عيني
سالار،أسترق السمع للصوص والاشرار،ولكن لم يسمع شيئا عدا أنفاس والدته
وأحيانا أنفاس شيلان أغمض عينيها وأحتضن سيارته بكل قوة .

سویعات من مذكرات غریب

عبدالله صابر

ترجمة: جلیل محمد شریف

تسرب مستطيل ضوئي من فجوة الباب الى داخل غرفتي واندفع نحو زاوية الحائط القريبة من قدمي لتنقسم الى قسمين ، كنت احس بكأبة وارهاق كبيرين ، شبكت اصابع يدي واسندت بها راسي وتمددت على سريري ممعنا النظر في المستطيل الضوئي ، عودت نفسي منذ زمن بعيد على الاعتكاف في غرفتي والتمدد ، ولم يكن هذا الامر يعود الى جمال الغرفة او حسن تأثيثها ، بل على العكس من ذلك فانها ضيقة جدا وبالكاد تسع سريري وحقية ملابس وحاجياتي ، حتى انني عندما كنت ادخلها اخلع حذائي على عتبتها واقفز راسا الى سريري ، ومما يزيدها كآبة ارتفاع اسوار البنايات المحيطة بها وحجزها اشعة الشمس عنها الا للحظات قصيرة عصر كل يوم ، وبسبب انعدام اشعة الشمس والرطوبة والروائح المنبعثة من حذائي وجواربي كنت تشم رائحة نتنه حال دخولك اليها ، اما انا فان الالفة والعيش فيها ، ملأت انفي بالرائحة فلم اعد احس بها ولكن كان على زواري القليلين ان يحجزوا انوفهم بمنديل قبل ولوجهم الغرفة ، ورغم هذا فلو تركني العدد القليل المتبقي من الاصدقاء وشأني لكن لازمت غرفتي دون ان اغادرها ولو لمرة واحدة في الاسبوع اذ اين اذهب ؟ وهل بقي في هذه المدينة الكبيرة من الجأ اليه وانس به ؟

عصر هذا اليوم و كعادتي اليوم كنت متمددا على سريري محدقا في المستطيل الضوئي ، على امتداد ذلك المستطيل كان صف طويل من النمل يسحبون جسما ما ، متدافعين ، مقربين رؤوسهم الصغيرة من بعضهم وكتهم يهمسون بسر يهمهم ، ثم كانت الرؤوس تفترق بعد ذلك ليذهب كل في سبيل ، قسم الى الداخل مع المستطيل الضوئي ، وقسم الى الخارج ، احيانا كنت نملا قليلة تضل عن سبيلها فتبحث ما حولها يمنة ويسرة وتدور حول نفسها الى ان تجد الصف مرة اخرى وتتضم الى رفيقتها في سحب ذلك الجسم .

كنت احاول ان اعرف كنه الجسم الذي يسحبه التمل ولكنني لم اكن اقوى على رفع راسي والنظر، جل ما كنت استطيع القيام به هو ان اميل برقبتي نحوها وارصدها بتأمل .

في طريق صف النمل كان قليل من الماء يبيلل ارض الغرفة ، فكانت النمل و عندما تصل الى الماء تشكل قوسا حولها وبعد الابتعاد عنها يعود الصف مرة اخرى الى الانتظام .

بدأت بقعة الماء تكبر رويدا لتحتل ارضية الغرفة وترتفع بعد ذلك لتصل الى سريري ، ولم يتوقف ارتفاع الماء عند هذا الحد ، بل كان اخذا في الازدياد والارتفاع الى ان احتت الغرفة بالكامل و غمرتني ، كنت احس وكأني في قاع بحر بلا قرار والامواج تتقاذفي ، فتعلو بي احيانا بحيث تكاد يداي تلامس السماء ، ثم تعودو تهبط بي حينما اخر الى القاع ، كانت الامواج تزداد قوة وارتفاعا وتتدافع الواحدة اثر الاخرى كما لو انها تطار بعضها البعض ، وعندما تتلاطم يرتفع منها زبد ابيض لتمتزج بمياه البحر الزرقاء وكأنها اصيبت بالصرع .

اما اكثر ما كان يثير استغرابي هو انني استطيع تمييز كل شيء بوضوح رغم كوني غارقا في اعماق هذا البحر الصاخب ، وفي الحقيقة ، كنت عينا من دون اعضاء جسمي كلها قادرتان على العمل ، اما باقي اعضائي فكانت وكأنها صبت في قالب حديدي ضيق ، اذ لم اكن اتمكن رغم كل محاولاتي من تحريك اطرافي ، اردت ان اصرخ لعل احدا يغيثني ، الا ان صوتي كان يختنق في حلقي ، كما اني وفي اعماقي كنت اسخر من نفسي ومن محاولاتي ، اذ من سيتجرا على الخوض في هذا البحر الهائج نجدتي او انقاذي .

مع محاولات تحريك الاطراف والصراخ ، قحت عينا ، لا زلت في عرقي ، لكن يداي اصيبتا بالخدر ورقبتي مالت على حديد السرير متشنجا وسيل من عرق بارد يتصبب من جبيني منحدر الى صدري عبر وجهي ورقبتي .

احسست بحر كة بسيطة في جسدي ، كان الظلام يخيم على الغرفة حتى لم يبق فيها اي اثر لضوء ، مهما كان لا زال مبكرا الا انني مددن ساقي ودفعت باب الغرفة بابهام قدمي الايسر وانزلت تحت الغطاء .

ابوجاسم
فرهاد بيربال
ترجمة: مكرم رشيد الطالباني

كان هناك استاذ جامعي يسكن جنبنا في شقة مؤجرة، كان كلما يأتيه الغائط، كان يقضي حاجته فوق صفحات إحدى الصحف ومن ثم يلفها ويرميها من نافذة شقته.

كان عبد علوان محطة عربياً، يطلقون عليه (أبو جاسم)، من سكنة مدينة الديوانية، وقد قدم منذ اسابيع قليلة من جنوب بغداد إلى هولير محاضراً في جامعة صلاح الدين - هولير (لا أتذكر في أي كلية). كان رجلاً مهندياً، طويل القامة أسمر، كان نظيفاً باستمرار. كنت أراه غالباً وهو يتأبط صحيفة واضعاً يده اليسرى في جيب بنطاله وهو يصعد درج المنزل الواقع جنبنا كي يصل إلى شقته في الطابق الثاني من العمارة الواقعة جنب منزلنا في حي طيراوة.

كان محمود المحكول العينين بائع اللبن قبالة منزلنا يقول غالباً لوالدي (مهما يكن فأن جاركم الأستاذ أبو جاسم هذا لهو من مخابرات الحكومة، لقد ارسله البعث إلى هولير لهدف معين). وكان كريم زبيب البقال الذي يسكن في طرفنا الأيسر قد أخبر أطفاله: (لا تقربوا منه إنه جاسوس). وكان البعض الآخر يقولون: (إنه سكير . إنه مدمن على شرب الخمر أربع وعشرين ساعة). وكانت جارتنا فاطمة حسن التي كانت تزور يومياً والدتي مرة واحدة على الأقل وتتفح معها الرز تقول: (يقول حسن لقد شاهدت هذا الأستاذ العربي تفوح من فمه رائحة ذلك الغائط (ويقصد أن رائحة الخمر تفوح من فمه).

وفي خضم هذه الأقاويل كانت والدتي - وخلافاً للجميع - تنظر بعين التقدير والإحترام إلى هذا الأستاذ العربي: كانت تقول: (أبو جاسم المسكين وحيد، إنه غريب ها هنا، مغلوب على أمره).

- ولكن ، لماذا يشرب كل هذا الخمر، كل هذا الخمر...؟!).

وكانت أمي ترد على شفيقة على هذا النحو:

- وماذا بشأن خدر خوخي زوج أمنة ذات المنقار الأحمر الذي يشرب الخمر بدوره؟ وعبيد الحمامجي زوج أختك عيشان ألا يشرب الخمر؟ شفيقة .. سأخبرك أمراً؟ تقول قريبتنا خجة سكني: (إن مغديد تقدم لها الخمر معظم الليالي).

- أيتها المرأة أسكتي!

- قسماً بالله.

لم تكن أُمِّي تعتبر شرب الخمر أمراً معيباً إلى هذه الدرجة لدى جارنا ذلك الأستاذ العربي، لأن والدي وقبل أن يحج بيت الله ويغدو حاجاً، كان بدوره يشرب الخمر.

كانت أُمِّي في معظم الأماسي وقبل أن يؤذن الملا غريب، كانت تملأ قدراً صغيراً بالدولمة والخضروات، وتضع قرصة خبز حارة فوقه (وكثيراً ما كانت ترسل له الكفتة) وتسلمه لأخي الصغير زياد:

- خذ إبني هذه القطع القليلة من الدولمة لأبو جاسم!

وكان زياد يعيد قدر الدولمة أو الكفتة للأيام الماضية لأُمِّي وفي الوقت عينه كان يسلم لأُمِّي قطعاً من الثياب في كيس من النايلون: كانت عبارة عن سترة وبنطال أو بضع فانيالات وقمصان، كان أبو جاسم قد أرسلها لتقوم أُمِّي بغسلها (وفي الحقيقة كانت أُمِّي ومنذ البداية قد أمرت أخي زياد أن يخبره إذا ما كان لديه ملابس وسخة ليرسلها كي تقوم بغسلها له، وكانت عند كل مرة تحمي فيها الماء تغسل له ملابسه وتعيدها له بواسطة أخي زياد.

أتذكر ليلة كنا نتابع الصور الدامية لحرب قاسمية صدام عند أول هجوم دموي لدولة العراق على إيران، كانت الحرب في بدايتها، وضعت أُمِّي إستكناً من الشاي أمام والدي وأردفت قائلة:

- بيربال. وا عجباً، حين أذهب لأقوم بتنظيف عتبة دارنا وأقوم بتنظيف الساقية أمام المنزل، هذه هي المرة الخامسة أو السادسة أجد فيها صحيفة مليئة بالغانط! أعاد والدي إستكان الشاي إلى موضعه وقال: ماذا؟!

- صحيفة ملفوفة. حين أفتحها. عيع ... أعذرني كون الزاد موضوع أمامك .. قطع من الغانط! ولكن كيف يضع الناس الغانط في صحيفة؟

- في الساقية أمام منزلنا؟

- بعض المرات .. هناك، ومرات أخرى عند عتبة دارنا، ومرات أخرى في الطرف الآخر من ساقيتنا. إنها قدره وتفوح منها الرائحة النتنة.

وكانت جارتنا فاطمة حسن قد أخبرت الأمر نفسه: (كل يوم ألتقط تلك الصحيفة المليئة بالغانط لأدسها في المزبلة).

وكانت كنانز زوجة كريم الحداد تدمدم: (كل يوم ألتقط تلك الصحيفة القذرة الملفوفة المليئة بالغانط لأدسها في المزبلة).

وكانت العمه بهيجة زوجة عبدالله الأبله الخياط، التي أجرت شقتها لذلك الأستاذ العربي الوحيد والتي كان منزلها تحت الشقة عينها، كانت تخبر أمي يومياً وتقول:

- (لقد أنهكتني الرائحة النتنة).

لم يكن أحد ليدري من أين يأتي هذا الغائط الموضوع في الصحيفة؟ لم يكن أحد ليدري من أين يتم رمي هذه الصحيفة الملفوفة المليئة بالغانط مرة أمام باب منزلنا ومرات أخرى أمام منزل العمه بهيجة، ومرات أخرى أمام باب منزل السيدة كولناز، ومرات أخرى يتم رميها في الطرف الآخر من الرصيف الواقع بين منزلنا ومنزل الخالة شفيقة.

كان أبو جاسم أستاذ الجامعة قد حل حديثاً في حيننا وقام بتأجير تلك الشقة الواقعة فوق منزل العمه بهيجة زوجة عبدالله الأبله، وكان يكرر تلك الحادثة يومياً ثلاث أو أربع مرات لعدة اسابيع، ولم يكن ليدور في خلد أحد أنه من يقوم بذلك العمل ويملاً الزقاق بالقذارة والروائح الكريهة، وفي الحقيقة لم يكن يدور في خلد أحد (ولم يكن يعتقد أصلاً) أن عملاً من هذا النوع يبدر منه!

وفي ظهيرة حارة، دلف أخي زياد مسرعاً إلى المنزل صارخاً: (أماه، أماه).

قالت أمي: ماذا بك إبني، لقد أروعبتني. ماذا حدث؟

قال زياد: لقد شاهدت بأم عيني. لقد قام أبو جاسم برمي صحيفة ملفوفة من نافذة الطابق الثاني من شقته على الرصيف الواقع أمام منزل السيدة كولناز.

- صه أيها الشقي!

قال أخي زياد: قسماً بكتاب الله. لقد شاهدته بأم عيني. إن لم تصدقوا هلموا لتروا!

خرجت أمي ورافقتها بدوري. وأدركنا حقيقة قول أخي زياد.

رغم أن أمي لم تكن لتعتقد أن يكون كلام أخي زياد حقيقياً وأن يبدر هذا العمل من أستاذ مهندم وذات مظهر نظيف كهذا، وبالرغم من ذلك فقد بادرت في اليوم نفسه بإخبار كافة نساء الحي بذلك وكانت تردد مع نفسها: (لن أعتقد أبداً أن يكون هو الفاعل).

ومن تلك اللحظة فصاعداً أعتقد أن كافة نساء الحي قد نصحن أطفالهن (وبأنفسهن) أن يراقبوا أبو جاسم: ليعرفوا هل صحيح أن أبو جاسم الأستاذ الجامعي العربي غير المتزوج من يقوم بتلك الفعلة أم لا؟! وفي عصر أحد الايام دخل ايسو ابن خليفة سعو مسرعاً إلى منزلنا صارخاً: (أيتها العمه همين .. أيتها العمه همين).

قالت أمي: ماذا بك. لقد أرعبتني. ماذا حدث؟ قال ايسو: لقد شاهدت بأمر عيني. لقد قام أبو جاسم برمي صحيفة ملفوفة فوق الرصيف الواقع أمام منزل الخالة شفيقة. - صه أيها الشقي !

قال ايسو ابن العم خليفة سعو: قسماً بكتاب الله. لقد شاهدته بأمر عيني. إن لم تصدقوا هلموا لتروا.

خرجت أمي ورافقتها بدوري. وأدركنا مرة أخرى حقيقة الموضوع. كانت أمي تقوم في معظم الأماسي، وقبل أن يؤذن الملا غريب، بملء قدر صغير بالدولمة والخضراوات، وتضع قرصة خبز حارة فوقه له (وكانت تضع غالباً التيكمة والكفتة أيضاً) وتسلمه لأخي الصغير زياد وتقول: - خذ إبني هذه القطع من الدولمة لأبو جاسم !

وكان أخي زياد يعيد كل مرة قدر الدولمة أو قدر كفتة الايام الماضية لأمي وكان يسلمها في الوقت عينه كيساً من النايلون فيه عدد من قطع الملابس: سترة وبنطال أو عدد من القانيلات والقمصان. كان أبو جاسم قد أرسلها كي تقوم أمي بغسلها له. وتطور الأمر إلى درجة أن أبو جاسم كان يقوم بإرسال سراويله الداخلية كي تقوم أمي بغسلها له، وكانت بدورها في كل مرة تحمي فيها الماء تقوم بانتظام بغسل ملابسه وإعادتها إليه بواسطة أخي زياد.

ومنذ أن أثبتت لأمي حقيقة ما رآه أخي زياد وإيسو ابن العم خليفة سعو فقد بدأت بنبذ أبو جاسم، ولم ترسل له قطعاً قدر الدولمة أو تغسل ملابسه. أخبرت أخي زياد قائلة: (إ خبره: لقد أنتهى الأمر).

فقد ظهر أبو جاسم العرب لكافة أبناء الحي على حقيقته من هو وما هي هويته! ولم يمض فترة حتى وضع أبو جاسم أغراضه في سيارة حمل وغادر حيناً إلى الأبد عائداً إلى بغداد.

٢٠٠٢

التفاحة التي بأكلها اتهمتني أمي

كازيوه صالح

ترجمة: احمد قادر سعيد

أنا هنا أقضي أوقاتي ، رغم أنني الآن اعتقد أن في زمن التكنولوجيا والتقدم هذا ، لم يعط أية فتاة قيمة لهذا الخوف الذي انتابني .
دون جزع أو جفول هن يمارسن رغباتهن ويتحدثن ويبلغن أمهاتهن، وهن يستمعن عما يقلن وبنهاية الشغف يعمن النظر إليهن.
إلا أنها لم تصدقني، بل قالت: ((في هذا الزمن المتقهقر، كيف استطعت أن تجسمي هذه.. ليس هناك ما يشبه الحالات السائدة هنا.. هنا من يخاف حتى من كلمة الخوف نفسها.

عقدت العزم لأجمع كلماتي وأقول: ((أين)) إلا أنها منعتني وقالت: ((هناك يقيسون قيمة الإنسان بما يفعله في الحال. هنالك آفاقه مقبوحة وهنا أبوابها مغلقة، ولن تعطي للتجارب والحياة سوى حكمة مثالية)) حاولت قليلاً أن لا أسأل عن " هنا " بل قررت مقارنته بالعبارات السايفة الباقية على الجدران. ولكن تدخلت بسرعة وقالت: " فلماذا تستمع الأمهات لتلك الأحاديث التي تحدث في الحالات الطارئة ولن يحاولن العدول عنها، يحسبن التجارب بحكمة الحياة حتى لو كانت فيها خسارة. لا تهم الأمهات كبح جماح ما يسمونها "الآن". فهن يقرأن المستقبل على المرأة الصافية، دون الاهتمام بالعبارات المصطنعة المرعبة.)) فزعي العبارة الأخيرة، رجفة باردة حاكت ظهري، حاولت نسيان حلم تلك الليلة، غير أنني عدت إلى حلم "هناك" يوم كنت طفلاً. الحلم الذي رأيته بعد انقضاء يومين على بلوغي، شاهدت فيه أنني ذهبت إلى الساحة الخلفية لمدرستنا. هناك نبتت شجرتان مشوكتان، وفضلات الإنسان والكلب كانت مبعثرة، الكلب كان موجوداً هناك منذ مدة طويلة. روّضه مدير المدرسة ليكون مراقباً على الطالبات، كي لا ينزل ذكر من السماء ويدخل المدرسة ويحاور الطالبات التي لم يسمح لهن المدير أن يلقي عليهن مدرس شاب، انه متيقظ ويمعن النظر إلى الجهات الأربعة.

فخوفاً من الكلب أو إحدى صديقتي، تعرق جسمي عرقاً بارداً. كنت في غاية الخوف من مصيبة ما يحدث جراء مجيئي أو تواجدي في هذا المكان. إن عدم التصديق بما أشكو منه ، وهي مشاهدة تنورتي الرمادية للتأكد من عدم

وجود بقع الدم عليها، سأصبح موضع السخرية أمام أنظارهن، وكنت على ثقة تامه أن جميع محاولاتي ستبوء بالفشل ، إذا علمن أنني جئت مخفياً إلى هذا المكان الذي تفصله من ساحة المدرسة جدار ارتفاعه أكثر من مترين، ولن يرى منه سوى الغمامة والكلب والأبيض القابع على الأرض . بدأت بالتضرع والدعاء من القلب، لا أدري ماذا أقول لو شاهدني وأنا أبحث عن تلك القطرات من الدم التي لطخت تنورتي . انتابني خوف آخر يفوق المخاوف السابقة، ماذا أقول له إذ لم يصدقني ، بأن أسباب وجود هناك مرتبطة بما أنوي البحث عنها، كم كان الوطن ثقيلاً عندما تجبرني للإتيان بأمي و يعكس صورتي امامها وأمام صديقتي. الخوف كان اكبرا حينما تستمع بعض الزميلات و خاصة اللاتي يغازلن المدرسين لحملهم على أن يعطوهن درجة أو درجتين زائدتين، ومن عاداتهن أن يكبرن الأحداث مرات و مرات.

فالمدرسون، مثل أمي، يختارون المراقبين، لمعرفة ما يحدث في المدرسة من مخالفات، ومدير المدرسة يحمل الأباء لزيارة الإدارة للاستفسار عن أية مخالفة قد تحدث في المدرسة أو لأي طالبة، مثلما كانت الأم تستفسر عن سبب تكسر قذح زجاجي صغير في البيت.

من لا يظن، أنه إذا ما بلغ والدي عما حدث لي. فأنه كأية اجراء تسلطية يجبرني على ترك الدراسة ويحرمني من مواصلتها، وثم الشتم والفرع أمام الزميلات لأعطلهن الذريعة كي تتهمني بالسفالة وعدم الأخلاق. فالخوف، احتضنتني مرة أخرى، دون معرفة سببه، وسكنت عيني دموعاً وذرفت الدموع على خدي مولدة ألماً وانتحلاً.

قررت البحث عن العلاج، نظرت إلى أشعة الشمس تضرعت إليها طالبة حدوث شئ ينسي الجميع ما طرأ على جسمي وحالتي. كم كان الاستماع صعباً على مخيلتي، والأصوات كلها ضد تصوراتي، فأحساسي دامت على تضرعاتها ودعائها، هاهي الشمس قد قبلت دعائي، ولكن شعرت أن عيباً كبيراً يداهمني ألا وهي إرسالها ولداً أسمر اللون، امتطى جواداً أبيضاً، قرب الفارس مني البداية، ليست بيده التي حملت عصا غليظة بنيه اللون وانما بيده الأخرى

مسحت دموعي، بدأت النظر إلى كل ما أراها حولي. مثل ما أذكره، من شبحة ومن جلده، أنه من جنس الذكر. فمراقبتي للجهات الأربع لم تعطيني الفرصة الكافية لأرى محياه ولون عينيه، غير أنه كجميع الرجال لديه وجه خشن ولسان خادع. فلا أعرف إن كان يحبني أم لا، وكل ما أريد منه الآن العمل على إنقاذي، فمسح دموعي هذه المرة أكثر عطفاً وحناناً من الحالة السابقة. أه لتلك الرجفة المؤلمة التي أتت على قلبي، تمنيت أن لا تحتضن مثلها على قلوب الآخرين، ازدادت خجلي حينما رأيت شبح والدي وقد يرتجل نحوي بخطى سريعة، تمنيت أن أصبح قطرة ماء تتبخر في لحظات أو أصير طائراً ليطير بجناحيه في عنان السماء..

لماذا لم أطيّر؟

لست الغمام، لأترك النظر إلى الشبح والدي. الفارس يصهو الحصان وحملني معه. ازدادت حينها نبضات قلبي وكلما اقترب منه كلما تزداد شعوري بما يسمونه اللذة.

وحينما نظرت إلى الجهة السفلى، رأيت أن والدي موجود في الساحة الخلفية للمدرسة، وهو يرفع سبابته مهدداً.

أذهلنتي تهديداته، فكنت تعلم أن الأب إذا ما هدد، ينفذ تهديداته. أرعشتني هذا الحدث الطارئ، مسبباً سقوطي رأساً على عقب، غير أنه لم يلتفت لما يجري في تلك اللحظة، بل مضى في طريقه، هنا أدركت أن ألم التخلي كبير جداً. وعندما نزلت علمت أن الذي هددني قبل برهة ليس هو والدي إنما مسند لأحد جدران المدرسة.

مرة أخرى رفع صوته، حملني هذا الصوت العالي إلى أحشاء تلك الجمل التي كنت خائفاً منها والتحدث عنها حتى في الصحراء القاحلة.

الجمل التي لا أستطيع فهم معانيها ومعرفتها قد برزت أمامي مهددة إفشاء الأسرار التي أنوي كبتها وعدم التحدث عنها. وهاهو الصوت مرة أخرى قهقهه بوجهي قهقهة عالية قال: " انك لست خائفة من يقظتك فقط، وانما تخافين من أحلامك أيضاً"

من شدة الخوف سكبت عيني دموعاً كثيرة، كنت أشعر أن من بين أحشاء رأسي نقرأ يتبخر منه حرارة رطبة. همست في نفسي: " لن أعرف إن كنت تحدثت عن حلم رأيتُه بنفسِي، وكيف علم هو وأضحكه بهذا الشكل المثير .. رفع الصوت أكثر من المرة السابقة، وقال: " إن الحالة التي تخافين منها، هي حالة طبيعية لعامة النساء، إلا أنك تعتبرينها نوعاً من الهتك". "أهي طبيعة، من طبيعة الأنثى؟ فلماذا إذن لم أرى ما حدث لي، أن يحدث لأمي وأختي رغم أنهما كبيرتا مني سناً ولو لمرة واحدة.

عندما كنت طفلاً، فتأكد أمي وتقول:

- لا تلجبي مع الأولاد، انها عار عليك وعيب كبير تعود إليك

- ما معنى العيب يا أمي

- إن الله عز وجل يدخلك النار".

فما الكلام بعد ذلك إذن؟ صهوت الحصان مع ذلك الشاب الوسيم. أتدري ماذا فعلنا؟ إن ما فعلناها فاق الحديث والمداعبة" ..

محي الضحك من الصوت هذه المرة، وقال بصوت يملأه الخوف والضعفينة كم كنت معتوها يا حالم الليل.. إنها حلم ليلي فقط فلنعتبر حلماً، فهناك أحلام كمداعباتنا تدخل دائرة الحقيقة، ولكننا نريد إخفاءها. فهناك أحلام تجهل أنت بما تدور منها من أحداث كثيرة. وهناك أمور عندك واضح وأنا أجهل ما يدور في خفاياها من أحداث. إن ما شاهدته في المستشفى فلن عينيك لا تراها أو تخطر ببالك. فأتا رأيت بأم عيني أن الفتاة البالغة من العمر "عشرين" عاماً والتي أصفرت وجهها من شدة الخجل وتجمعت حولها المرضى، أخبر الطبيب أمها بأنها حامل. كانت للحادثة وطنة أليمه على نفسها. إنها تخاف من العودة إلى البيت، وتقول هي والام للطبيب مستتجداً: " دخلت الحمام بعد أشقائي، وبدأت الغسل على نفس المكان الذي هم غسلوا عليه".

ارتفعت نواح الأم، غير أن الفتاة أصرت على كلامها وقالت: إنما أحس به الآن، حدث فيما كنت نائماً.. " إنها تشبه ما رأيتُه في حلمي السابقة. إلى هذه اللحظة لم أبوح بكلمة واحدة. والآن أشعر بضيق في التنفس. رغم كوني آنذاك

طفلة صغيرة وبعيدة عن تلك المسائل. ألا أني أدركت أن من يؤدي مثل هذه الأعمال إنما تختل شرفها، أو ترتكب جريمة كبيرة.

هنا ألتفت والدتي إلى الحشد الذي يحتضن الفتاة وقالت: "وجود الفتاة بلاء تسلط على عائلتها، فما على أولياء أمورهن ألا أن يتزوجن قبل بلوغهن الثانية عشرة من عمرها".

حسبت أن عمري في هذه اللحظة ينقصه أربعة أشهر. وظننت أن بعد هذه الشهور الأربعة، تتزوجني عائلتي من أحد شئت أم أبيت، وتضع شريط الزواج حول عنقي، لم أعرف معنى هذا الشريط أول الأمر، وأتصور أنه كمثل تلك الشريط الذي يضعونها حول عنق المعزى. التي يقصرون عالمها إلى أقل من متر واحد فقط. هنا استدارت والدتي وقالت:

-إنها نتيجة الثقة بالرجال.

ما أدركت في هذا الوقت معنى كلامها وقصدها، أمعنت نظراتها الى وجهي مكملاً حديثها: " إنها ربما لعبت في المدرسة مع الأولاد. أو هي نتيجة حماقه أرتكبها" ..

تذكرت ذلك الحديث الذي قالت لي والدتي: ولتكوني حذرة في تعاملك مع الذكور، حتى لو كان الذكر أبوك. لا تلتفت إلى أحد وأنت سائرة في الطريق، لا تعطي الأجوبة لمن كانوا في السيارة، لا تقربي منه كي لا يخطفك ويختصبك في النهاية. فلا تجلوبي أحداً أبداً وهو يسألك عن مكان لا يعرفه. واقراي كل ليلة "آية الكرسي" أظن أنك لا تقرأيها رغم أني علمتك منذ ما يقارب الثلاثة سنوات. وتحلم كل ليلة بالعفاريت والرجال.

فمنذ ذلك الوقت، بلورت في نفسي شعور الكراهية من جنس الذكر. وفي المدرسة لن أعير دروسهم اهتماماتي، قررت الغياب في حصص بعضهم. رغم إن المدير لن يعطي الدروس إلا للذين تقدموا في السن، إلا إن كراهيتي تزداد عليهم كلما أتذكر نواياهم وما يدور في مخيلتهم حسب التصورات التي جناها والدتي عنهم، قررت أن أكره أخي شوان، مع أنه وأصدقائه مكان تقدير واحترام المدير وأصدقاهم.

ما هذه القطرات من الدم، وأين تسربت. أليست شرفي التي ضاعتها.. قلت ونفسي مستائة من تلك الحالة: " هي نفسها رأيتها في المستشفى. خلال ليل أربع متواليه، أنا أنهض على الفراش ولمرات عديدة، أغسل ملابسي الداخلية، لأنظفها من هذه الدم الملعونة، وألبسها وهي رطبة، لأدري الصلوات في أوقاتها، هاهي الآن بعد انقضاء منتها تخلصت منها " ولكن بعد ذلك..ماذا بعد.. انك لازلت مذنبه بأكل التفاحة أتدري لماذا؟

" في الحقيقة، كنت أتصور، إن لديها أشياء تفوقني وتفوق النساء الأخريات. ولكن بعدما نهد صدري قليلاً، أرى أنها تنظر إلي بطرفة عين وتقول: " صرت امرأة بالغة، ألا تزين نهديك وصدرك.. ولا زلت تتلكاء من مساعدتي واداء أعمال البيت وتنظيفه لازلت حائراً أمام الأسئلة الكثيرة المحيرة التي لم ألق ولو جواباً واحداً منها. أظن إن ما أراه طبيعياً لغيري فقط لأن حينما أقف أمام المرأة أسمع كلاماً يقول: " وجدت قلبك " حينها الخجل تداهمني برهة. ولكن كلما تحين الفرصة، أضع المرأة الصغيرة على الأرض وأمعن من خلالها إلى وجهي وأبحث من خلالها عن الفرق بيني وبين اخوتي، لأراها، كي تكشف ذلك السر الذي يميز والدتي بيني وبين أخي شوان ومقدار حبها له وعدم الاكتراث بما يصيبني من مشاكل وعدم الاستقرار. والآن أشعر بأنني غريبة في هذا المحيط. مرات عديدة وقبل أن أبلغ سن الخامسة عشرة، توجهت عدة أسئلة إلى بنات عمتي وأقول لهن: متى تزوجت والدتي؟ ومتى ولدت؟ كنت أبحث في الزمن الضائع الذي يشدني إليه، لأنني لا أعتبر صاحباً لأحد ولا لذلك الزمن.. أنت مجرمة أمام نفسك، لأن مخاوفك جعلت منك ترك زميلاتك وعدم الاختلاط معهن، لتستطيع التعرف على ما تحدث عليك من مثل هذه التغيرات. ولن تصبحي عبداً للخوف كما كنت فيه الآن "

كنت مخاوفني بلغ حداً، أخاف من أن تتوجه الزميلات إلى بيتنا وبدأن يحدثن والدتي عما رأينها. كل ما أتذكر، أنني أعطي جميع النقود التي يعطيني في البيت ويلفخن الأكاذيب أمامها ويحرصن حتى نشتمني والضرب بعدها. قررت الابتعاد عن الصديقات، وكنت محيراً الآن، كيف عرفتنى ما حدث لي.. والحيرة

تزداد عجبها حينما علمت أنك تعرفين ما في باطني.
- فإذا جرات أن تبوح بحقيقة أن أكل التفاحة ليست جريمة.. بل وسيلة لمعرفة الوصول إلى الأشياء. عندئذ فلا تخفى عليك شيء.

"قررت نزع ملابس الخوف الآن، ثم العيش لنفسي وليس لغيري هنا أواجه الطبيعة، وليست طبيعتي وحدي، ولكي أطارد تلك المخاوف هاهي الآن أنزع أمام المرأة ملابسها كلها وأنظر إلى منظري كي تتبدد جفولي. أرتفع صوته هذه المرة وقالت:

-أيتها المغفلة، أكنت جريئة إلى هذا الحد؟ سأهديك هدية لائقة، فمادام قمت بمراجعة نفسك، فراجعي الزمن، فأنظري إلى المرأة:
-المرأة.. هل تحدثت عن المرأة.

"كنت، حسب أقاويل والدتي، أخاف حتى من كلمة المرأة بدأت النظر إلى أطراف الأربعة. الكرسي الذي تجلس عليه والدتي قد تكسرت وتعفنت إحدى ساقيها، فصفوف الليفات التي حاكتها وعلقها على الأشرطة، فإنها والأشرطة قد تلاشت من الوجود. بيت في غاية الهدوء، كأنه لا وجود له قبل أكثر من قرن، غرقتي ظهرت أحجارها وابريق الشاي ومقود الشبابيك، قد نخرت، وتتساقط على الأرض قطعاً متناثرة".

رفعت قطعة المرأة، ونظرت إلى ملامحي، حينذاك رأيت خصلتين بيضاوين وقد امتدتا على صدري. ان الجفول من منظري جعلني أشعر بالندم، حاولت إخفاء الخصلتين تحت قلاذتي.

فمره أخرى، فالصوت الغريب، صاح بقهقهة عالية وقالت:
- أنت تكذابين حتى مع نفسك، فأنظر أنك تحاولين إخفاء الماضي من وراء قلاذتك

- من أنت.. ألسنت ساحراً، وأنت على علم بالأشياء كلها.
- أنا صوت- هناك - هناك باطنك، الباطن الذي تتحدثين عنه بجمل براقه، الباطن الذي جعل منك أن تتحدث حتى مع ظلك. حملني خطواتي كي أصل إلى قرب النافذة، هنا نظرت إلى الخارج فلا أذكر كم من الوقت وأنا مستمر في هذا

النظر. الذي بقي في ذاكرتي مجموعة من القبور في سفح التل مقابل بيتنا المهذمة، وهي لازالت تراقبني بنظرها الثاقبة كانت الأزهار والأعشاب قد حجبنا القبور. إنها التفت نظرها، ورأيت أقراص لعبة الدومينو وقد تبعثرت بين الواديان الصغيران التي تحولتا الآن إلى مملكة الموتى، فليست الأزهار والأعشاب كمثلي الأيام السابقة.. فالأموات تزداد أعدادها وتحل محل الأعشاب والزهور.. وهاتان ضريحتان قريبتان. من يظن أنهما كان يحبان إحداهما الأخرى في حياتهما. فهناك قبر رمادي وسطهما. أظن أن لونه كان أبيضاً ولكن قدمه غير لونه وصار رمادياً، انه أمام نافذة بيتنا وقد كتب على حجارته اسم أمي .

آيار - ١٩٩٨

آخر پيشمرگه
كامران موكري
ترجمة: حسن جاف

كان العطش مثل الشوك يجز في حناجر الجنود لم يكن أحداً يجرؤ على الإقتراب من العين التي كانت تلمع في ظل شجرة بلوط ، كان الرعب في العيون ، والرجفة في اليدين وكان الجنود مثبتون بظهر الرابية وكان صوت الأوراق يزرع الرجفة في أعماق الجنود ويشعل نيران الرعب في شجر القلب، اضاعت نحلة الطريق وكانت تسبب إرتجاف أصبع الجندي الموضوع على الصلاح .

وفجأة كان خيرى يصرخ ... ماء ... ماء .. وكان يزحف نحو العين الباردة ولكن وفي قوم الرشفة ، الثانية كانت دماؤه تختلط بالمياه الصافية للعحين وتحول ماءه الى لون داكن، وكان الجنود يقولون وهم يضغطون أسناتهم من الغيظ لماذا يقتلون العطشى ! لم لا يدعوننا نشرب رشفة من الماء ، لماذا لا يوجد ولو ذرة من العطف في قلوبهم ..

حتى الطيور لا يقتله الصياد أثناء شربها الماء اذا كان طيب القلب .
أيها الكورد لما أنتم قساة الى هذه الدرجة

صدق الجنود الترك فهم لم يكونوا مثل هؤلاء الكورد القساة لأنهم كانوا يشقون بطون النساء الكورد فقط ويقتلون الأطفال ، أنهم لم يكونوا يقتلون الكرد أثناء شرب الماء بل قبل ذلك .

بدء الفجر وانتشر ضياء الشمس حتى سطوح الجبال وتم رشق الشجر المطل على العين بسيل من اطلاق نار .

الجنود الذين كثوا نشطاء وماهرين في رمي الحرب ، لم يكونوا يجرؤن عن الحركة حتى بعد الشروق بيدوا انهم كثوا يعرفون ان النساء والأطفال غير موجودين في تلك المنطقة حتى يظهروا لهم كيف يتقلونهم بالحرب لأن صدور رجال الجبال قاسية لا تخترقه الحراب جيداً مثل صدور النساء والأطفال الناعمة.

وفي الظهيرة تأكدوا بأنه لا يوجد أي ثائر في تلك المنطقة وأنسحبوا نحو مقع آخر بعيد ، وفجأة هاجموا القرية ، ولكنهم وعندما اقتربوا من القرية صبت

عليهم نيران البنادق من الجبال انسحب الجيش المهاجم وعاد الجنود مرة أخرى الى مواقعهم وكان العين يلمع والعطش مثل الجبل يقطع عليهم الطريق وفجر البأس دموع الكثيرين منهم ، ولكن ماذا يفعلوا بالدموع فهي مألحة ولا يمكنها أن تروي العطاشى ، حوالي المساء جاء جيش آخر لنجدة الجيش المهزوم ، وبدأ الهجوم مرة أخرى ، ثم قصف القرية بالمدافع ، ولكن لم يكن هناك اطلاق نار هذه المرة من قبل الثوار ، دخل الجيش القرية المحترقة وكانت القرية تتألف من عشرين داراً ولم يكن يسمع فيها سوى صوت احتراق الأثاث والمواد وإنهيار المباني ، بعد برهة صرخ جندي قريب من لهيب النار وأطلق رصاصة على شيء أمامه صارخاً انجدوني ،

وعندما نظروا ناحيته وجدوا عجوزة تصرخ (الموت للأعداء عاش الكورد و كوردستان) وكان الجندي قد اصطدم بتلك المرأة .

سألوها ماذا تفعلين في هذه القرية قالت العجوز أنا آخر ثيشمرطة ، ولم استطع ان أعمل شيئاً ضدكم سوى الجلوس هنا ، عسى ولعل يصطدم بي احد جنودكم ويسقط في هذا النار وأرى بأمر عيني آخر قتيل في هجومكم هذا وسألوها وأين الثوار من أهالي هذه القرية ؟

قالت بعض النساء والأطفال هي في تلك النار ، أما ثوارنا فلا يستطيع أعينكم ان يرى أستشهادهم ... أو جرحهم ... ولا يصل ايديكم اليهم .

بعد فترة كانت المرأة العجوز مثل قطعة من النفايات بيد جندي ، وأخيراً دفعها الجندي الشجاع الى داخل لهب النيران .

الخال حمه
كاوس قفطان
ترجمة: حسن جاف

كنت ذاهباً الى قرية في هذه الأطراف لزيارة أحد معارفي ، لم يكن بعيداً لذا ذهبت ماشياً ، كنت أضع يدي على ركبتي منحنيًا وأنى أصعد مرتفعاً من الأرض مقطع الأنفاس لذا وعندما وصلت الى منطقة ضليلة مددت ساقى مواجهاً الهواء العليل أملاً أن ينعشني ، وكان النسيم وصوت أوراق الأشجار المحيطة بي تضيء على روحي الإنتعاش .

في الجانب الآخر كانت القرية التي كنت أروم الذهاب اليها وكأته معلق بجانب جبل وحواليه الطيور تغرد وتذهب وتجيء بكل حرية دون أن يعترضها أي شيء ، أن روايتي لهم أثار في ذهني هذا السؤال :

لم ليس الإنسان حراً كهؤلاء كي يعيش بسعادة كنت أريد ان أرد على نفسي ولكني سمعت أنفاساً مقطعة لقروي وهو يجلس الى جانبي ، وبعد تبادل التحيات نظرت اليه كان يتزدي سروالاً قديماً مهترناً وزوج من الكلاش وغطاء للرأس قذراً وطاقيه تحول لونها الى الأسود بفعل القذارة والعرق ، كان يعمل على ظهره قليلاً من الخبز الجاف داخل كيس فأخرج قليلاً منها وبدأ بالأكل وكان ينظر إلي خفية كان شاباً يبدو عليه الذكاء ، وبعد أن نظر الي قليلاً سألتني :

- إلى أين أنت ذاهب

وعندما قلت له الى القرية الفلانية ، فأرني الطريق قال لي بكل برود لسنا معتادين عليها في قرانا

-أنا أيضاً من أهالي تلك القرية

وقع الرزمة التي على الأرض ، وعندما سألته ماذا يوجد فيها، أخرج غليونه ثم وضع بها على الأرض كي يخرج منها التبخ القديم ، وبعد ذلك ملاًها بتبخ جديد وأشعلها ثم أخذ نفساً عميقاً منها ، وبعدها نظر الي والدخان يخرج من فمه :

- فيها كفن

عدلت حلبتي وسألت

- كفن؟ لم هل مات أحد .

- كلا لم يمت أحد .

سألته مندهشاً وأنا أنظر اليه
- اذا لم يموت احد فلمن هذا الكفن
- لرجل هي

كان يجيبني بهذه الاجابات وهو ينظر الي مبتسماً ، ولم اكن اعرف هل هذا
مزاح أم انه يضحك علي .
وعندما رأني منزعاً وغازباً أسرع قائلاً
- انه لرجل كبير السن ومريض ، ذهبت واشتريت له كفنأ قبل أن يموت وليس
له كفن .

ولكن لم افهم مرامه وبقيت مندهشاً لذا قال
- لا تتعجب ... فالأمر لا يستحق ... لأننا ليسش شيوخنا بل حتى شباننا لا يشفى
اذا مرض ... اذ ليس عندنا مستشفى ، ولا طبيب ، ولا أدوية لذا عندما
نمرض نسرع بشراء الكفن كي لا نموت بدون كفن .
وسألت مدهوشاً !

- ألا يستطيعون ايصال مرضاكم الى المدينة لمعالجتهم .
استمعت الالبتسامه وظننت انه يضحك على عقلي ، وبعد أن نظر الي قليلاً
وقال:

- حتى لو كان لدينا نقوداً للذهاب الى الطبيب ، فلا يمكن لمرضانا ان يتحملوا
كل هذا الطريق على ظهر الحيوانات ، إضافة الى انه ليس هناك مكان
للمرضى في المستشفى ، لذا لا يستحق الأمر هذا العناء واتسمت على وجهه
ضحكة هزير وقال:

ان الماء بسيطاً يسبب لدينا الموت ، وعندما يلتهب عندنا الزائدة الدودية فأننا
نضع فوقه قليلاً من الماء الحار حتى يسلم المريض الروح .

وهنا لم استطع ان أضبط نفسي وقلت غازباً

- ان الحرارة يزيده الماء والتهاباً.

قال نحن لا ننتهم اننا نضع فوق مكان الألم شيئاً حاراً حتى لو أدى الأمر الى
وفاة المريض .

قال هذا ومد يده وحمل رزمته و وضعه على كتفه وبدأنا نمشي معاً ،
وعندما رأني أنظر اليه مندهشاً قال لي بلسان رجل يثق بنفسه :

- انت مندهش كيف ان قروي مثلي يتحدث بهذه الصورة وبكلام منطقي ، كنت
تتوقع مني كلاماً غير مترابط ولا منطقي .

أردت أن اجيبه ولكنه لم يترك لي مجالاً وقال:

- أعرف ماذا تريد أن تقول ، نحن أميون ، ولكن يجب أن تدرك شيئاً وهو انك
اذا عشت لمدة سنة واحدة هذه الحياة التي نحياها فتتعلم أشياء كثيرة ثم خفض
رأسه وقال :

- لا أقول اننا نعرف ونفهم ، ليس كذلك بل عندنا الكثير ممن لا يعرفون واخفى
جهلهم وتخلفهم الحياة عنهم ، ولكن عندنا من يعرفون ، ولكن هذا ليس كافياً
ولكنه جيد ، فالمصباح مهما كان نوره خافتاً فإنه ينشر الضياء .

وهكذا كان صديقي القروي يتحدث الي إلى أن اقتربنا من القرية ، قال:

- ان من اشتريت له هذا الكفن هو الخال حمه ، رجل ذكي ويعرف الكثير ولكنه
لا أمل له لذا فأتني احبه وصلنا القرية ، قرية هادئة لا تسمع فيها سوى صوت
وحفيف اوراق الشجر ونباح الكلاب وأصوات الأغنام والماعز ، كانت الدنيا قد
اظلمت وكان القمر يزحف لصبت عبر النجوم ، قال لي صاحبي :

- ألا ترغب في رؤية الخال حمه قبل ان تذهب الى بيت صديقك .

كنت احب أن ازور الرجل الذي تم شراء كفن له قبل موته ، ذهبت الى بيت
الخال حمه الذي كان عبارة عن غرفة وحاجز يقسم الغرفة الى قسمين ، قسم
للحيوانات وقسم لهم ، رأيت رجلاً وهو الخال حمه متمدداً في فراش قدر تحيطه
لحاف محترق بحيث كانت ركبته تظهر من خلال ثقبها اما الفراش الذي كان
ينام عليه فكان خفيفاً الى درجة ظننته قطعة قماش تحته والمخدة كانت فيها
منطقة كالحفرة يخفي رأس الخال حمه وخرج من كل جوانبه المواد التي كانت
مصنوعة منها أصلاً كريش الحيوانات وغير ذلك ، وكان هناك مصباح ينفث
دخاناً اسوداً ويشع ضياءً أصفرأ ينعكس على وجه الخال حمه .

كان وجه الخال حمه مجعداً ، ولكن كان لايبدوا عليه الكبر كان جسم اصفراً ونحيفاً ، الاذن عينيه ورغم انها كانت خافتة الا وانه وما ان سمع بأسمي وعرف انني اتيت لزيارته حتى شع منها ضياء الأمل بالحياة رغم انه كان يحب الموت أكثر من الحياة ، ولكن كان لديه أمل لم أعرف ماهيته .

أوقب ضوء المصباح عينيه لذا فإنه كان يغلقهما وكانت يديه وأصابعه خشناً وفيه الكثير من التمزق مما يدل على أنه مارس كثيراً أعمال الفلاحة والحراثة ، وكان نحيفاً الى درجة يبين بأن المرض لم يكن السبب في نحاقته بل الجوع أيضاً .

قال صاحبي :

- خال حمه هذا ضيف جاء لزيارة العم رسول إلا أنه أثر أن يأتي لزيارتك والسؤال عنك فتح عينيه وقال بصوت خافت .
- جاء على العين .

نظرت اليه رأيته ينظر فيما حوله وكأنه يبحث عن شيء ولا يجده ، وعندما أطل البحث والنظر خفض بصره وجرى الدمع في عينيه .
لم استطع ان اصبر وسألت .

- لم تبكي ؟

قال صاحبي بصوت خافت وكأنه يريد أن لا يسمعه الخال حمه .

- انه يبحث عن ولديه يريد ان يراهما قبل أن يموت .

سألت متعجباً :

- إذا كانوا هنا فأبعثوا بمن يأتي بهم ؟

قال صاحبي بضيق .

- لا يستطيعون لأن الشرطة تبحث عنهم .

اراد ان يسرد علي القصة إلا أنني شعرت إن الخال حمه يضع يده على يدي ، رأيته يحاول أن يفتح فمه الذي طال اغلاقه ، وعند ذلك سواء أكان الموت لم يبق عنده شيء من الخوف أو لأنه كان يريد أن يخرج الأمر الذي كان يخفيه في صدره .

قال بصوت خافت وبكلمات متقطعة .

- من كثر ما رأيت من صور الألام وسمعت فإنيك مهما تسمع الآن أو ترى فأنك لا تأبه للأمر ولكن سأسردها عليك سواء أثرت عليك أم لا كي اخفف عن نفسي ولا أخذ الأمر معي الى قبوري الأيام الماضية هي كالخبز والماء ويعيش عليه الإنسان إذا كان مليئاً بالسعادة ، ولكن بالنسبة اليها فأنها كانت مليئة بالألم والقوط مما يثير لدينا ذكريات مؤلمة في شيخوختنا .

وهكذا بدأ الخال حمه الحديث وكان يخرج يديه أحياناً من تحت اللحاف أو يمد بها على اللحاف .

- كما ترانا الآن ، وكما كان أبائنا وأجدادنا فأننا لا زلنا كذلك ، اننا نعيش على أرض ، صديقاً قطعة أرض ، الا أنه عديم الوفاء وكل ما تزرع فيها الآمال وتصرف الطاقات إلا اننا لا نجني ثمارها ولا نأكل منها لأنها ليست لنا نعيش منذ سنين على هذه الحالة ، كل منا يعيش في زاوية على هذه الشاكلة شارباً آخر قطرات الاثم والجوع ، انه امر واحد نعيده ونعيده أزرع ، اتعب ، لا تنام ، لا تأكل ، كل هذا من اجل لقمة عيش ، وما يؤلمني هو أن نترك هذا الأثر لأولادنا .

قال هذا وتحرك جالساً وعرفت انه صور الماضي اصبحت قوة تدفعها كي يتحدث وقال :

- كأني انسان رغبت في الزواج كي يتقاسم معي الفقر والعمل ، لذا تزوجت امرأة اخترتها ونحن نعيش معاً في هذا الحجر ولكن لم يمضي وقت طويل فأننا ابعدنا عن بعضنا بفعل قوة غاشمة ، أخذوها مني ، بالضبط كما تشتري غنماً أو ثوراً ، كانت زوجتي جميلة وذا أخلاق عالية لم تتنازل للأغا الذي رأى انه من غير المقبول أن يكون لرجل مثلي زوجة جميلة ولا يشاركني فيها كما يشاركني نتاج أرضي .

وهنا فتح الخال حمه عينيه الذي كان يقطر حقداً وقال بصوت لم يظهر فيه أي أثر للمرض :

- كنت أعرف أن المرأة زوجتي ويجب أن تكون لي ولكن يا بني ان المتسلط كثير الظلم والقوة ، لذا كان كلامي ، رغبتني ، مشاعري وضعت على فوهة بندقية وسوط وكان يعذبونني علناً أوسراً الى ان شعرت زوجتي بالألم لي ورجتني ان اتركها فتركتها وأخذها الأغا.

منذ ذلك اليوم هناك شيء يتحرك في أعماقي شيء قوي ، والذي اذا انفجرت تقتل كل المتسلطين والظالمين ، كنت أجلس في الليل وأفكر في نفسي ، افكر في قطعة الأرض الذي يجعل الانسان مرفوع الرأس ، ويسبب الألم والعري والقوط لمن لا يملك قطعة... منذ ذلك اليوم أصبح كل عملي وهمي أن يكون لي قطعة أرض كبيرة أم صغيرة ولكن أن تكون لي كنت اريد ان يكون لي أطفال حتى أفهمهم الأحوال وأربيهم منذ الصغر حتى لا يلاقوا ما لاقيت لهذا السبب تزوجت ، الا انني لم اتمكن ولم أجرؤ ان تكون زوجتي جميلة ، خفت من عيني الأغا ، قلت عند الناس بأننا اختلفنا وطلقناها وكنت اريد ان احتفظ بزوجتي عند الناس بهذه الكلمات ، ولكن لم ينطلي عليهم الأمر لأنهم لاقوا مثلاً لاقيت أو أنهم سمعوا بالأمر .

قال الخال حمه هذا بدون توقف وبحرارة ، إلا انه توقف هنا وصب قليلاً من الماء وشربها وذهب الى فراشه وظهر التعب في عينيه ووجهه الا انه التقط انفاسه وقال :

- كما اردت اصبح لدي ولدان ، وربيتهم منذ الصغر بهذه الأفكار ، أن يكون لهم قطعة أرض كي لا يعتنوا الإذلال ، كي لا يقعوا فيما وقعنا فيه منذ الصغر استغلهم الأغا وكان يضطهدهم كما يريد والطريق الذي شرحته لهم كي يكون لهم أرض أشرف لهم الأغا بشكل آخر وأفهمهم بأن الأرض ستكون لهم من أقصر طريق ، عن طريق السرقة والسطو ، ورغم كل محاولاتني إلا ان الأغا كان عرقلة في طريقي يسد علي الطريق نحو أولادي ، اسودت الدنيا في عيني وكان ولدي آخر أمالي وها انا اراهم يقلون تدريجياً وما حطمت به ذاب كما تذوب الغيوم ، اصبح كلاهما عصابة يسرقون أموال الفقراء وإخافة أعداء الأغا بدرجة أنهم كانوا احسن سوط بيد الأغا حتى أنا ورغم كوني والدهم بدأت أخاف

منهم ، تصوروا انهم سيحصلون على الاموال ولكنهم لازالوا يرتدون الملابس التي اشتريتها لهم أنا ، لأن ما كانوا يحصلون عليه يأخذها الأغا ، لم يكن لكلامي أي فائدة لأنهم لم يعودوا قابلين للإصلاح وهاهم الآن يفتش عنهم الشرطة ولم أراهم منذ سنين انخفض صوت الخال حمه وكانت الكلمات تخرج من صدره بخنوت .

- ان ما حدث لي لم يحدث لأحد ، الا يكون لك ولد ، الا يكون لك أرض ، ألا يكون لك أمل ، هذا صعب لا يتحملها الكثير ، وها أنا ادير بعيناي كي اراهم فمهما كان فهم ولدائي .

واختفت القوة التي ظهرت عليه وكأنها ظهرت كي يسرد علي هذه القصة ، فأغلق عينيه وسكت قليلاً ، ثم فتح فمه وقال بخنوت:

- قتلنا الخوف ، لم أسرد هذه الكلمات حتى علمت بأنني ساموت ، الخوف يسلط علينا بحيث تقفل مشاعرنا .

حرثت الأرض فأكل هو ثمارها ، تزوجت فأخذها هو ، رببت الأولاد كيف يخطفهما هو هذا الأمر شديد الألم .

أصفر وجهه وأرتجف شفتاه وهو يتحدث ويخرج الكلمات ، ان صمت الموت جعل ماضيه يخرج من فمه بكلمات كبيرة ، قال:

- صباحاً حتى الليل ، امام حرارة الصيف ، أمام غزارة المطر ، احرث الأرض ، أروي الأرض ومع هذا فهذا كله للأغا ، أعيش للأغا ولكن أموت لنفسي .

مد يديه ووضع فوق يدي وكأته أراد يعطيني شيئاً بعد أن فقد كل أمل .
- الحياة جميلة مليئة بالأزهار ، إلا انها مليئة بالأشواك ، ولن تسعد برائحة الأزهار اذا لم تقلع الأشواك من جذورها قال هذا بكلام خافت جميل لذا فلن الشعاع الذي صدر من عينيه أرجفي سحب يديه وخفض عينيه ، وعندما عرفت بأنه لم يعد لديه ما يقول قمت وغادرته .

وفي الصباح رأيت جثة الخال حمه وهم يحملونه الى مقبرة القرية ، حتى قبره كانت تظهر عليها سيماء الفقر ، حفرة وضع فيها بدون بكاء .

رفع صاحبي حجراً ودفعه عند رأسه كي يصبح شاهداً على قبره قائلاً :
- كان يرغب كثيراً أن يكون به أرض وأخيراً احتل هذه القطعة الصغيرة
بالموت .
قال هذا وقام ذاهباً كي يعمل ودون أن ينظر إلي .

الدعج

كمال سعدي

ترجمة : د. عادل گرمياني

على امتداد طول فترة الصيف انتظرت نضوج مزرعتنا البسيطة .. كانوا في كل مساء يكررون الحديث عن بركة السنة وجذبها ، حتى اصبح الأطفال بدلا من التويزة يغفون بهذه الأحاديث ..

حين كانوا في كل صباح يذهبون للمزرعة لقطف ثمارها الناضجة ، يلاحظون ما يفيد للأكل قد تم قطفه ومُداس عليها .. وما هو مُر باقياً ، بل أن الرقيات المخفية تحت الرمل قد وصل لها الدلع ومزقتها إرباً ... وما كان باقياً هو الشجر المائي الخريفي ، والذي تُرك العنان فيها للخبازتعايق صخور ذلك السفح ومتمددة باتجاه ضفاف النهر ... كان الحديث يدور حول الشجر ، والذي لم تر هذه القرية شيئاً مثيلاً له منذ عدة سنين . لربما تعيش عائلة على إضمامة منه ، بينما الشجرات تزهر وتتساقط ، وفي غالب الأحيان تواسى نفسها بالقول : - الثمرات الأولى للتساقط .. والتوالي ستتحسن .

مضت مدة ... بل لم تر حتى تفتح أزهارها . لم يكونوا في هذا الصيف يملكون أي شيء في هذه المزرعة لتدبير حاجياتهم من الطماطا والفواكه ، لذا اقتضت الحالة معالجة . لذا قرروا الذهاب في ليلة لموقع لقاءات الدلع . غابت الشمس ... غطى الظلام وجه القرية ، تناولوا طعامهم بسرعة واتجهوا نحو الأرض المظلمة .. ومع وصولهم المكان حفروا حفرة أمام باب سياج المزرعة وغطوها بالأشواك على أمل وقوع الدلع فيه بعد عودته ، وأن يأخذو بثأر خسارتهم هذه منه بضربه بالعصي .

ليس قتل الدلع بالشيء الضار .. لحمه طيب ، ولم يتذوقوا لحمه منذ مدة ، لأنهم يملكون فقط أربعة حيوانات حلوبة لديها فراخها ، ولم يمكن بمقدورهم ذبحها بسبب استفادتهم من لبنها وجبنها ، ولم يكن هناك صيد ! ففي هذه السنة كان رجال القرية مشغولين بزرع الفسائل ، ولم يلتفتوا للصيد .. كنا يفكران وهكذا أشياء ، كان ليلاً مخيفاً ، وكان عواء الذئاب ونقيق الضفادع وخرير الماء وحفيف الحشائش وخشخشة الأرانب الوحشية تمتزج كلها معاً وكان الليل لا ينتهي . كانت الخالة عائشة وبايز كاكه برا قد تحاضنا داخل الحفرة الضيقة أسفل الجدار ، ويزيحان بأيديهما البعوض عن وجهيهما .

لم يدخل النوم عينيها تلك الليلة حتى الصباح ، وانبلجت تبشير الصباح ،
وكنما عرف الدعلج بخفارة الخالة عائشة هذه ، ولم يمر هذه الليلة بذلك
الجانب . عادا للقريه بلا أمل ، وكيفما كان قضيا نهارهما بتنقية التبوغ ، الذي
كانت متاعبه أكثر من متاعب الدعلج ! في كل يوم كنا يتذمران من العم
صوفي ، فقد كان التبغ جنب ساقية الماء شمال مزرعة العم صوفي مخضراً
وجميلاً ومورقاً ، يترى ألا يقطعون الماء عنها في هكذا وقت فيؤدي الى
تبيسها وحدة مذاقها !! ولكن علم هذا لدى الله ، لأن العم صوفي يحتاج حتى
مع ضرطته . حل الليل .. تناولت الخالة عائشة وباز كاكه برا طعامهما واتجها
مرة أخرى نحو مزرعتهم ، ولكن هذه المرة أخذنا معهم كلبهم الرمادي الذي
كان سبباً لدرجة يُخرج الطريدة من فم الأسد، وهكذا وصلا المكان وانتظرا .
استدارت الخالة عائشة بوجهها نحو بايز كاكه برا وقالت له :

- إن صاد الكلب الرمادي لنا الدعلج سيكون لدينا صباح الغد تناول اللحم
، وسنعطي قسماً منه لأهالي القرية .. وسيكون لنا خلال الشهرين
الباقيين حصة من الطمطة والفواكه .

كانت النجوم تغطي السماء وهي تنتظر ظهور القمر ، وكان النوم يراود الخالة
عائشة وتتشاوب أحياناً ، وفجأةً نبح الكلب الرمادي وانتفض لداخل المزرعة
وبداً بالنباح ، ففزعت الخالة عائشة وكانت في سابع حلمها . رشت قليلاً
من الماء على عينيها ، ومسكت بالعصي واتجهت نحو بندقية الصيد بجانبها
وايقظت بايز كاكه برا وبدءاً معاً بالهجوم على الدعلج الذي كان الكلب الرمادي
بنباحه قد أعجز ساقه عن محاولة الهروب ، ولم يبق سوى القليل على انبلاج
الصبح .. انسحب الكلب من الدعلج وترك المجال لهما ، وقد قام الكلب الرمادي
فيما مضى بعمليات صيد كثيرة ، ولذا كان صاحب خبرة تامة ، ولم يود تلويث
لحمه ، ولكن لم تمض سوى لحظات حتى جمع الدعلج الملعون قواه وبعنف
عض كتف الخالة عائشة وهرب ، والتي ترنحت على أثرها ورغم آلام كتفها
لكنها لم تنسَ أبداً نجاة صيدها . حزن بايز كاكه برا لجرح والدته ، وبحزن قال
لها :

- لقد آذيتِ كتفكِ وخرجنا خاليان الوفاض !

فقال الخالة عائشة له بأبتسامه صفراء :

- يا عزيزي ، قد تحقق ما كنا نبغيه ، ولكن حُرمتنا فقط من أكل لحمه .

فقال لها بايز بتعجب :

- كيفَ يا أمي العزيزة !

أقتربت الخالة عائشة من بايز ووضعت يدها المجروحة فوق كتفه ، وقالت له :

- لم يذهب جرح ذراعي سدى ! فتظنر لن نرى مرةً أخرى أثراً لهذا الدعلج

طيلة مدة هذا الصيف ، فلم نلقته درساً بسيطاً حتى ينسأه بهكذا سرعة .

ومزرعتنا لا زالت نظرة ولديها وقت كافي لكي تزدهر بزهور جديدة ، وستثمر

لما فيه كفاية البيوت الأربعة لقريتنا .

ملك الفجر

محرم محمدامين

ترجمة: آزاد عبدالواحد

كان رجلا في العقد الرابع من عمره، فارح القوام، حنطي البشرة، محبا للجدل والدرشة. في الأماصي التي كنت أمر فيها بالمنطقة حيث كان الغجر يقطنونها والتي كانت تقع في الجهة الجنوبية من (هومه ر مه ندان) المكان الذي نصبوا فيه خيامهم، استقبلني والابتسامه مترسمة على شفتيه وكان يلح عليّ بالجلوس لأرتشف معه قدحا من الشاي لهنيهات. كنت حريصا على ألا أخجله. كان حديثه مشوقا وهو يحكي لي عن طبائع وعادات الغجر وعن المدن والأقاصي التي زارها، وبين الحين والآخر كان يضمن حديثه بعض الطرائف و بادئا هو بالضحك، سيما أثناء تطرقه الحديث عن الغجر، وكيف أنهم رغم سذاجتهم كانوا يخدعون و يضللون نساء المدينة في أحيان كثيرة. وظهر إنه رجل ذكي وحكيم. في القرة التي كنت أحل عليه ضيفا، أدركت بأنه رقيق القلب و حريص على بني قومه. ولقت إنتباهي طبيعته من ناحيتين، كانتا عجيبتين في نظري. الأولى إقتصار حديثه على عادات وطبائع الغجر، وكان يردده على أسمع شخص غريب مثلي، رغم ابتعاد هذه الطبيعة عن سمة الغجر، والأخرى أنه وفي أوج انشراحه وابتهاجه و حديثه كان يخيم عليه الصمت، ثم يعتصر قلبه وتبدو على ملامحه سحنة من الكآبة وكأن الشوك يخز في كبده. وعودته الى حالته الطبيعية كعادته وقعت في حين غزوة وكان ملامح وجهه ينبىء بأستئناف الحديث، وبعد أن فارقت الكآبة التي انتابتة لم أتمالك نفسي فسألته:

كأنك تشكو من ألم....؟

أجاب بكلمة (كلا). وما كنت متوقعا مابدر منه، كأن سؤالي لم يعجبه. كان الوقت منتصف الليل، عندما سمعت طرقة على الباب. إذ كنت منهمكا بكتابة قصة في غرفتي التي كانت تقع قرب باب فناء الدار. بنوع من الضجر وضعت القلم جانبا. مسائلا نفسي:

أهذا وقت مناسب للزيارة....؟

حينما فتحت الباب وقع نظري على (حسو آغا) واندھشت كثيراً، يا ترى ماذا يعني هذا الرجل وفي مثل هذا الوقت...؟ لم يتح لي ان اسأله عن ذلك حين سارع بالقول:

هل تسمح لي بالدخول لأحدثك...؟

في البدء أردت أن أمنعه وأغلق الباب في وجهه، رأيت نفسي محقا في ذلك ، لأن الغجر بيننا سيئو الصيت. انهم من يتهبون في وضح النهار، فكيف لو كان الوقت منتصف الليل! لكن شحوبه واستضافاته لي جعلتني اتردد، ولأن قلبي له. دخلنا وجلسنا في غرقتي متقابلين. كان(حسو آغا) محدقا في سقف الغرفة، وهو يمسد شاربيه بسرعة ملحوظة، شعرت بأنه يعيش حالة نفسية مضطربة، وقد تقلصت أعصابه و بدت وكأته على وشك الانفجار، وبدا لي أنه يريد البوح بما يجيش في قلبه في الحال، ليريح نفسه. الا أنه لم يكن يجيد الكشف عن دواخله، البؤس والشقاء ارتسم على سيمائه في تلك اللحظات، ثم قال:

- اني على وشك الجنون...وأكاد ان اولي وجهي شطر الجبال...لا أدري ما أفعل... انا إنسان جدير بالعيش ليس بذئ قيمة..ولا يقيم أحد لي وزناً . بلع ريقه وتأوه يائساً ، و أردف كلامه:

- منذ زمن وأنا أريد أن أعبر لك عن خلجات قلبي ،لكن كوني زعيم القبيلة - كما تعلم- بدا لي شائناً أن أفتح لك جعبة أسرارتي، فصراعي مع ذاتي جعلني أفقد صبري وتموت شهيتي ويفارقتي النوم ،وفي هذه الليلة تلويت على فراشي الماء، وأشعر بأنني ان لم أجد احداً يواسيني ويحل عقدة لساني، فلا يستغرق طويلاً حتى أصاب بالجنون واهيم على وجهي في الجبال ،لا أطمئن الا لك...واعتقد بأنك سوف تجد لي حلاً لمعضلتي هذه. ورغم أن علائم الشك قد ساورتني، وترددت بأن تكون مستيقظاً في هذا الوقت من الليل ،ولكن كان يجدر بي أن أحاول. فحتى لو تعذر عليّ اللقاء بك فعساي أن تخدم نسمة عليلة أو نزهة. لهيب أعماقي، ليهدأ من روعي ،ولأجل ان يغلبني النوم قليلاً. وفاجأ نظري الضوء المتسرب من نافذة غرقتك لذا طرقت الباب .

ظل ملك الغجر صامتا لبرهة من الزمن...وكنت أهدق النظر فيه ياترى ما الذي أصاب الرجل..كي يبدو بحالته هذه...؟هاجت عواطفى نحوه. قررت مساعدته بما أمتلكه، وكنت متلهفا للغور الى أعماقه لمعرفة ماينويه . أمسكت بيده وقلت له مبتسما:

كن متأنيا يا أخي...فكل معضلة لها حل ونهاية، فأحك لي عن معضلتك الحقيقية لأقدم لك العون المناسب .

وبدا التفاؤل على محياه نتيجة ما أعلنته فقال:

بالله عليك...هل لك من علاج لهذا العذاب الذي أضناني...؟

لماذا خلقنا- نحن الغجر - بعيدا عن الطبيعة الأنسانية.حيث لا شعب لنا ولا وطن...أفقدت انسانيتي والتجأت اليوم اليك لتجدها لي والا فأن الجنون او الانتحار مصيري.

نظر اليّ بعينين مترعتين بالدموع. منتظرا مني الاجابة . وقلت في قرارة نفسي:

هذه هي معضلته، الآن فهمت.. يرغب العيش على أرض و بين شعب ذي كيان كبقية الشعوب. وأين أجد سبيلي بأرشاده ،لأنقاذه من هذه المنحة؟ أو بالأحرى كيف أجد له وطنا وشعبا...؟ ولأتخلص من هذا الموقف المحرج قلت له :

- ان الأرض التي نصبتم فيها الخيام هي وطنكم...والقوم الذي يعثرونكم هم قومكم....

- هل تظن بأنى لا أعرف ذلك..؟ لكن هيهات...هيهات...فلا أقدر أن أجعل من أي قوم قومي...ولا أستطيع العيش دون وطن وشعب بعد الآن. لم أكن افكر في الماضي هكذا ولم أكن أطيق له ذراعا...ولم أعط هذا التفكير حقه.فأنا كأى غجري أحس بأن لي نقصا، ولكن دون أن أدركه.لذا لم أعر له إهتماما. ومنذ إن كنتم - أنت وبعض من رفاقك- تقتربون من خيامنا وتتمتعون بقسط من الراحة تحت ظلال أشجار (الجوز) كنت أرهف السمع لأحاديثكم ومنذ ذلك اليوم إتضح لي بأننا - نحن الغجر- لسنا بشرا. كلما أراك يراودني ذلك

الشعور. ويحثني ذلك على إكمال نفسي بكمال إنسانيتك . فرغبتني بالجلوس معك شديدة، في الامسيات التي كنت تجوب خيامنا. ليتني كنت خادماً أملك وطني وقوميتي، ولا ملكاً على الغجر... آه فالآمي أصبحت لاتطاق والآن ضيعت نفسي... ومع مجرى أحاديثه كانت أسنانه تصطلك، كأنه أصيب بالبرد. والدموع تسيل على مآقيه... فأخرج من جيبه منديله الأحمر وصمت برهة لأجل أن يسمح دموعه. ثم نهض من مكانه بغضب شديد أدير نحو باب المنزل مسرعاً ودون كلمة وداع. وكان يردد: (لقد ذهبت سدى ..لقد ذهبت سدى..) حينما وصلت باحة الدار كان قد اختفى عن الأنظار عند إنعطاف الشارع. وطوال الليلة كلها لم أستسلم للنوم. فصوت الغجري كان يرن في أذني: (لا شعب لي ولا وطن...لقد ذهبت سدى) وفي الصباح أسرعت بالوصول الى خيام الغجر، إذ شاهدت جموعاً غفيرة مجتمعة. وقد شرعوا بالبكاء والعويل من أجل زعيمهم، من أجل (حسو آغا) الذي أختار الأنتحار خنقاً !.

غضب

محمد رشيد فتاح

ترجمة: حسين عثمان نيرگسه جاري

في ربيع تلك السنة عاد (غضب) وتفقد المدينة المقهورة الراححة تحت صفة (ابليس العصر)، مع مجيئه دقت أجراس النهوض والتحرر واحتضنت أرواح الجماهير المشتعلة والمغلوبة على امرها الانغام الشجية للانبعاث والصمود، لسنين طويلة تواري (غضب) عن الانظار مجهول المصير، ولذا قال بعض الناس:

مات (غضب) ولن يراه أحد بعد، الا ان (غضب) ذا سبع أرواح لم يصمد أمام لواعج الغربة فعاد وبعودته هز وفزع حتى الاطفال الرضع. عندما جاء (غضب) كان ظهيره ونصيره حصاناً مدرباً وجبالاً شاهقة لاتعد ولا تحصى وبنادق ذات الوهج، مع مقدمه وترجله على ارض الوطن، ارتدى الالوف من العبيد ملابسه وتناولوا قدره وقوته الخارقة اللامحدودة، بعد مقدمه لم يعد الناس مقهورين مخصووين كما كانوا في الامس وقبل الامس، وكذلك لم تعد المدينة الهانجة اليوم متشحة بالسواد كما كانت في الايام السوداء، الناس في هياج وحرآك كأنهم فيضانات غاضبة لربيع تلك السنة، انهم ينحدرون من الجبال ومن دياجير الاحياء والازقة ينسلون في صفوف متراصة، ومن الاراضي السهلة يحتشدون ويندفعون، انهم يجعلون من القلوب المحرومة طاقة وقوة لمسيرتهم، ومن أكوأخهم المتداعية البائسة يندفعون ويهاجمون، وبلهفة وشوق يتلاقون مع (غضب) من جديد.

رأيته! ومن لم يراه؟

لقد كانت الاحداث معاناة ومكابدة سوداء.. كانت مستنقعا عكرا وننتا، نرفت دماء بنفور وضجر واصبحت جداول، ولكن قلعة كبيرة للظلم والقهر انهارت، ما أنجزه (غضب) لا مثيل له في الاساطير القديمة ولم يسمع بها ولم يراها أحد ابدا، ألوف من النظرات الملتهبة والمعاصم الفولانية تهز الارض وتوقظ الناس من غفوتهم.

أنا كذلك رأيت.. رأيت وطيور السماء جميعا وبلقاع نشيد جديد يهتفون بعضهم البعض وكتل الغيوم تذرف دموع الفرح، أية دنيا جميلة رأيناها بعد يومين! لقد تبرعت وأورقت الآمال في وجوه الموجودات كلها، وأمطار ذلك الربيع الثمل تسقط مدرارا وتجرف الأشجان واليأس جميعا، أكست الزهور والأشجار أزهى ملابسها، لا يرى في صفحة أي ربيع أتى فيه (غضب) وحطم قلاع الموت واقهر والقوط.. ما أروعك يا غضب!!

- ٢ -

هذا الصيف ذو لهفة وموسم محرق، انه من مخاضات المواسم المتخمة بالأمنيات المباركة، مواسم ربيع التحرر والانعتاق، هذا الصيف من احدى براعم تلك السنة المضرجة بالدماء والغنية بالآمال المشرقة. وأنا ايضا أرى (غضب) ومن لا يراه بعينه المجردة؟ سافر وهو هائم في بقاع الارض المجهولة، غيابه وخمود زئيره الذي هز الدنيا أصبح الآن وباء قتل في أخايد الاحياء والازقة المظلمة وفي ما وراء الجدران المتداعية السوداء وفي قلوب ونفوس البؤساء، تلك الوباء جليلة في سيمائهم. هناك آراء تقول: ان غضبان عاد في صورة تلك الوباء الملعونة، ولذلك يمنعون النظر في الأفق البعيدة الحمراء، أملين ان يأتيهم فارس من الغيب ويمد يده المباركة اليهم فينقذهم من أوحال ذلك الفايروس الاسود من الغرق والموت المبكر. وهناك آراء أخرى تقول:

ليس هذا هو غضبان قط، انه لا يُجيب ولا يُفقر انسان هذا الوطن، انه حنون يأتي للناس نسيمات السعادة وآمالا مشرقة.

ان الذي تسمونه الآن (غضب) هو وباء، وللوباء فايروسه الخاص، فبعودة (غضب) الحقيقي فقط يستأصل الغضب الحقيقي وبعودته الميمونة فقط يقتلع من الجذور اليأس وايام السوداء، فلذلك انتظروا قدوم (غضب).. عما قريب يهب (غضب) كعاصفة غير منتظرة وعما قريب يتجلى مع حصاته المدرب ومع غضب الجبال والسهول.

يجب ان يعود (غضب).. ان عصب حياة الناس في هذا الوطن ومنبع بقائهم وموتهم مرتبط بـ (غضب)، انه لا يولى وجهه واخلاصه عن اهله ومخلصيه.. وأكيدا سيعود الى دنياه وقبلته.. انه يعود ويعيد تألفه الروحي السابق مع البستكم وعيونكم واجسادكم المتعبة ووجوهكم الشاحبة. يا انسان المدن والقصبات والقرى الساكنين تلك السنة في وطن (غضب): بـ (غضب) وقوته ومعصميه فقط يحطم تنين الوباء وفايروسه، لا تكونوا في حيرة وذهول.. لا تكونوا خائرين خائبين.. لا تخدركم وباء اليأس والقنوط.. لا تتركوا السلاسل حتى تصل الى أعناقكم، لا تطأطأوا أعناقكم لحياة باهتة جوفاء، ان (غضب) في طريقه اليكم، انه في هذه المرة سيوقظ آلاف أخرى من غفوتهم، وسيضع رجليه الغاضبتين على رقاب وصدور عشرات الاباليس وقلاعهم، ان عصا (غضب) وهرأوته عصا وهرأوة الحد.. ما أعظمك يا (غضب)!

- ٣ -

الآن ليس ربيعا ولا صيفا حارقا ولا خريفا تتساقط فيه الاوراق ولا شتاء قارص البرد عصيا، لا يعلم احد اسما لهذا الموسم فالوباء القاتم سد جميع منافذ المدينة الذابلة الحزينة، ومرض تناسي الذات أصبح سمة العصر وتقويما لكل الاوقات الضائعة، وكذلك اصبحت الغباوة والجهل سلطانا على العقل والوعي. أنا أيضا رأيتته ومن لم يره؟ كان الوقت صباحا والشمس في السماء تقهقه، ورقائق الجليد على ظهر الارض تنتثر لمعاتها، فلا الحر يؤذي ولا البرد يمدّ اذن الانسان، كان الهواء معتدلا، اخرجت الطيور رؤوسها من أعشاشها. عجوزة لم تبق في فمها سوى بقايا بضعة سنون مكسورة، وعجوز معوق يحملان صورة كبيرة سوداء لـ (غضب) وهي في اطارها تلمع، بخطوات هادئة وامام الجماهير الغاضبة يخطوان على درابزين شوارع المدينة. في تلك الايام انتشحت الاشياء بالسواد، الناس كثوا صامتين والاشجار والاحجار اكثر صمتا، يقطعون الطرق، وكان بين المتفرجين على سطوح المباني الترابية والعالية يقولون:

للمرة الاخيرة اودعنا (غضب) في رحلة ميمونة، فمن الآن لا ينتظر أحد
زئيره الرهيب، ومن اليوم يحصد منجل الوباء اللعينة صغيرنا وكبيرنا.
كان (غضب) في إطاره اللماع مبتسما، ظهيره كقدومه الاول الحصان المدرب
والجبال الشاهقة والبندقى الوهاج، أنا أيضا رأيته.. ومن لم يره؟ كان ينظر وفي
نظراته الحادة كل الاشياء، كان وسيما ذو مهابة تدخل الفزع في القلوب
والنفوس، تقول العجوزة بين فينة وأخرى والعجوز يردد:

يا جماهير مدينة الخمود والوباء السوداء.. يا جماهير الكادحين الجائعين في
اغلب الاوقات، يا حمالي الاسى والالام في الايام الصعبة! ها هو (غضب)
عاد.. منذ لحظات ادخل قدماه المباركة بيننا.. انه الآن أكثر من السابق غضبا
وصلابة في الرأي.. قريبا وكعادته في المواسم الماضية يخرج من اطاره
ويزار زئير الاسد ويستخرج الماء تحت اقدامكم.. اجتمعوا سيروا وراعنا..
نزور جميع الاماكن والى ان يعود (غضب) الى حالته الاولى عندما كان نمرا
طائرا يرفرف على قمم الجبال.. والى ان ينادينا والى ان تمتزج روحه المباركة
مع ارواحنا!

لا تستمعوا الى الذين يفلون من عزيتمكم ويحرفونكم عن المسيرة كونوا
صامدين، ان الوباء صنيعه جيوبهم وخزائنتهم، ومفاتيح ابوابهم المنيعه موجودة
لدى (غضب)، انت فقط تحطم جميع الاوبئة.. يا غضب الماء والنار.. يا قاتل
مئات التنانين والماردين واباليس العصر.. متى تتطلق من إطارك الاسود اللماع
لتمتزج من جديد مع أعماقنا يا (غضب)!

لوحة بدون إطار

محمد سليم سواري

ودلف الى القاعة التي كانت تشغل معرضاً شخصياً لأحد الفنانين المعروفين.. وكل من في القاعة من جموع الناس، كانوا يحدقون في اللوحات المثبتة على جدران القاعة..

الواحد منهم يقف بجانب الآخر والصمت يخيم على أرجاء القاعة.. وقف برهة ثم خاطب نفسه: " انه معرض متألق لأحد الفنانين المشهورين.. عاشت يداه، لم يدخر جهداً... لقد جسد كل جهده وفكره هنا " .

التفت يمينا ثم يساراً عسى أن يرى الفنان صاحب المعرض ، ولكنه حتى لم يشك في اي من الحاضرين لأن يكون صاحب هذا المعرض، فهمس مع نفسه: " صاحب المعرض غير موجود.. كل الأخرى به أن يكون هنا وفي هذه المناسبة ليشرح للحاضرين معاني هذه اللوحات وما ترمز اليها " .

وقف أمام إحدى اللوحات وكانت صورة زنجي قد إنعكست على شعر رأسه الأسود حزمة من نور الشمس ، وهناك سلسلة من قيد حديدي ساقط تحت قدميه ومرمي في التراب.. عندئذ هز رأسه حيث أدرك جيداً ما تعنيه هذه اللوحة.. مد يده اليمنى إلى جيب سترته ليخرج علبة السيكر كي يدخن سيكارة.. ثم نظر إلى القاعة.. لم يلمح أي مدخن فعرف بأن جمال وهيبة المعرض قد أنست الحاضرين حتى التفكير في التدخين.. فما كان منه إلا وأن سحب يده ومحدثاً نفسه: " هناك حقيقة يجب أن لا تغيب عن بالنا، وهي أن التدخين لا يلائم قاعات عرض اللوحات لأن الدخان المتصاعد من السيكاثر يسرق جمال ومعاني وألوان اللوحات " .

خطى ثلاث خطوات حيث لامس كتفه الأيمن الكتف الأيسر لأحد الزوار وتقابلت عيناها ولم ينبس أحد منهما بأية كلمة.. نظر الى اللوحات المثبتة على الحائط بصورة أفقية.. لم يفهم شيئاً من اللوحة.. مد برأسه ونظر بزاوية من عينه اليمنى إلى اللوحة وتمتم: " ما هذه اللوحة المثبتة على الحائط بصورة أفقية.. لو تم تشبيتها بصورة عمودية لكان من الممكن فهمها.. ولكن الفنان إختار

هذه الوضعية للوحة، وهذا الإختيار بعيد عن إختيارنا.. قد تكون هذه مودة جديدة، أو قد تستدعي خطوط هذه اللوحة هذه الوضعية؟! .. " .
عندئذ وقعت عيناه على قصاصة صغيرة من الورق مثبتة عند الزاوية السفلى للوحة.. إقرب من اللوحة أكثر كي يقرأ ما في هذه القصاصة وقال: " إذا هكذا.. حتى هذه اللوحة محجوزة.. نعم كذلك حتى اللوحة الأفقية محجوزة.. وهذا دليل على أن إختيار هذا الفنان يلائم إختيار ورغبة آخرين مثله " ... قبل أن يصل إلى الجانب الآخر من القاعة.. رأى لوحة جذبت إنتباهه فخاطب نفسه بهذه الكلمات: " ما هذه اللوحة.. قطع من القروود ينثر الواحد منه النقود على رأسه.. وقد أطرت هذه اللوحة بإطار من الذهب.. هذا الفنان جعل حتى للقروود نصيب في معرضه وفنه.. يا ترى هل أن هذه اللوحة تستحق هذا الإطار الذهبي.. أنا متأكد بأنها لا تستحق هذا الإطار، ولكن الفنان أرادها هكذا، وليس لأي منا أن يتدخل في خياراته.. حيث لنا خيارتنا.. وليس من السهل أن نتجاوز على خيار الآخرين أو نسحقه تحت أقدامنا.. ولن نسمح لأحد أن يفعل هذا بخياراتنا " .

إبتعد بضع خطوات عن هذه اللوحة ومد يده إلى منضدة في زاوية القاعة وأخذ دليل المعرض.. فتح الدليل وتصفح فوقعت عيناه على صورة للوحة كبيرة عليها أربعة أرقام وقد وضع كل رقم وبعناية ظاهرة على زاوية من الزوايا الأربعة للوحة الكبيرة.. طوى الدليل بعد أن وضع إصبع الشهادة ليده اليمنى بين صفحات الدليل وعند تلك الصفحة ، بحيث أصبح إصبع البنصر مع الأصبعين الآخرين على الجانب الأيمن للدليل وأصبح الإبهام على الجانب الأيسر من الدليل.

أسرع الخطى ليصل بسرعة إلى اللوحة التي تحمل الأرقام الأربعة.. أمعن النظر في اللوحة الكبيرة.. لمح عند الزاوية اليمنى والى الأعلى لوحة تحمل الرقم (٤٦) واللوحة تمثل صورة رجل بدون رأس وخنجره ساقط عند قدميه وعلى مسافة منه رجل ذو لحية طويلة ويسبح بسبحة حباتها من جماجم البشر وهو يضحك ملئ شذقيه على الرجل الذي ليس له رأس.

فجأة وبسرعة فتح الدليل وقرأ عند أسفل اللوحة الصغيرة في الدليل هذه العبارة: " الذي ليس له رأس، عليه أن يبحث عن رأسه وإلا سيكون هذا حاله دائماً " . فكر كثيراً في هذه العبارة وإسترسل مع نفسه : " كيف يبحث الإنسان الذي ليس له رأس عن رأسه.. لو كان الرأس موجوداً.. لكان من الممكن أن يبحث الرأس عن الجسد... الرأس هو كل شيء بالنسبة للإنسان.. ولكن كيف يبحث الجسد عن الرأس المفقود.. هذا محال " .

بعد ذلك نظر الى الجهة العليا وعند الزاوية اليسرى للوحة الكبيرة.. فرأى اللوحة تحمل رقم (٢٥) فحدق كثيراً في هذه اللوحة وقال لنفسه: " هذه لأول مرة أرى مثل هذا ، تيس له قرنان.. أحده صاروخ والقرن الآخر طائرة تحمل نجماً ، ورجل واقف على الجبل وضع إحدى يديه على الأخرى ويحدق إلى فتاة قد سقطت من الجبل الشامخ ومعلقة بأغصان شجرة وتحتها بحر، لون مياهه أحمر كلون الدم القاتلي ، وهناك مجموعة من الرجال ، يظهر من وقفتهم أنهم متهيئين لفعل أي شيء لإنقاذ الفتاة.. هل هذه حقيقة؟ وهل هناك مثل هذا التيس؟ هل هناك بحر من الدماء؟ كما وأن الرجل الواقف لا يستطيع أن يفعل شيئاً لإنقاذ الفتاة.. ولكن الرجال الواقفين والمدججين بالسلاح وعند الصخرة قد يفعلون شيئاً " .

وقف صامتاً أمام هذه اللوحة الكبيرة حيث رسمت في كل جهة من جهاتها الأربع لوحة صغيرة، وهنا أيقن بأن هذه اللوحة الكبيرة بحد ذاتها معرض شامل ورائع.. حتى لو أدرك أي إنسان ما تعنيه هذه اللوحة الكبيرة من إحياءات ورموز.. فكيف له أن يدرك مكامن كل لوحات المعرض؟ " .

إلتفت يمينا حيث لمح اللوحة الثالثة والتي تحمل الرقم (٦١) وهي تصور رجلين وفي كامل الأهبة والإستعداد وقد تمنطقوا بأحزمة من القماش الملون.. الواحد منهما واقف في تحد أمام الآخر وبجانبهما نهران وهما منهما كان بلعبة إسقاط الأهداف وفوقهما سلسلة جبلية عليها شجرة كبيرة من البلوط وقد تدنت جذورها بين الصخور.. عندما نظر إلى الدليل قرأ العبارة التالية تحت اللوحة :

" إستمرنا بلعبة إسقاط الأهداف .. وجذور شجرة البلوط غير ثابتة في الأرض ..
فلو هبت الأعاصير فسوق تقلع الشجرة "

عندما إلتفت إلى اليسار لمح اللوحة الرابعة وعليها الرقم (٢١) وهي تصور
مجموعة من طيور القبج (الحجل) وفي أقصاف خاصة بها موضوعة على
هضبة مسورة بالثيل وهناك خمد خنجر على الهضبة حيث لا وجود للخنجر ،
ففكر مع نفسه وقال: " هذه اللوحات الأربع التي جمعها الفنان في هذه اللوحة
الكبيرة توحى أكثر من كل لوحات المعرض إلى حال أهلي وقريتي ، ولكن
لماذا فقط هذه اللوحة دون كل لوحات المعرض لا تحمل إطاراً .. حيث ألوان
هذه اللوحة قد إمتزجت مع لون الجدار بعد أن حدد كل لوحة من هذه اللوحات
الأربع بخطوط ونقاط حمر كالتى توضع على خرائط البلدان لتحديد الحدود
الدولية "

إقترب أكثر فأكثر من اللوحة الكبيرة عسى أن يقرأ شيئاً مكتوباً تحتها؟
وليعرف قيمتها؟ ولكن بإستثناء الأرقام الأربعة لم يلاحظ أية كتابة على اللوحة ..
حار في هذا الامر وقال: " حتى السعر والقيمة لم تكتب عليها .. هل هذه اللوحة
محجوزة أيضاً؟ هل أن أناساً آخرين حجزوا هذه اللوحة؟ أنني على ثقة بأن
قلوب الكثيرين قد خفقت لهذه اللوحة .. يا ترى من حجزها لتكون من نصيبه؟ أنا
على ثقة ويقين بأن هذه اللوحة لم تسيطر على أحاسيس ومشاعر أحد بقدر
سيطرتها على أحاسيسي ومشاعري وخلجات نفسي "

بكل هدوء وكعادته فتح الدليل وقرأ تحت اللوحة الكبيرة هذه العبارة: " في اليوم
الثامن من الأسبوع الخامس ستباع هذه اللوحة وفي مزاد علني ومن يدفع قيمتها
ويضع لها الإطار المناسب والذي يليق بها... ستكون هذه اللوحة من نصيبه
ومقدماً مبارك عليه .. "

الطريدة

محمد موكري

ترجمة: جلال زنگابادي

مصباح خافت ، شبه ظلام ، صمت ، برودة ، دخان سكاثر ، عدد من القناني الفارغة ، عدد من الكتب المبعثرة ، تقويم عتيق يعود الى سنين غابرة .. صفحتان من الشعر الأسباني ، بضع صور لنساء عاريات ، دزينة من ورق القمار . كل هذه الأشياء في غرفة قديمة وضيقة مثلي بالذات ، ومثلما أشد ألي السهر ، الأسي ، الأفلاس والنسيان تضللني ايضاً وتحنو علي كأمر رؤوم ..

- ايه .. ها أنا كعادتي لم اسكر هذه الليلة ، ولم أفلح في مغادرة ذاتي ، ولم أقفز على ظلي .. لا أدري هل أنا الذي أغتاط على الخمر ، أم هو الذي بات يأبى التصديق بالسكر علي ؟! لقد تفحمت أعقاب السكاثر ولم أتخدر بعد ، ولم تنطفيء حرقة قلبي ...

- آه ! في هذه الليلة ، كما في البارحة وماقبل البارحة ، وما قبل هذا العام ، فشلت في أن أفعل شيئاً لكي لا تتشابه وتكرر ليالي .. لربما تتناسل في ديدان طحلب الجمود ، التي ما برحت تتخر في وتجوفني حد النتانة والتعفن ! تف علي هذه المرأة الوقحة التي تواجهني ، هذه المخلصة في اداء واجبها في مثل هذا الوقت بالذات حيث تعكس صورتي الحقيقة كما أنا .. فماذا أفعل ؟

- النجدة ، الغوث يا ناس ، يا عالم !
لكن من يجزم وصول صوتي الى أحد ؟ فالناس كلهم صُم ! لا ، لا أنا الأبيكم الأبيكم !

- قد يكون الاختلاف بين هذه الليلة ونظيراتها الماضية هذري وهذيتي ! هيه هيه .. هيه .. هيه ، ألم يكن كل عمري مجرد هذيان ؟! هيهات .. هيهات بلوغ ما أريد ، لكن مايسد الطريق بوجهي ؟

- نم .. نم يا هذا .. أسكت فما زال الوضع جيداً ألمت باق وأنت مذبوح ؟! هوذا أنت .. تأكل ، تشرب وتدخن .. ألمت تشغل حيزاً من فراغ هذا العالم الكبير ؟! فم وأصمت .

- واعجباه ! أراني مذبوحاً وبقا على قيد الوجود ! أما يرتبط رأسي بجسمي في المرأة ، وإلا كيف ؟! كلا ! كلا لقد وجدتها أجل .. أدركت

أن المرأة تخدعني ، بل راحت تخذلني منذ زمن بعيد ، تموه الحقيقة علي .. لا .. لا أنا الذي لست مستعداً أن استفز ذاتي وأتحرش بها حتى استكنه كينونتها ، ولم لا ؟ أيعجز حتى الخمر المركز من أن يسكرني ؟! ربما دأب فمي علي نقله الي مكان آخر ، بشكل من الأشكال ! ففالي قصاص خدعك لي يا أمراتي !

- وعندما دوى صوت تحطم المرأة ، بحيث خلنتي مزعجا الدنيا كلها ، راجأ هدوء الناس ومشوشاً راحتهم .. وها هي ملامح وجهي قد تهشمت ، كدمية حطمها رضيع جائع حائق ! وذئ هي صورتي التي تشظت في المرأة المحطمة متهاققة على الأرض المشدوهة الواجعة تحت قدمي وراحت الشظايا تعكس العديد من الوجوه العابسة الشوهاء المنفرة .. تتراءى كل صورة في حدود معينة ووضعية تخصصها ، ولا تستقر على حال .. كانت كل صوري مغتازلة ، حانقة وعابسة .. ولم تكن شظايا الزجاج المنغرزة في يدي تؤلمني ، لماذا لكمت المرأة بضربة قوية ، إنذما كانت قطرات من دمي تساقط على هشيم الشظايا قطرة قطرة ، ماحية وجوهي المتوزعة فيها .. فقد انكسف فمي تحت بضع قطرات من الدم المتخثر .. ومع توارى كل صورة من صوري كانت تسري في حنايا جسمي نفحة من البرودة والأنتعاش ، وتتسدل الغشاوة على عيني .. وراح يمتزج الصمت والأنتعاش وهواء الغرفة مع دمائي ، ويخفت ويتلاشى المزيد من طاقة جسمي وحيويته وحركته ..

ربما ثمة علاقة خفية لا مرئية بين أعضاء جسمي والصور البادية لشظايا المرأة ، فمع محو كل صورة تعتريني سكرة حد الشلل وتتملكني ، ثم تسري في بعض أعضائي الرئيسية ، وتتصاعد حتى تخدرها .. ياترى أيكون صدى الضحك والغضب بعضاً من أعضاء الجسم الحية اللامرئية ؟ وهل يصبح فقدانهما وانعدامهما خطوة نحو الموت ؟! وذلك يعني بأن الموت يخطو بموازاة كل لحظة من لحظات العمر .

لقد جرحتُ عدة مواضع من يدي ، وكنت متيقناً من أن ذرات الزجاج تسري وتدور في الياف عضلاتي ، لكنما لم أكن أشعر بأي ألم ، ورغم أن النزف والأنحلال أصابا قواي بالعجز والأنهيار فلم أحاول الحيلولة دون نزف الدم من يدي ، ولما كنت على عجل من أمري ، آملاً أن يسيل دمي بأقصى سرعة وينزف بغزارة .. وقد ملأت به قدحي الذي كان يغدق الخمر علي حتى ساعة من قبل .. ولما كاد أن يطفح رفعتُه نخباً (في صحتي) وصحة جميع المذبوحين الأحياء أمثالي أينما يتواجدون ، وكرعته حتى آخر قطرة ، ولكن من كان يمكنه التأكد من أحمرار شفتي ؟ وأي مرأة كان في مقدورها أن تكشف لي الحقيقة رهن تلك الليلة الحالكة ؟ ورحت أدس سكاتر في جراح يدي ، فلم تتحرق ، ولم أحس بأي ألم ، بل ولم يتوقف النزيف الذي كون بركة دم تحت قدمي ، حتى غادرت آخر قطرة من دماء جسمي .. أين لي في حلقة هذه الليلة من امرأة تشهدني لون جسمي الخالي من الدماء ؟! وإذا بي أهجم بغتة على كسرة من الزجاج وانتضيها ، وبلا تردد أحزُّ بها رقبتني ، ناحراً نفسي حتى انفصل رأسي ، الذي سارعت اتقاذفه ككرة بقدمي ، ثم التقطه كراس أول طريدة مقنوصة بيدي ، وعلقته على الحائط المواجه لباب غرقتي !

لست بلا وطن

محمد مولود مه م

ترجمة: حسن جاف

لن تضيع صورته من أمام ناظري حتى الموت ، وجه بارز العظام ، خدوده الصفراء شاربته ولحيته البيضاء ، عيناه الغائرتان في محجريهما ، والتي كان يحركها بخوف ووجل ... أه وكأنه أمام عيناى الآن أو كأن ما حدث يحدث اليوم ... كل هذه الصور كانت تمر أمام خيال ناظري ، وكأنه فلم سينمائي تتوالى أحداثه جيئة وذهاباً .

كان الوقت احدى ليالى الشتاء ، وكانت السماء صافية مما حول الأرض الى جليد ، وكانت الأزقة الضيقة فى قرينتا وبيوتها التي كانت تتدلى منها المياه المتجمدة ، كهف قديم أثري غطاه الستلاكتايت والستلاكتايت . كانت السماء صافية والبدر يقف فى وسطها وكأنها تجمدت من البرد ، وكان الصمت يخيم على قرينتا ، ووادي (زرزا) مغطاى بالثلوج عاكسة صورة القمر كالمرآة .

وكانت الأشجار والشجيرات المنتشرة فى الوادي وأطراف القرية تظهر فى ذلك البياض المنتشر وكأنها تلال صغيرة ، فيما بدى البعض الآخر منها كوحش أبيض ثين تحت خفت الثلج الأبيض فى مثل هذه الليلية وفى قرى كردستان الجبلية تكثر الحيوانات المفترسة وخاصة الذئب و الثعالب وتتحرك بكل نشاط وحيوية بحثاً عن الطعام .

وكانت لقرينتا كباقي القرى علاقة قديمة مع هذه الحيوانات سيما الذئب التي كانت تزور القرية مرات عديدة فى كل ليلة وكانت الكلاب التي تحرس القرية لم تكن مستعدة أن تسمح لهذه الذئب الدخول الى القرية بسهولة والتجول فى انحلها .

لم تكن هذه الكلاب تقف ناظرة الى الذئب وهي تهجم على القرية فكانت تحدث معارك ونباح من الليل حتى الصباح طاردة النوم من عيون أهل القرية أحياناً فكانوا يخرجون حاملين اسلحتهم مهاجمين الذئب بصحبة كلابهم الوفية ومطاردينهم حتى سفوح الجبل وكثيراً ما أطفال القرية يجدون جثث ذئب أو اثنين مقتولة ملطخة الثلج الأبيض بالدماء .

كانت ليالي الشتاء نتوالى بهذه الصورة في قريتنا ، الى أن جاءت تلك الليلة التي كانت كباقي الليالي ، إذ ما أن أظلمت الدنيا دخل أهل القرية كل بيته وأغلق الباب من خلفه ، وجلسنا أمام المواعيد معينين صدورنا ومادين أرجلنا متمتعين بالدفء وفجأة ارتفع نباح الكلاب مما أدهشنا إذ لم نعتقد أن تزورنا الذئاب مبكراً هكذا وفي بداية المساء ، يبدوا أن الجوع تسبب في إختلاط الوقت عليهم لأن الجوع قوي جداً وينتج عنه كل شيء ويسبب كل شيء .

وأنا ومن غير أن أقوم من مكاني أو أن أخرج صرخت (هوى هقلقلة ، هوى هقلقلة) وعندما أصخت السم سمعت أصوات كثيرة كانت تسعى الى تهدئة الكلاب وتدعوهم الى التوقف وعدم الهجوم وكان هذا الأمر غريباً لأنه حتى المسافرين أو المارين بالقرب لم لم يتوه أو يضيع فأنه لا يخرج في مثل هذه الليالي سيما وادي (زرزا) إلا أن استغرابي لم يدم طويلاً عندما سمعت صوت كوخا سعيد يناديني ... كاتبي ... كاتبي ... إننا هنا وجاء مع رجلي شرطة وشيخ طاعن السن و فتاة صغيرة و دخلوا الغرفة وتركوا الشيخ والطفلة وانسحب الباقون .

كان الشيخ طويل القامة منحنى قليلاً يرتدي أسملاً بالية ، والفتاة نحيفة في حدود العشر سنوات من العمر ، ولا زالت تحتفظ بسيماء جمال الطفولة . وعندما لاحظت المعطف الطويل والكبير على كتفها عرفت بأنها ابنة الشيخ الذي البسها معطفه كي يحفظ ابنته من البرد القارص ، كان الاثنان قد أثر فيهما البرد وجمدت أيديهم وأرجلهم وكانت الفتاة النحيلة الضعيفة قد تحولت لونها وجهها الى الأزرق من شدة البرد الى درجة ان عظم خدها كانت تعكس نار الموقد والوجه النحيف المتجمد ، وحالما خطت داخل الغرفة اندفعت للجلوس قرب الموقد رغم الدخان الذي اجرى الدموع من عينيها ، أما الشيخ فكان يقف مشدوهاً وهو ينقل بصره بأرجاء الغرفة دون أن ينطق بكلمة واحدة ، وبعد مرور بعض الوقت رفع عيناً خجولة ينعكس فيها كل صور العتاب والإذلال ومن خلال سعاله خرجت كلماته بهدوء : كما ترى يا سيدي بأنه وفي هذا الكون الواسع لا يوجد مكان لشخصين فقيرين مثلنا وقطراً لأن طريقة كلام الشيخ

كانت قريبة من لهجة موكريان سألته (يبدو أنك يا خالي من أهالي كردستان
ايران) .

فأجاب : أهل ايران ؟ ها أهل ايران : أتمنى لو انهم تركونا في حالنا كي نكون
من أهل منطقة مرتبطة ببلد لأنني عندما أقول بأنني من أهل ايران يقولون لا
أنت من (هنا) ويسرع رجال الأمن في (كيلا شين) بنقلي الى هنا (ودون أن
يتركوا لي مجالاً كي التقط أنفاسي يقوم رجال الأمن بإحتجازي في السجن لعدة
أيام ثم يقومون بترحيلي الى ايران بحجة كوني ايرانياً ... وهكذا ترى يا سيدي
انني مختار فلا أعرف أن أقول من أين أنا ، كل ما أراه هو دفعهم انا وهذه
الطفلة المسكينة للانتقال بين العراق وايران ، أصبحت أحس بأننا حملان ثقيلان
على ظهر هذه الأرض بحيث لا نستطيع ان تحملنا أو اننا جسمان ضخمين
بحيث لا يتسع لنا احضان هذا الكون الواسع ... نعم يا سيدي هذا هو حالنا ،
عندما كان الشيخ يسرد هذه الحكاية يعيون واقعة كانت ابنته ممتدة بجانب النار
وراحت في نوم عميق كالميت وكان النار ينير أحياناً وجه الطفلة البريئة فيا
ترى ماذا كانت الأحلام السعيدة التي كانت تمر برأسها في تلك اللحظة .

التفت الشيخ ونظر الى ابنته ومد يده ليغطيها بالمعطف البالي وبعد ذلك مد
يده الى لحيته ونظر الي قليلاً وكأنه يريد أن يعرف ما مد تأثير قصته علي ،
وعاد الى التحدث قئلاً : كما تراني فقد تقدم بي العمر وربما انني ارتكبت في
حياتي شيئاً أو أن أكون شخصاً لا يستحق أن يكون له مكان يرتاح فيه ، ولكن
ما ذنب ههذ الصغيرة كي تبئلي بمصيبتني أنا وتقلسي الألم والجوع والبرد
بمببني وكثيراً ما تسألني (يا أبتني لماذا نستمر في المشي ، متى نصل الى
البيت؟ متى تعود والدتي ؟ لماذا ليس لدينا دار هل انت غاضب على أمي ؟)
انها وعندما تراني نقف امام الأمن والشرطة يعلو وجهها ابتسامة وتسال فرحة
ابي العزيز هل ستصبح انت أيضاً شرطياً ؟ وتشترى بغلاً ؟ ويعطونك العلامة
الذهبية مثل هؤلاء وألوف الأسئلة الأخرى من هذا النمط تذيب مني الفولاذ
بحيث أعجز عن الرد ... وعندما تتعب وما أسرع ما تتعب بمبب الجوع
والمشي حافية تبدأ بالبكاء صارخة (أبي لقد تعبت لا أستطيع المشي ، انني

نعسانة ...) وكثيراً ما حدث وأنا الشيخ الهرم حملت هذه الطفلة المحرومة من امها على ظهري كما اعبر بها من ايران الى العراق ومن العراق الى ايران دون ان تحس بالحدود ، ومما يحز في نفسي هو أن مسؤولي الطرفين يطرحون علي أسئلة، وكيفما يكون جوابي فأنهم يرمونني خارجاً.

تحرك الشيخ في مكانه وسحل مرة ومرتين ، ثم رفع رأسه ليتأكد انني أستمع اليه وأستعرض الكلام ، في الصباح عندما أصل الى المكان المحدد يوقفونني أمام الموظف وأعرف بأنه سيمسألني مقدماً ((من أين أنت ولماذا أتيت الى العراق)).

- سيدي انا كوردي وعشت حياتي كلها في منطقة بتوين وفي عام القحط والغلاء الكبير هاجرت مع عائلتي الى كوردستان ايران عند عمي واستقرت في سهل (مرطور) وعملت في الفلاحة لمدة ست سنوات ، ثم عملت في رعي الحيوان هناك وبسبب ظلم وجور أصحاب السلطة هناك وبسبب الفقر والمرض مات أفراد عائلتي ، زوجتي ، ولدي ، ابنتي البكر ، ماتو جميعاً ولم ينجو سوى أنا وهذه الطفلة ، واضطريت وبغرض احالة نفسي وطفاتي هاجرت الى منطقة (شنو) وهناك وقعنا في فخ الأمن والشرطة ، كثيراً ما يقول لي الموظفون (ان عبور الحدود ممنوع وجريمة وإذا ارتكبت هذه الجريمة مرة أخرى ستعاقب وستسجن كان قد الكثير من الليل وكان الموقد يتوهج بنيران هادئة والقليل من الدخان ، وكان الدخان يدور ليرتفع الى الأعلى وكنت لهب النار تخفت شيئاً فشيئاً ، وكذلك عيون الشيخ كانت تتحرك بهدوء وتصغر حتى تمدد في مكانه ، رفعت رأسي ونظرت الى وجهه المجحد وغير الحليق ثم نظرت الى طفلته النائمة ، وقلت في نفسي أيه أيها العم الشيخ كم انت بريء وكم هي الظلم واللا عدالة التي ارتكبت بحقك والتي يعكس وجهك الجاف المتجدد وجيتك بعضاً من صورها وأثارها ، نعم في هذه الأرض هناك الكثير مثلك ، يعدون مشردين وبدون وطن ولكن مسألتك أنت شيء آخر ، ان قضيتك أعمق مما يفكر فيه قلبك الصافي الخالي من الأحقاد ، وعدت بذاكرتي الى الوقت الذي كانت فيه كوردستان كوردستان واحدة ولم تكن قد جزأت بعد، كان لها حدودها لا الحدود

المصطنعة كما هو الحال الآن ، وكان كل واحد يستطيع أن يذهب ودون وجل الى بيت عمه والذي كان في مدينة شنو أو سابلاغ ، أو أن يذهب الى بيت خاله في وان و باشقلا ، أو زيارة صديق في السليمانية أو خانقين في سنة أو ديار بكر أو مرعش دون أن يسأله أحد عن وجهته ، أو يسجن ، بل لم يكن يسأل حتى لأن كورسدتان كانت واحدة وليست مجزأة .

في الصباح كانت الدنيا هادئة وبدون جليد ، والسماء صافية وكنت ترى زرقتها على مد البصر الا ان البرد كان يقرص الأذن وأنف وأيدي الإنسان ، وبدأ أهل القرية بالحركة والتنظيف أمام أبوابهم من ثلج والأطفال يتزحلقون على الجليد في المناطق المنبسطة وكانوا يتوجهون نحو النهر ويتبعهم الكلاب والجراء مشاركين في اللعبة وبعد الظهر وفي منحدر (سنطان) سيمر شخصان نحو كيله شين وكان شرطيان يصاحبان العم الشيخ المكبل اليد بالسلاسل وكانت نهاية السلملة مربوطة بمقعد (زين) البغل ، وكان يخطو ويلتفت بين الفينة والأخرى نحو القرية وكأنه يعيد ذكرى الليلة الفائتة أو كأنه كانت في أعماقه سر ويريد أن يكشفها للقرية التي رأى فيها العطف والحنان ، كما أنه كان ينظر الى طفلته التي كانت تسرع الخطى وكأنها تريد أن تلحق بالأطفال كي يلعبوا معاً . كنت أنظر اليهم ولم يكن بأستطاعتي ان أغض النظر أو لا أنظر نحوهم حتى غيبهم الوادي ولم أعد اتمكن من رؤيتهم بعد ذلك وأصبحوا ظلالات في ذاكرتي ، وكنت اردد مع نفسي (لست بلا وطن) ليسوا بلا وطن ، أيها الشيخ المسكين لا تقل (ليست لدي وطن) لست بلا وطن كورسدتان هذا وطني وطنك وطننا ، لست بلا وطن .

وقفه من خلال صور ثلاث

محمد نوري توفيق

ترجمة: محمد صابر محمود

الصورة الأولى :

عند إشراقة كل صباح ، كانت تبسط لبابتها (٦) على أرضية أحد الدكاكين ، عارضة عليها ، صنوف الأمشاط ، والملاعق الخشبية ، وأشكالا من الشوابك ، وأمازك السجائر وقوالب (الكليجة) ، وبعضاً من الأواني المصنوعة باليد منضدة أياها تنضيداً بديعاً ، بحيث كان منظرها يلفت أنتباه معظم المارين من ذلك المكان فيتوقفون للحظات ، يمعنون النظر في تلك التحف الجميلة ، حتى لو لم يكونوا ممن يرغبون في اقتنائها .

أما هي فقد كانت امرأة ، مديدة القامة ذات جسد غضّ لدن ، وبشرة بيضاء مشربة بالحمرة ، مفرطة الشفافية .. لو تأملتها بأمعان لأستحوذت على دخيلة نفسها ، وتمكنت من قراءة ما فيها بكل سهولة ويسر .. لذا كانت الأكثرية الساحقة من سكنة المنطقة يتعاطفون معها .. يشاركونها في مشاغلها وهمومها ، مما دفعهم إلى تلقف تحفها المنضودة فوق لبابتها ، وإن لم يكونوا بحاجة ماسة إليها ، غير أنهم كانوا يقتنونها لمجرد تزيين بيوتهم ، أو وضعها فوق الموائد ، أو في أماكن بارزة ، ومعينة .

هذا الأقبال الشديد ن حدا بـ (نه شميل) ألا تطيل المكوث كثيراً ، حيث كانت في معظم الأحيان ، تلملم ما تبقى في لبابتها ، وتغلق دكانها ، لتعود إلى البيت قبل أنتصاف النهار .

أن سوق (نه شميل) الرائجة هذه دفعت ببعض الأشخاص ، ممن كانوا يطمعون في محتويات لبابتها ، أن يفكروا ملياً في شرائها هي بالذات ، وفي شراء الذين كانوا يصنعون لها تلك الحاجيات أيضاً وذلك لقاء ثمن باهض جداً ، ومقابل حياة رغيدة مرفهة .. أو عزوا - بدافع من نيتهم المبيتة هذه - إلى واحدٍ منهم ، كي يحمل إليها تلك البشري ، واضعاً أياها كصفقة مغرية في متناول يدها ، على أن تتضمن شرطاً واحداً بسيطاً للغاية ، ألا وهو بقاؤها هي ومن معها مدى الحياة في تلك المدينة ، وبموجب عقد ضامن .

اللبابة : ترجمة لكلمة (جاروكه) .

هذا الطلب البسيط في حد ذاته كان سبباً في ألا يتمكن الكثيرون من اللحاق للحصول على الأمشاط ، والشوابك ، ونقوش وزخارف (نه شميل) البديعة .. إنتظروا .. طال بهم الأنتظار .. غير أن ذلك المكان ، لم يشهد وجه (نه شميل ولا شميل) وجه لبابتها المطرزة بعد ذلك التاريخ مطلقاً .

الصورة الثانية :

احد المطاعم الكبيرة في المدينة بدأ يتململ .. ينفض عن نفسه غبار الركود .. وقد أزدان ، وارتدى حلة جديدة . غمره إحساس بأن ثمة حركة ، وحياء ، أخذتا تدبآن بين ارجائه .. ضم إليه عدداً من الشباب النشط ، يترواح ما بين الثلاثة ، أو الأربعة ، مع بعض العمال ممن هم أقدم منهم .. كون منهم نواة مجموعة متأخية ، يجمعها حب العمل والتفاني فيه .. بالرغم من أن هذه المجموعة لم تكن لتعباً - كثيراً بأقوال من كانوا محسوبين على المطعم ، إلا أنها كانت - طوال الوقت - مشغولة بالعمل الدؤوب في سبيل منفعة المطعم ، بصمتٍ ودونما أية ضجة ، أو تذمر .

أما حصيلة هذا العمل المضني ، فقد كانت تعود بالربح الوفير الذي يأخذ طريقه - في نهاية الأمر - إلى جيوب صاحب المطعم ، أكثر من أي وقت مضى ، عزّ عليه أن تفلت هذه الفرصة الثمينة من بين يديه .. راودته نفسه الجشعة أن يستغلها أبشع استغلال ، كي يجني من ورائها أقصى ما يستطيع من الأرباح .. لذا فكر في أن يصعد على أكتاف هؤلاء ، وأن يضرب ضربته ، ويستغني عن أولئك الذين كانوا على علم بدخيلة نفسه الجشعة ، وتصرفاته السابقة ، تحت غطاء جهود هؤلاء وتفانيهم في العمل .. وبصريح العبارة : أن يضرب عصفورين بحجر .

نيته المبيتة هذه غيرت من لهجته في الكلام ، فصيرتها أكثر عذوبة ، وطلاوة .. بعد أن استبقاهم على كرسي قبالته وجّه إليهم الكلام :

في حقيقة الأمر أنني مزعم على أن أضع مطعمي هذا تحت تصرفكم ، أنتم الأربعة .. لأنه تبين لي - خلال هذه المدة - بما لا يقبل الشك بأنكم تتصفون

بصفات يندر وجودها في غيركم .. إنكم تتحلون بالأمانة ، والأخلاص ، وحب العمل ، والنظافة .. إنكم لستم كبقية العمال ، وأن هناك بونا شاسعا بينكم ، وبينهم . أنتظر برهة .. كان يمني نفسه ، ويتطلع - خلالها - أن يسمع منهم كلمة (نعم) .. غير أنها لم تطرق سمعه . (كاوه) الذي التقط بمؤخرة عينيه قرارات الثلاثة الآخرين دفعة واحدة ، ومن ثم مزجها بما أزمع عليه هو في قرارة نفسه ، فإن صاحبنا ، سرعان ما تفهم لهجته في الجواب أوضح من أقرانه :-

ولماذا نحن الأربعة بالذات ؟ !

وماذا بشأن الآخرين من إخواننا ؟ بوجه عابس متغضن ، مط صاحبنا مالك المطعم شدقه :-

أنتم لا تعرفونهم .. أولئك .. و .. ووو .. بعد مصصة غاضبة ، وطويلة من سيجارته .. سوف أملككم أموالا وفيرة .. أجعل منكم رجالا بحق ، وحقيق ! أضع المطعم تحت تصرفكم .. إنني أعلم بأنكم أهل لذلك . سوف أجعلكم في منزلة أولادي !! ولكن حذار ثم حذار ينبغي ألا يصل ما قلته إلى مسماع أحد .. وسوف لن يتجاوز نهاية الشهر حتى أكون قد منعتهم من المرور من أمام المطعم أيضا .. والآن ماذا تقولون ؟

....

ها .. ماذا قلتم ؟

لم تمر سوى فترة لا تتجاوز الأسبوعين حتى بدأ الزبائن بالاستفسار عن (كاوه) و(آزاد) و(دليلير) و(كاكا رسول) .. أما العمال ، فقد كانت علامات التأثر بادية على وجوههم .

الصورة الثالثة :

في أحد المعامل الأهلية ، كان عدد محدود من العمال هم الباعث الرئيسي في زيادة النشاط ، والحركة .. وقد تمكنوا من تقوية الأواصر فيما بينهم ، وبين العمال القدامى بشكل أمين .. وفي المقابل ، فإن أولئك أيضاً ، كانوا ينظرون إليهم بعين التقدير ، والاحترام ، ويبادلونهم مشاعر المودة ، والأخلاص ، خلال أحاديثهم الطافحة بالحلاوة واللفظ .

إن هذه المجموعة من العمال ، لم تكن لتألو جهداً في إنجاز الأعمال التي كانت تعهد إليها يومياً ، دونما تلكوء ، أو تدمير . لم يكن أفرادها يعرفون معنى للتأخر ، والانتقطاع ، اللهم إلا إذا اقتضت الضرورة القصوى ، أو إذا جدّ ظرف طارئ كالمرض ، أو تعزية أحد الأقارب .. كانوا قليلي الكلام . كثيري البذل ، والعطاء مكثوا فترة من الزمان . بعثوا - خلالها - الغبطة ، والمسرور في قلوب العمال ، وفي زوايا المعمل ومفاصل الآلات .

بعد مضي مدة .. أخذت الشائعات تتردد هنا ، وهناك رنّ صداها في أذن صاحب المعمل .. مفادها : (أن كاكه حمه) ، ورفاقه يزعمون العودة إلى ديارهم ...

إضطر أن يأخذ أمر أقتاعهم، وتطمينهم على عاتقة أن يرشيهم بمعسول الكلام . لهذا الغرض كان يرسل في طلبهم ، واحداً بعد الآخر إلى غرفة الإدارة :-
كل ما تحتاج إليه ، من مال ومن نقود .. أية مساعدة تطلبها مني في هذه المدينة ، فأنارهن إشارتك .. سوف أضعف لك أجورك .. إن أردتم فسوف أفتح لكم مطعماً !!

المختصات ، الصيانة ، وكل ما تنص عليه قوانين العمل فقط شريطة أن تتراجع عن قرارك .. أن لا نتركنا .. سوف أمنحك الأجازات وقتما تشاء .. لا تعُد .. لا نتركني ..

كل هذه ن وكثير غيرها ، سوف لن تقف حائلاً دون عودتي .
كل واحدٍ منهم كان يصدع يافوخ صاحب العمل ، بمطرقة جوابه القاسي هذا ، فيظل صاحبنا مشدوهاً ، وتظلم الدنيا بعينيه .

بذل كل ما في وسعه، وأستنفذ كل ما لديه من وسائل كي يُقنع واحداً منهم ، وأن يفهمه بأن أحد رفاقه قد أستجاب لندائه ، ووافق على البقاء ، غير أنهم جميعاً قد أحالوا محاولاته هذه هباءً منثوراً .. وإذ غادروا عائدين إلى ديارهم ، فأن العمال كانوا حزاني ، مهمومين ، أكثر بكثير من المعمل ، وربّ العمل .

طيرُ أباييل

مصطفى صالح كريم

ترجمة: حسين عثمان نيرگسه جاري

شارعان مترابطان صاراً صليباً
بخار قطعة دم حار
جريمة جديدة في المدينة
والشاهد:

العصفور الوحيد المكوم على شجرة البستان
هذا الشاهد الذي لا يدعى ابداً
الى محكمة !

- شيركو بيكس -

منذ ثلاثة ربيع لم تصدر كلمتا (بابا وماما) من شفقتيك، كم بكيت لشقائقك في
وحدتك و غربتك، تألفت دموعك مع خديك وصارا صديقين، كلما ترى صبية
تنتابك لفحة ألم وتهز كيائك لا إرادياً، فتعود وتذكر اللقاء الاخير، والآن عندما
تتذكر تلك الكارثة الأليمة وتستعيد أيام طفولتك والتي تتجسد نصب عينيك،
ترى بين الحلم والخيال عالماً مدهشاً فتخبط، أشباح أحباتك الان تترانى لك في
الرواح والمجىء، وانت تحلول أن تحتضنهم.. الا ان كل ذلك الآن أصبح عبثاً
وقبضة ريح!!

في الصباح الباكر وقبل بزوغ شعاع الشمس، كنت الخضرة والندى
تنثران على قرينك أريجها، الاحياء كانت تنيقظ تباعاً، أغصان الأشجار الغارقة
في الخضرة تهىء أثماراً طازجة لكم، الرجال يتوجهون الى جامع القرية لأداء
صلاة الصبح، وكان حصان المختار يصل، و جاركم العم غفور في شرقته
متكىء على مخدته وزوجته خالة (خاوه ر) داهمها سعال خفيف، وانت لا
زلت على سطح الدار وامك منشغلة بلهيب تنورها وحيث تحولت الاحطاب الى
جمرات متوهجة تنتظر الرغيف فبدأت بشويه، عندما رأيت أقراص الرغيف
وشممت نكهته نزلت من الشرفة سريعاً وقالت الأم:

لقد أحضرت الشاي وان كنت جائعاً فهالك الرغيف وهناك اللبن. قالت الام ذلك
وبغثة تخدرت يداها مع مخدة الرغيف، سمعت هدير مكائن السيارات،
واختلطت قرقعة الناقلات وصهيل الحصان وثغاء الماعز والاغنام وخواء

الابقار والعجول وقرقرة الدجاج، فكل هذه الاصوات المألوفة اختلطت بلغظ
وأصوات غير مألوفة لأناس غرباء لا تفهم لغتهم.

جميع الاحياء في قرينك استيقظوا من نومهم، نباح الكلاب بدأ من كل حدب
وصوب وصياح الديوك علا من جانبي القرية.

من مكبر الصوت في الجامع أعلن احدهم لاهل القرية نداء غير معتاد:
(اجمعوا بسرعة ملابسمكم واغطيتمكم وأعدوا انفسكم، فمن الآن لن تنبقوا في
هذه القرية التي سنخليها و ترحلون الى مكان اخر، هذا قرار لا رجعة فيه
وليس لأحد مخالفته، والذي لا يمثل للأوامر، يعدم أمام الجامع رميا
بالرصاصة).

نواح وجزع النساء.. ولولة العجائز وعويلهن وبكاء الاطفال الناعسين
احدثت لحنًا جنائزياً حزيناً.

اصطفت ناقلات الجنود قرب جامع القرية وهي اشبه بحيطان فاغرة الافواه
لابتلاع اهل القرية، انقسم الجنود المسلحون الى قطيعين، قطيع يتجول في
القرية ينفذ بسطوة السلاح القرار اللعين، حيث يسحبون الاهالي من أذرعهم
ويحشرونهم في الناقلات.

اقرب القطيع من بيتك ومدوا أيديهم الى العم غفور وهو متكئ على
مخدته، فقال للجندي غاضباً:

دعني ايها التافه لن أبرح القرية دعوني أموت هنا.

فأتاه رجل أسود ضخم، طويل القامة، على ياقة قميصه تلمع نجمتان ذهبيتان
وعلى صدره صورة رئيسه، فرفسه بسن حدائه وسحبه من ساعده، فزجر العم
بغضب منفجراً بوجهه:

إذا فأنتم تريدون قتلي، حسناً ان كنتم رجالاً فهيا أقتلوني هنا! فسحبوه قسراً،
ودفعوا وراءه خالة(خاله ر) وهي تتضرع الى الله ، وعندما اخرجوها من باحة
دارها، سمعت وهي تقول:

*الف شكر الله و (زوراب) ليس موجودا في البيت، أفديه وسلاحه فلنذهب الى
الجحيم المهم ان يبقى هو ورفاقه سالمين.

وجاء الدور على بيتك، كانت لحظة موت لن تتساها ابداً كانت اختاك قد انتفضتا من النوم وهما جاثمتان ملتصقتان بأمك، وكنت بجانب أمك تأخذ بيد صغراهما.

أحسست بان الدموع الساخنة التي تذرف من عيني أمك تكوى جبينك، وتظن انها تريد ان تقول لك شيئاً لتقوم بعمل ما لحماية فلذات اكبادها الثلاث، الا انه لا أمل عدا الشقاء والبؤس، كان ابوك ينظر اليك ويتفرس فيك وهو مرتبك مشوش، وتقرأ في سيمائه أشياء كثيرة (أية ذكريات في تلك اللحظة تعصف به وتهزه؟!) بعد قليل من التردد قال لأمك:

*فلنذهب ولا يوجد حل اخر.. ولننتظر ما قدره الله لنا.

تحركت القافلة.. وعندما وصلت مقبرة القرية توقفت، في هذه اللحظة قلت في نفسك:

(هنا وتحت هذه الشجرة الكبيرة علق في الاعياد الارجوحة مع بنات القرية.. رباه لا استطيع بعد اليوم ان ألعب ولا أركب المراجيح).

اصوات الانفجارات هزتك، تفجير المباني وعجاجها أحدثا عاصفة هوجاء وعلى سماء القرية، بدأت وحدة الشوفلات بهدم وتفجير مباني القرية، وكذلك فجروا الأحواض وينابيع المياه بـ(الديناميت) وبعد تنفيذ تلك الاعمال المنكرة عاد القطيع الى الناقلات ولم يكونوا خالي الوفاض، بل كان أغلبهم يحمل الدجاج والديك والافراخ وأجنحتها تدق وتصفق!!

القيت نظرة على المقابر فخيّل اليك ان حقول الحنطة والشعير والبساتين تصرخ وتزعق:

(لا تذهبوا ولا تبتعدوا عنا نحن من نتاجكم).

سيارة جيب قيادية كانت تمشي في مقدمة الرتل وهوائيتها ترقص والناقلات الاخرى تتبعها، ودع اهل القرية للمرة الاخيرة بنظراتهم الحنونة آخر منازلهم الخالية بل المدمرة، كذلك وبعيون دامعة ودعوا احياءهم ضيوف المقابر، كان ملاحسن امام الجامع في ناقلتكم، وبعد قراءة الفاتحة لموتى المقابر قال:

(ياليتنا متنا قبل الآن، كم انتم سعداء يا اهل المقبرة لأنكم دفنتم في تربة
قريتكم ولم تروا هذه الايام السود..)

بطرفة عين نظرت الى ابيك وهو يمعن النظر في الجبال العالية التي
تودعكم من بعيد، رائحة وقود الناقلات تهيج الكبار وتقيء الصغار، على
رؤوس بنادق الجنود حراب حادة وهي موجهة نحو صدوركم، وكنت
كعزرائيل مستعدة في كل مطبة على الطريق ان تغزر في رقابكم.

قافلتكم وصلت (طوبز آوا)، كان يوماً غير مشهود وكأنه يوم الحشر، فعشرات
القرى في تلك الايام اصابتها نكبة قريتك وكلكم في المصيبة سوا.

حشد الناس في ذلك المعسكر، وحاصركم الجنود كقطعان الذئب، مرت تلك
الليلة وانتم في احضان الموت، كل واحد منكم شارد وينتظر مصيره المجهول،
بعد بزوغ الفجر جمعوكم، وفرقوا الصبيان واليافعين والرجال عن النساء
والاطفال، الآباء وللمرة الاخيرة احتضنوا أطفالهم ومزجت الدموع بحسرات
شهيقهم ولهيب زفيرهم، وأبوك أغرق أطفاله الثلاث بالقبلات ثم توجه نحو امك
قائلاً:

* (خه را مان)! اطفالك (تيمور، اختر ودولبر) أمّة لديك.. ولا أعرف هل
سأراك وترينني ثانية ولا أعرف كذلك اين ستسكنون؟ وأين سأكون؟
سحب جندي أباك، انتم ومع رجال آخرين حشرتم في الباصات المعدة لكم، ثم
تحركت السيارات وبعد هنيهة غبتم عن الابصار.

انت الذي تربيت في أتون الشقاء والشجون، عمرك في ذلك الوقت كان
عشر سنوات، الآن وبعد ثلاث سنوات تترأى لك تلك الاحداث جميعا كشريط
سينمائي. نقلت انت وامك واختاك الى باص آخر ملئ بالنساء والاطفال، ولا
تعرف عن اخبار ابيك اي شيء.

مرة اخرى استأنفت قافلة الباصات الطويلة سيرها، دامت هذه الرحلة الى
غروب الشمس، كانت الباصات وبسرعة فائقة تطوى المسافات الطويلة.

عشتم تحت رحمة فوهات البنادق، وحرابها المسمومة، في وقفة قصيرة وعن طريق لغط وأصوات خارج الباص علمتم بانكم في مكان مأهول، ويحتمل ان يكون مدينة، الا ان الحراس منعوكم من رفع ستائر شبلييك الباص ورؤية ذلك المكان، (خالة مريم) زوجة العم (ويسه) قالت بهمس:

*يحتمل ان المدن التي مررنا بها اليوم ظنت بأننا كنا في رحلة سياحية! لم تنبقوا في ذلك المكان كثيرا، فاستأنفت قافلة الباصات بطى المسافات، حتى وصلتكم في منتصف الليل تقريبا مكانا برّيا قفرا، أنزلوكم وعلى أضواء الباصات وبطرفة العين رأيت أباك، وكجميع رجال قرينتك كانوا قد شدوا يديه من الخلف بـ(يشماخ) ه، شىء رهيب في تلك اللحظة لفت انتباهك: رأيت عدة مكائن وآليات وحفرا واسعة وقلت في نفسك:

(من المحتمل ان يتركونا في هذه الصحراء الرهيبة بدون خبز وماء الى ان نموت. واذ صبح هذا التوقع وبعد أن يغادروا هذا المكان الى حيث ألفت رحلتها، أذهب مسرعا الى ابي فافك عصاب يديه ونهرب)

كانت الرمال والتراب حول الحفرة كثيرة بحيث تكفي لبناء عدة تلال صغيرة. أمر الجنود بتعصيب العيون، فعصبت العيون بقماش الاحزمة. ووبربطات وبراقع ومناديل وشالات النساء الممزقة، ارتفع زعيق وصراخ الاطفال، هبت في تلك الصحراء زوبعة مناحة نسائية وبأصوات رفيعة، الا ان الزوبعة مخنوقة لا تصل أصوات المنكوبين الى احد، قالت زوجة الملا وهي تجهش بالبكاء:

فلتخجلوا في الدارين، ألم تدعوا بن النساء والاطفال لا يمسون بأذى، وهناك ماثورة كردية تقول:

(حتى الكلاب لا تتبح بالنساء) ومع ذلك ها هم يعصبون عيوننا. أرجو من الله ان يعمي أبصارهم، يبدو انهم يقومون بوأدنا الثرى أحياء، الهى! لا تقبل هذا الظلم!

مسحت وربيت على شعر اختك الناعم (نه خته ر)، واحتضنت اختك (دولبر) وقبلتهما بلهفة وحنان، وامك قبلت ثلاثكم واحدا واحدا، مرة اخرى ذرفت دموعك مدرارا لتحرق خديك.

اصطفوكم حول الحفر الواسعة، انت لا تعلم لماذا في تلك اللحظة تذكرت حجرة الملا حسن وهو يعلمكم سورة (الفيل).

(ألم تر كيف) وكيف يشرح لكم ملا حسن معناها:

ألم تر ان الله كيف ابطل مكائدهم؟ وأرسل عليهم طيرا ابابيل ورمتهم بأحجار جهنم وجعلهم كالتبن المأكول؟ فنقول في نفسك: يا الهي العظيم! أغثنا كذلك وأرسل طير ابابيل على هؤلاء الملحدين الظالمين لتحرر من برائتهم.

*بدأت الطلقات تنهمر عليكم، سمعت صوت شاب يزمجر ويصيح: (ايتها السماء ايتها النجوم! كونوا شهودا: ان ما يفعلون بنا الان انتقام منا على أبار النفط، التي تحولت اليوم أبارا للدماء)

كنت في أعماقك تبكي بدون صوت ونحيب، وعلى الرمال تغلي دماء الناس القاتية، إحساسك قال لك: القمر يرنو اليكم بلطف لتقبيل جروحكم، لأول مرة في حياتك ذاق جسدك طعم البارود ومعدن الرصاص، لقد اصبت بطلقة كيف لا وكان حصاد الارواح في أوجه. مرة اخرى لسع الرصاص صدرك وسقطت، سحبت جسدك النازف نحو منحدر في الحفرة وانزلت على الرمل، ووقعت في بقعة من الحفرة وهي غير مرئية، الخوف والالم وتدفق الدماء حرّضك على السكوت الكامل ووقف التنفس.

أصوات المجارف وهدير الشفلات تؤكد على البدء بردم الحفرة، مئات الرجال والنساء والاطفال دفنت احياء وهم جرحى تحت الرمال والتراب، وأخفيت وضيعت اية اثر للجريمة. وانت تدخل رويدا رويدا في احضان الاغماء. واخيرا وقعت في الغيبوبة الكاملة.

عندما لسعت أشعة الشمس جروحك شعرت وكأن عقربا يمر على صدرك، تحس ان جروحك وما حولها تنتمل ويعود اليك رويدا رويدا نتف من وعيك، لسانك صار جافا جدا وتعاني من آلام كثيرة، عاصفة رهيبية أحدثت ضوضاء في رأسك وكأن الموت يطل عليك، في تلك اللحظة الموحشة أجهشت ببكاء

يتقاطر منه البؤس والحرمان، كيف لا ولم يكن حولك انسان حي ولا ملاذ،
منحتك الدموع شيئا من الهدوء والنسيان.

قحت جفنيك فتزحقت على التل الصغير، التل الذي تحوى في قعره أجسادا
مدماة للانسان الكرد والله اعلم بعدده، نما الى اذنيك أو هكذا شعرت، ان صوتا
مخنوق النشيح ينبعث من الحفرة ويشبه صوت المرأة وهي تبكي على موت
أحبائها، وقلت في نفسك:

(رباه! هل هذا صوت أمي وهي تلهث وتأتي لاستغاثتي؟)

ثم بدأت تقرب أذنيك من الحفرة وتتنصت عليها ولم تسمع شيئا، وبعينيك
المجهدتين أمعنت النظر حولك فلم تر شيئا سوى الرمال الحارة، الآمال
والاحلام التي كنت مولعا بتحقيقها في حالتك الاولى، قد تبدلت وصارت هباء
منثورا.

وبجهد جهيد قمت من مكانك وقلت في نفسك (يجب أن أذهب واترك هذه
المقبرة الموحشة ويجب ان لا تفلّ جروحي من عزيمتي).

أحسست بحزن كبير والألم أصبح كابوسا مريعا جاثما على صدرك، قد ماك
تتملان وينتابك احيانا هياج للقيء والتهوع وحلقك يتجفف اكثر فأكثر (يا لهذا
الموت المجاني!) ركبناك ترتجفان، الجروح الغائرة... الجوع والعطش
والخوف.. الضجر والقلق.. في روحك ونفسك أوار ولهيب. كل هذه حاصرتك،
سقطت على الارض، لجأت مضطرا للزحف على بطنك فتهيج احد جروحك
فتألمت كثيرا. وبجهد كثير وقفت على قدميك بتراخي وتمايل كالطفل الذي يحبو،
تمشي على بطنك حيناً وتعدو حيناً اخر وبرهة تأخذ راحة. هكذا تمشي وتهيم
في الصحراء الجرداء، في مدى نظرك لا ترى ماء ولا شجرا ولا حتى سرايا.

وقبيل غروب الشمس وبعدما قطعت مسافات لا تعرف كم ساعة هي، رأيت
من بعيد خيمة فلاحت لك بارقة أمل في الافق، بدأت تخطو بسرعة نحوها حتى
اقتربت منها وسط نباح كثيف للكلاب، أهل الخيمة استقبلوك واحتضنوك، وما
ان شربت طلسة ماء كاملة حتى دخلت في غيبوبة.

فيما كنت مغمياً عليك، كنت تهذي وتخلط الكلام. وتقول: ان الموت نزل من ناقلات الجنود وأنه حاصرك، بدأت بالانين والصراخ، وعندما فتحت عينيك، رأيت كفا ملائكيا على جبينك، كانت امرأة في متوسط العمر مرتبة وانيقة، على ذقتها شامت وبأنفها خزام وهي تنظف جروحك بمنشفة، وأعطاك شاب طاسة صغيرة من الحليب، وطلبت المرأة منك شربه، فشربته وكان عندك لذيذا، أعدت جزءاً من عافيتك، وبدأ رجل وقور بتنظيف وتعقيم جروحك ولفها. كنتم في ما بينكم خرسان لا يفهم أحدكم لغة الآخر، يخدمونك باخلاص مفرط، يبذلون جهداً دؤوباً ليهجوك ويفرحوك.

مضت أيام وجاء الى الخيمة ضيف، وهو شاب وسيم طويل القامة. حنطاوي اللون، ببشاشة وابتسام اقترب منك، وبلغه كردية ضعيفة ومكسرة قال لك: - شلونك كاكه. تصير زين. لا تحزن فهذا بيتك. - من جنابك؟

- هذا بيت عمي، كنت لسنوات جندياً في منطقتكم فتعلمت شيئاً من اللغة الكردية قل لي من جرحك واي شيء أتى بك لهذا؟ (فتحت له قلبك وقصصت له بطولات الجنود ونخوتهم على النساء والاطفال، وكيف امطروهم بالرصاص وكيف أدوهم في حفرة كبيرة واروهم بالتراب والرمال دون أي جرم اقترفوه) وببكاء عميق عدت الى حديثك:

انتظرنا كثيراً (طير ابابيل) لترميهم بحجارة من سجيل ولكنها لم تأت و اسفاه وأخيراً ابتلع تنين رمال الصحراء جمع أحبتي. ترجم الضيف ما قلته لاهل الخيمة فاغرو رقت عيونهم بالدموع، تصادقت مع الضيف وكان اسمه (حسين) وبعد اسبوعين قال لك الشاب: اتفقنا مع عمي ان ننقلك الى بيتنا في (السماو) خشية ان ينكشف امرك فحينئذ لن تبقى على قيد الحياة.

عشت في بيت (ابو حسين) ثلاث سنوات وكان قد أوصى زوجته وأبناءه وبناته به قائلاً لهم: كونوا ساهرين متيقظين عليه، انه السمك الوحيد الذي نجا

من الشبكة و غيروا اسمك، لا تخالط الناس كثيراً خارج البيت ولا تتردد
الأماكن العامة ولا تذهب الى المدرسة كل ذلك خشية انكشافك، ويتعاملونك
كاحد افراد العائلة.

الى ان جاء ذلك الربيع المتميز فكان اي ربيع! كان ربيع تلك السنة لديكم
غارقا في الدماء، ولكن الانباء وصلتكم بان ربيع كردستان كان غارقا في
الخرقة.

راودتك فكرة العودة الى كردستان، قبل ليالي رأيت أمك في المنام واضعا
رأسك على صدرها، وانت ثمل بعطر المسنبل وعقد القرنفل والريحانة تحت
ذقتها، وعندما تجهش في المنام بالبكاء تنهض بفرع.

(ابو حسين كان كأبيك في الحنان، وحاول كثيرا وأخيراً نجح في مسعاه وعن
طريق أقاربه واصدقائه استطاع ان ينقلك الى مدينة(كفرى) فأرسل
احد(البيشمرکه) ليرافقك، وها انت اليوم تسير وملوك شوق ولهفة وتخطو
بخطوات ونيدة، عيناك تلمعان وتتقاطر من سيمائك البهجة والانشراح، بسمة
السعادة ترقص على شفقتك.

عندما وصلت الى اسفل الجبل الاشم، شاهدت مجموعة من البيشمرکه كانوا
ينزلون نحوك وانت تصعد نحوهم، بدأت تسرع في خطواتك حتى اقتربتم، كان
قائدهم رجلاً حنطاوي اللون ذا شارب أسود وعلامات الحيوية والنشاط بادية
عليه، في صدغيه شعيرات بيضاء وتقرأ في عينيه بريق المعارك الاسطورية
في مناطق(كه رميان) ناداك بأعلى صوته:

تيمور، وما هي الاصيحة واحدة حتى وصلت صداها وتعاقت مع جميع
سهول (كرميان) بكل شوق وحنان والغابات الكثيفة في (قوبى قرداغ) وكهوف
(بيلووله) و(سه رته ك) وجبل (به مو) وكلها تردد.. تيمور.. تيمور....
تيمور.....!!

سڤيلانه
معروف خزندهار
ترجمة: حسن جاف

في الفترة التي كانوا اصدقاء، ومن ثم في حياتهم الزوجية ، لم يسمع أبداً (نينا) تصف أي رجل بكلمة (وسيم) . ولم يكن هذا لأنها كانت تراعي مشاعر زوجها حتى لا ينزعج أو يتصور أن زوجته تحب رجلاً آخر ، بل لأن هذا كان جزءاً من طبيعتها واسلوبها في الكلام . بدلاً من كلمة (وسيم) كانت تستخدم صفات أخرى لوصف الرجال مثل (حسن) و (شجاع) و (فاهم) و (متبور) وصفات أخرى من هذا النمط . بينما كانت تستخدم للمرأة صفة (جميلة) . إذا رأت امرأة في السينما أو المسرح أو الساحات والأسواق والشوارع ، ولم يكن يهمها عند اطلاق هذه الصفة إذا كانت المرأة طفلة صغيرة ، أو غير متزوجة ، أو كبيرة في السن .

في ذلك اليوم وصل الكاتب القصصي زوج نينا في الساعة الخامسة بعد الظهر الى باب دارهم ، مثل كل مرة كانت المرأة الروسية البدينة جالسة مام البرميل الخشبي الموضوع فوق عربة ، واضعة كؤوس البيرة قرب البرميل بانتظام ، كان هناك شخص أو شخصان ينتظران أن يصب لهما البيرة ، كان لشرب البيرة في الشارع نكهة خاصة ، كانت تعطي لذة للكاتب الذي كان يبحث عن موضوع لكتابة نتاج أدبي .

في هذه الأوقات كانت نينا إذا شعرت بأن زوجها شرب البيرة ، كانت تضع قنينة بيرة عتقة على مائدة الطعام ، فإذا لم يشرب منها الزوج كانت هي تشرب منها قليلاً من الشراب مع الأكل . قالت نينا وهي تتناول الطعام :

- نسيت أن أقول لك جاءت امرأة هذا الصباح لتعمل لدينا كانت جميلة جداً ، وكما سمعنا منك بأن الشرقيين يصفون الجميلات من هذا النمط بأنه حتى أخوها يعشقها .

- ما اسمها ؟

- سفينته ، وهي مختصر لأسم سفيتلانه كما تعلم .

- أي بمعنى ضياء .

- نعم وحقاً كانت مضيئة .

كان الصيف قد حل منذ مدة قصيرة ، وهو كما يقولون موسم الذهاب الى البلاجات والسباحة ، كان اليوم هو السبت عندما رجعت نينا من العمل وقالت :
- لقد دعوت سفينته لتناول الغذاء معنا يوم غد ، وسنلتقي في البلاج صباحاً وبعد السباحة نعود الى البيت لتناول الغذاء .

وجد الكاتب وزوجته سفينته على البلاج ، كانت تلبس ملابس السباحة وتمتددة تحت مظلة ملونة ، وعندما رأتهم قامت واقفة . عرفت نينا سفينته بزوجها ، وفي تلك اللحظة تصور الكاتب سفينته بأنه لو تصادف ورأى رودبين النحاة سفينته لكانت تماثيله أكثر جمالاً وبهاءً . ربما كان أقصى درجات السعادة في رؤية امرأة جميلة بملابس السباحة في ذلك البلاج الواقع على نهر (نينا) حيث يصب النهر في خليج فنلندا وبحر البلطيق .

امتزجت السباحة واللعب داخل الماء مع البيرة والسّمك المجفف تحت الخيمة الملونة مع الكلمات الطيبة والمؤنسة لسفينته لتخلق جواً أكثر روعة ، ولم يتم التطرق الى احداث تسبب الهموم ، كانت كل الحركات والكلمات وسيلة للضحك ، ولكن رغم هذا كان يلاحظ بأن هناك شيئاً من اليأس في نظرات وشفاه وانفاس سفينته يخرج من صدرها مع دخان السكائر ، في تلك اللحظة تحولت سفينته عند الكاتب الى اسطورة وظاهرة مخفية ، تحولت الى مصدر للألهام والحنان ، وعاطفة من اجل تحقيق السعادة له ، وبعد ذلك وعندما علم بما حدث لسفينته اصبحت عاطفته نحوها أكثر حرارة وديمومة . في بيت الكاتب جلسوا ثلاثتهم حول مائدة الطعام والفودكا والكونياك . توجهت سفينته بكلامها للكاتب قائلة وهي تضحك :

- انك رحلّس سعيد تجلس وتتناول الطعام مع امرأتين جميلتين ، وإذا رغبت تستطيع الرقص معهن ايضاً .

لم يكن هذا اللقاء مصدر استراحة روحية وهدوء نفسي وابداع انسان جميل وطيب مثل سفينته فحسب ، بل كان الأمر أكثر أهمية وذات قيمة أكبر ، وهو ما نسجله هنا باختصار .

كانت سفينته في الخامسة من عمرها عندما ذهب والدها الى ميدان الحرب الروسية الألمانية (١٩٤١)، ولم يرجع من ذلك الحرب ، كانت والدتها مهندسة في خطوط السكك الحديدية ، ولم تقصر ابداً في تربية ابنتها ، وبعد مقتل زوجها في ميادين القتال لم تتزوج ثانية . في العشرين من عمرها أنهت سفينته معهد النسيج ، ثم تزوجت من ضابط في هندسة السلاح العسكري . كانت في شهرها الخامس من الزواج عندما أستدعي زوجها لأخماد أنتفاضة الشعب الهنغاري (١٩٥٦) ثم وبعد فقدان زوجها بمدة قصيرة توفيت والدتها ، ثم وصلها بعد قليل نبأ مقتل زوجها فبقيت لوحدها .

كانت سفينته تقول : كنت سعيدة في طفولتي رغم فقدانني لوالدي ، إلا أنني لم أحس بأي فراغ في حياتي ، ربما كان المراهقين والشباب ينغصون علي حياتي بسبب جمالي . كانت سفينته تخاف من الحرب ، ذهب والدها للحرب ولم يعد ، ذهب زوجها ولم يعد ، وكانت تتصور بأن والدتها توفيت ايضاً في الحرب بعد مقتل زوجها . فكرت في كل شيء عدا الزواج مرة أخرى ، ولكن بعد اربع سنوات هياً لها القدر لقاء مع رجل كان يشبه زوجها الى حد كبير وكأته بُعث من جديد ، كان يشبهه بالصفات والطباع ، كان عاملاً علمياً في مركز الدراسات النووية في الأكاديمية العلمية . كان هذا الزواج كحلم لسفينته ، عاشت تسع أشهر تقريباً مع هذا العالم الشاب .

كانت تتحدث دائماً عن مآسيها لصديقها الكاتب ، وكان الشيء الوحيد الذي اعتبره جيداً في حياتي هو أنها ومنذ البداية قررت ألا يكون لي أطفال كي لا أكون سبباً في آلام ومشاكل الحياة لإنسان آخر .

قالت سفينته بصوت مجروح :

- جاؤا في ليلة وأخذوه ، ولم يعد بعد ذلك ، وحتى اليوم رغم مرور اربع سنوات لم يعد لي ولن يعود ، إن من يدخل المؤسسة الأرهائية التي يقال لها (كي . جي . بي) لن يعود ابداً .

في تلك الأيام كانت سفينته في الثامنة والعشرين من عمرها ، إلا أنها كانت تبدو في العشرين من عمرها ، تزوجت مرتين إلا أنها عاشت مع زوجها سنة وثلاثة أشهر .

كان الكاتب وزوجته نينا يرغبان أن تكون سفينته صديقة لهما ، كنا يرغبان في إيجاد زوج لها لكي تصبح به سعيدة ، وسيتخلصون عندها من بعض المشاكل الاجتماعية . امرأة جميلة جداً مثل سفينته لم يكن بالأمكن حمايتها من قبل الزوجين ، لم تكن هي ترغب في الرجال ولم ترد أن تتزوج ، لذا كنا يحاولان عندما تكون سفينته معهما أن يمهّدوا الطريق لأصدقائهما ليروها ، لأنه لم يكن هناك رجل في مجتمع أوربي يرى سفينته ولا يحبها . كانت هي تستمتع بهذا ، وكنا عندما يتمشيان تضع نينا ذراعها في ذراع زوجها الأيمن وسفينته في ذراعه الأيسر . مرت ستة أشهر تقريباً على صداقتهم ، وأقرب عيد ميلاد نينا ، وكانوا قد قرروا أن يستقبلوا هذا العيد معاً ولم تكن سفينته ترغب أن يكون معهم شخص رابع .

في بداية شهر كانون الأول كان الشتاء بارداً والثلوج غزيرة ، وكانوا يسمون هذا الشتاء (بالشتاء الروسي) . كان تهيئة الطعام لثلاثة اشخاص أمراً يسيراً ، وضعوا على المائدة الشمبانيا والكونياك الكورجي ذي النجمات الخمس مع مقبلات روسية ولحم ودجاج وسمك .

كانوا يتناولون الطعام والشراب بهدوء وروية مع الكلام الطيب والرقص الهاديء الرومانتيكي، وبهذا ابعدهم هذا الجو وعالم الخيال هذا من مآسي الحياة ومشاكلها. كان الكاتب ونينا يعرفان بماذا يفكران ، لكنهما لم يعرفا بماذا تفكر سفينته، كانت تجلس بهدوء ولم تتكلم إلا قليلاً وهي ترتدي ملابس جميلة، ولكن لم تضع أي مكياج على وجهها ، وكانت تقول :

- ليس هذا من أجل الجمال ، ولكن بطبيعتي لا أحب المكياج .

قالت لها نينا وهي تضحك :

- أعرف أنك لا تحبين المكياج ، ولكن كان يجب أن تضعي المكياج من أجلي لأنه عيد ميلادي ؟ .

- ألا تزين أنني لبست ملابس جميلة من أجلك .

أمضوا سويعات سعيدة في هذه الأجواء ثم اتجهوا الى الخارج نحو الثلج والجليد متجهين الى المترو . كان يجب ايصال نينا الى بيت والدتها ، لأنها كانت تريد أن تساعد والدتها في ذلك اليوم لتهيأة وتنظيف الدار بمناسبة أعياد رأس السنة . وهكذا وصلوا الى دار أم نينا وهناك شربوا الشاي الروسي ، بقيت نينا عند أمها وعاد الكاتب وسفينة الى المترو ، وكان يجب ايصال سفينة كالعادة حتى باب دارها .

في هذه الأثناء لم يكن يعرف بماذا يفكر ، وكذلك الحال مع سفينة ، ولم يمسأ أي منهما صاحبه بماذا يفكر حتى وصلا الى باب دار سفينة . كان قد أوصلها قبل ذلك عدة مرات وقف هناك ليودعها ، إلا أن موقفها ومن غير أن تتكلم كانت دعوة له لدخول الدار . أمسك بيدها حتى داخل البناية ، وكان الكاتب ينوي أن يعود أدراجه ، إلا أنه لم يعرف أي قوة دفعته ليلبي طلبها ، كانت عواطفه نحوها قوية لدرجة أنه تصور أنه إذا لم يلبي طلبها يرتكب جريمة بحقها .

كان كل شيء هادئاً ويُسمع اصوات انفلسهما وهما يصعدان الدرج من دون أن يُسمع صوت أقدامهما . فتحت سفينة الباب ، كان الدار مظلماً ، أقرب انفاسها من من انفاس الكاتب . كانت التمثال الجميل والرائع والذي رآها قبل حوالي ستة أشهر على البلاج وكانت ترتدي هذه المرة فستاناً وردياً مع جاكيت صوفي بنفسي ، إضافة الى معطف رمادي روسي وغطاء سبيري للرأس . كانت سفينة غارقة داخل كل هذه الملابس وكانت عيونها الجميلة والواسعة واضحة .

من جسدها كله ، كانت سفينة تشبه في تلك اللحظات العقد اللؤلؤي الذي ورثته عجوزة مسنة ذات المائة عام من جدتها وهي تحفظها وتلفها في أكثر من محفظة . كانت العجوز تحب اللؤلؤة الى حد أنها وطيلة سنوات عمرها لم تخرجها من حافظتها سوى ثلاث أو أربع مرات ، إلا أن الكاتب وفي كل أيام

عمره أختلط جسده ولمرة واحدة فقط مع جسد سفينته . كان يعرف بأنه يحب سفينته ولكن لم يكن يعرف بأن سفينته تحبه ايضاً . نهض في الصباح مفكراً وغير ملابسه بهدوء وفي المساء رجع الى داره ، سألته زوجته :

- الى اين أوصلت سفينته يوم أمس .
- الى باب دارها .
- عجيب ، لم تأت اليوم للعمل .
- لأعرف .

مرت اربعة أيام ولم تذهب سفينته للعمل ، ثم اتجهت الى هناك لتوديع الموظفين والمدير ، واحتضنت نينا وطلبت منها بعين دامعة أن تسامحها ، ثم خرجت رغم كل الجهود التي بذلت ليعرفوا شيئاً عن سبب هذا الأجراء ، إلا أنها لم تقل شيئاً . بعد عدة أيام ذهبت نينا الى دارها لمعرفة أخبارها ، قال لها جيرانها بأن سفينته انتقلت من دارها دون أن تقول لأي شخص الى أين هي ذاهبة .

أمسية القردة

نجاه نوري

ترجمة : عبدول حسين

بعد الفاجحة الكبيره التي واجهت مملكة القردة: تحت شعار: " لن يتمكن أحد أن يوقف مسيرة حياتنا" بدأ الاحتفال السنوي بمناسبة تسليم الملك الثالث والخمسين زمام حكم المملكة، وبتلك المناسبة، علقت الآف الشعارات الملونه على الاشجار و وضعت صورة القرد العجوز الذي اعتبر الاب الروحي للقردة، في وسط والتي زينت بالورد البنفسجية وكتب تحتها: "اننا نفتخر بوجودنا... والآخرين ليس لهم هذا الفخر "كانت القردة كبارها وصغارها قد احتلت اماكنها فى الساحة: والآف الحراس ذوو الوجوه العابسة كثوا يحيطون بالحضور.. كان الصغار يفنون امام صورة الجد، لتوديع العزاء و مجيء يوم افضل للمملكة: " منك جاء الجمال وكنت دليلنا على الطريق ايها الجد العظيم " كانت مع الأغنية يرمى بالورود الملونة الى اسفل الصورة، وفصل للملك بمناسبة مرور سنة على تسلمه حكم المملكة ، لباس جميل من اوراق الاشجار وسويقات العشب و استخراج له من ندى العشب والاوراق ، احسن العطور ،وجلس امام الملك العلماء و الدهماء . كان الملك جالسا على كرسيه مثل تمثال فضى وينظر فى تلك الامسية المتأخرة ، الى الذين يعتبرون كل شعوب هذه الدنيا أقل منهم شأنًا وجلس جميع المسؤولين الآخرين في جانيه .

افتتحت الحفلة بالنشيد الوطني للمملكة.. وقد نكست كل القردة رؤوسها حتى انتهاء النشيد، وكان الملك يتمتم شقيقه الى تلك اللحظة، وحتى تكون الحفلة أكثر بهجة كانت أوراق الورود الملونة تتساقط على الحضور ، ولم يجلس احد منهم قبل ان يجلس الملك .

تحركت القردة التى انيطت بها الفعاليات فرقة بعد أخرى من مكثها وقام بفعاليات متنوعه و رائعة حتى تظهر صورة جميلة للمملكة أمام الملك وفئة منها تتحرك بصمت و الفئة الأخرى تتحرك على انغام الموسيقى والأغاني، كل هذه كانت تظهر صورة جديدة للحياة فى المملكة. بعد ذلك بدأ القسم الثانى للاحتفال بخطاب للملك وقد قرئ نيابة عنه من قبل احد اصدقائه: " او لك الذين يموتون فى هذه المملكة ويضحون بأنفسهم فى سبيل الوطن يبقون احياء فى ذاكرتنا.. نحبي ذكراهم، يقسم ملككم بتربة المملكة انه طالما فى الحكم.. وقد

انتخب من قبلكم انتم المخلصون، ان لا يتهاون في خدمتكم." وقد كتب في وسط الخطاب، "فلتنظر الاحياء البرية وقاطنو الشرق وفئات اللقلق و السنجاب المشاغبة الى وجودنا بتعقل، و على الطيور الجائعة في المناطق الحارة التي تقف على فتاتنا ان تتخلى عن التآمر، و على التحالف الغربي الذي انهزم امامنا في سنة الف و تسعمئه وثلاث و اربعين ، ان ينظر الى وجه مملكتنا التي لاتستطيع أية إرادة أن تهدمها" مع قراءة أكثر فقرات الخطاب، كان الحضور يصفقون له. وكان احد القردة والذي ربما كان من ابطال الحروب السابقة يقف احيانا و يهتف بصوت عال، طالبا السحق لاعداء المملكة و الملك يصفق له بهدوء بأطراف أنامله. وفي قسم آخر من الخطاب طالب الملك بمحافظة حقوق الحيوانات الموجودة حول سور الصين العظيم و اشار الى سوء حظ السلاحف و الضفادع الموجودة في بحر قزوين و اعتبرها اصدقاء مقربين للمملكة و عبر عن استعداد لارسال الوحدات الخاصة ذات الامكانيات القوية من اجل الدفاع عنها. وذكر في خطابه ايضا، اسماء بعض الطيور الجارحة و ابدى استعداد المملكة لمواجهتها، و قال ان هذه الطيور ليس بإمكانها ان تستمر على اعمالها العدوانية.. و عليها ان تعود الى جحورها المظلمة من التاريخ، وفي نهاية الخطاب نوه بأن علينا أن نملاً بيوتنا بالحرية و أن نشيع الديمقراطية للعالم كله. بعد ذلك بمدة قليلة بدأ مسؤول حراس المملكة الذي صنعت له طاقة من ورق الموز وزين صدره بأتواط الشجاعة، بقراءة خطابه مرتجلاً و قال بصوت خشن و بحماس: " فليطمئن الاطفال و كل الناس، لن يتمكن احد بعد الان ان يمد يده الشريرة مرة اخرى الى جمال مملكتنا، و على جميع اللقالق و البومة ان تندم على ما اقترفت من اعمال الشر بحقنا.. في ذكرى هذا اليوم و بعد مضي سنة على خدمة ملكنا المحبوب للحرية، نعاهد أن نبهج الدنيا بالديمقراطية.. الموت للاشرار و العيش لكل الطيبين في مملكتنا الجميلة." مرة اخرى اهتز المكان بصوت تصفيق الحضور و جاء دور مسؤولية العلاقات الخارجية و قد وضعت على كتفها اليمنى بعضاً من اجنحة الفراشات و كانت من انثى القردة، لها زوج بليد و صغيران، ولها وجه شريير و جسم بدين، لم يكن في يدها أي خطاب

مكتوب، بل كانت تتكلم ارتجاليا عن البلدان الصديقة التي ساندت المملكة في كل الاحوال، وشكرتها على محاولتها تحسين وتطبيق الديمقراطية في بلدانها وقالت: " وفي تلك الاماكن نتمكن ان نبني بسهولة أولئك الذين يعكرون أمن أصدقائنا..

ان هذا العصر سيكون للذين معنا فقط ولا توجد طريقة اخرى للناس الآخرين.. ان ملوكنا يتركون الحلم بناء على رغبة افراد المجتمع وليسوا كمملكة الصراصير والضباب.. يبقون الى نهاية عمرهم في الحلم، فلذلك نريد ان يكون كل العالم مثلنا.. النصر لملك المدينة والمدافع عن قيم الحرية."

رجعت الى الملك وعانقته ثم احنت رأسها للحضور وجلست على يسار الملك، ومال الملك برأسه اليها وتكلم معها باهتمام. بعد قراءة الخطابات بدأت مسيرات الوحدات البرية والبحرية والجوية، وفي مقدمه قام المتخصصون في الهجوم الجوى بصعود الاشجار وقدموا أجمل العروض للحضور بصورة كانت الاشجار كلها تهتز، وبعد ذلك قامت الوحدات الاخرى بواجباتها.. وقد تعبت أيدي الحضور من كثرة التصفيق ومع المسيرة كان مسؤول قوات المملكة وهو قرد هرم، يتكلم كالعارف بالامور: " هذا الاستعراض الذي تشاهدونه ليس فيه أي غرض الا خدمة بقاء جميع الحيوانات على الارض، ولن نسمح للحيوانات الاخرى ان تمتلك من هذه الاسلحة لأنها مصدر خطورة للأمن العالمي.. وفي هذه المناسبة نبلغكم بأننا وفرنا اموالاً كثيرة لصنع احداث الأسلحة العصرية."

كانت القردة تنظر الى الاستعراض باهتمام كبير وتمطر الضباط والجنود بالورد. في نهاية الاحتفال قرأت برقيات التهئة للملك.. وكتبت الاولى هكذا (من سفوح تماثيل بوذا وخرائب كابول الى الملك العظيم.. هداياكم التي أرسلتموها خلال سنة حكمكم مقبولة) وجاءت في البرقية الثانية ملياتي: (من جياع وفقراء نيبال ونيودلهي الى ملك تثبيت الديمقراطية وصانع الحرية ولكم العمر المديد.. لا يستقر السلم في العالم وفيما بيننا بدونكم، نتمنى ان نكون مثلكم، سنفرح بلقائكم ونسألكم في كل اعمالكم.) وبرقية اخرى بعنوان (من ضفاف دجلة)، جاء فيها: (الى ملك الأعمار والبناء، نرجو الاسراع في ايصال

الديمقراطية الى ضفافنا، لا يرتوي ظمونا من الديمقراطية الا عندكم.) وبرقية اخرى من ضفاف النيل جاء فيها: " اني ملك الثلاثة وستين مليوناً من الأحياء، نعاهدكم ان نتعاون معكم في ابادۃ النمل الطائرة وندعو لكم من ضفاف هذا النهر لإطالة عمركم، نودع كل تأريخنا بكم." ومن شواطئ كوريا وكوبا ومن صحارى افريقيا الحارة، وصلت عشرات رسائل التهنئة، ومن دعاسيق روما والاسماك الصغيرة في باريس ومن سفوح سور الصين العظيم وصل اجمل التهنئي.. كانت الرسائل كثيره بحيث لم يستطيعوا قراءة كلها، كأنما كل العالم ملك للملك. كما وكرر جميع الحيوانات خضوعها له. بعد ذلك قام الملك بجولة بين صفوف الحاضرين، وقد تمكن الكثير منهم حتى انتهاء الامسية من رؤية الملك عن كثب.

قبل شروق الشمس

نجيبة أحمد

ترجمة: نجاه خوشناو

بينما كانت الفتاة تمر بمحاذاة المقهى، كان هناك على رصيف الشارع شخصان يقفان، وهما يسترسلان النظر إليها. مَدَّ أحدهما يده اليمنى الى جيبه. أما هي فقد ظنت أنهما يناديان عليها. رمقت إليهما بنظرة خاطفة. اوشكت أن تقترب منهما. الشخص الذي كان ينظر إليها ملياً، نادى على نادل المقهى قائلاً:
- تعال.. خذ حسابك!

ما لبثت الفتاة إن غدَّت بخطواتها مسرعة، ماهي إلا ثوان معدودات، حتى إمتلأت عينيها غمامة، حين تذكرت ملامح أمها وهي تقول لها:
- يا إبنتي العزيزة! أنت مازلت قاصرة وغير ناضجة. لذا لايجوز لك أن تتسرحي أو أن تقضي أوقاتك في الاسواق والشوارع أو أن تقفي امام المقاهي، حتى وإن كان هناك من يناديك، عليك ألا تعيري لهم أية أهمية! وإنما عليك أن تتبعدي من هناك، لتقفي بجوار بوابة أية مدرسة حيث يتواجد هناك تلاميذ صغار..

بعد أن عاينت نفسها وهي لابسة فستانها الاحمر، بان لها لباس نومها المتسخ بلونه الازرق الغامق فقامت بطيئه وهي تداري خجلها بإسراع مشيتها نحو بوابة المدرسة..

كانت تتراى لها في مرآة طفولتها الملاى بالمعناة والحرمان، ملامح وجه أمها وترن في أذنيها كلمات أمها حين كانت تواسي إبنتها:
- إذا ما زاد موردك، سوف أشترى لك فستاناً جديداً، عوضاً عن ثوبك هذا، والذي بات متهنأً وبالياً، إذ كلما تم غسله أكثر، قصر أكثر!

بينما كان التلاميذ يسرحون ويتراكضون في باحة المدرسة، فراداً و جماعات، أسرعت هي بخطواتها مبتسمة ومنشرفة.. كان جرس الفسحة قد دقَّ حين وقفت هي قرب بوابة المدرسة، تاركة كيس نيلونها الاسود جانباً، فخرج إليها بواب المدرسة وهو يهم بغلق البوابة بوجهها.. وهي مازالت تلتقط أنفاسها بسبب البرد وصعوبة التنفس، ترتب بأناملها الرقيقة، شعرها الاشقر المجدل والمغطى بوشاح متآكل قالت:

- عمو..! بالله عليك! كما ترى أن الجو بارد جداً. هلا تفتح لي الباب؟

- يا أبنتي العزيزة! والله أنا راغب في أن أفتح لك الباب على الرحب والسعة.
لكنهم لا يقبلون ذلك.. وأنا عبد مأمور..

كان التلاميذ أشبه بأسراب الطيور، بغدوهم وترحالهم حيال شجرة التوت
المنتصبة في باحة المدرسة، إذ كانوا يملأون المكان بالبرآءة والعفوية بصياحهم
وقهقهاتهم الطفولية

- عمو، عمو! ألا تعطني علبه من عباد الشمس

- صار! أعطها واحداً من عباد الشمس!

ناولها من خلال شباك حديدي ما أرادت.

- لا. عمو! هذا قليل..

- وماذا عليّ أن أفعل. إنه بسعر السوق. غلاء فاحش..

خرج فراش آخر من غرفة المدير لتثبيت إعلان جديد..

يمنع دخول بائعي (عباد الشمس) و(حبة الخضرة) داخل المدرسة.

كانت الفتاة قد وضعت يديها الصغيرتين في جيبي معطفها المشتري من سوق
(البالات) وهي تمحلق، بين حين وآخر، بوجه ذلك الفراش مدققة في ملامح
وجهه.

دق الجرس فأنطلق التلاميذ مدفوعين صوب البوابة الرئيسية للمدرسة. في
تلك اللحظة تنفست الفتاة الصعداء.. وبينما كانت هي تطلق زفيرها متتهدة سألها
الفراش:

- ما أسمك يا بنيتي؟

- إسمي نازنين.

- إينة من؟

- أنا إينة عمر.

- ماذا يعمل؟

- إنه متوفي.

وجه الفراش إنتباه للفتاة قائلاً:

- إبنتي العزيزة! حقاً. إن الجو بارد هنا جداً. وأنت مازلت يافعة وقاصرة، ولا تحتملين هذا البرد القارص، فمن الأفضل أن ترجعي الى البيت بأسرع ما يمكن. أمكثي في البيت ريثما تطلع الشمس مشرقة دافئة، ثم أخرجي على مهلك.. ثم على بنت مهذبة مثلك، أن تضع إعتباراً لكلام الكبار.. كان يبدو أن الفراش قد شعر بأنه يهذر في سره. فتركها في شأنها متوجهاً نحو فناء المدرسة.. أما هي قد حملت كيس نايлона الاسود مسترسلة النظر نحو السماء.. أنبعث شعاع الشمس من خلال انقشاع غيوم سوداء، كانت تقف حائلة من ظهور ضوئها الضئيل، كان البرد قد تمكن منها بعد مضي دقائق على وقوفها هناك فأحست بوطنه البارد على جسمها النحيل وبت يثقل على ساقها وعلى اطراف اصابع يديها التي كانت تشبه الحلمة. اسرعت بخطواتها تجاه الشارع وهي تمعن النظر في وجه الفراش الواقف خلف البوابة الحديدية. دارت بها الارض بتأثير الدوخة في رأسها فتعثرت في مشيتها، وفجأة ارتعدت السماء فأفزعتها بدوي رعداها ووميض برقها.. من بعيد شاهدت امرأة تخرج بعجالة وهي تطل برأسها يمنا ويسرى منادية على ابنها الصغير:

- إبني آزاد! أين أنت، هيا أسرع! أدخل كي لاتبرد..

عندما رأت نازنين تلك المرأة، تذكرت أمها وهي تقف أمامها عاجزة حزينة، تندب حظها ومتعاطفة معها قائلة لها: أنت يا بنيتي مازلت قاصرة وضعيفة، لاتخرجي بعيداً ويجب ألا تقفي أمام المقاهي..

في تلك الاثناء تداعت في مخيلتها كل الصور والذكريات الحزينة وتداخلت الوجوه ببعضها البعض. أمها التي كانت تطالب بالمزيد من الإيرادات لشراء فستان جديد وكذلك ملامح وكلمات ذلك الفراش مازالت ماثلة أمام ناظيرها - إذهبي يا بنيتي.. فالجو بارد هنا.. إنهم لايسمحون بالدخول أو البيع داخل المدرسة.. وقد يغضب المدير..

ناهيك عن زمجرة الرعد ووميض البرق، تتصاعد وتشتد وطئهما مما جعلت تفقد سيطرتها على نفسها فسقط كيس النايلون من يدها وتبعثرت حبات عباد الشمس على أرض مطينة.. ما لبثت حتى تهاوت الى مسامعها أصوات

وصيحات امرأة وهي تستنجد وتلطم بشدة على صدرها من هول حادثة المرور، حيث أن سيارة مسرعة اصطدمت بكتلة من اللحم البشري، ليخلط اللحم بالدم، تاركة ورائها جثة هامدة، مزرجة بدمائها. كان هناك شخص يصرخ ويصيح..

- لقد توصلت الى رقم السيارة..

ثم يلتفت أحدهم الى المرأة المفجوعة قائلاً:

- يقال أن لونها كان أصفراً.. نعم أصفر..

هي
هيمداد حسين
ترجمة : د. عادل گرمياني

خرجت من بين أصابعها برفق ، وبركضة خفيفة أبتعدت عنها . كنتُ بين
الفينة والأخرى تلتفت نحوها ، وكانت (الغاية) محبوسة بين الجدران الأربعة
لأعماقك ..

هذه المرة (هي) التي نادتك .. تسمرت في مكانك كالمسمار المثبت في لوحة
ولم تتحرك . جاءت (هي) تعدو نحوك ثم وضعت يدها فوق كتفك ، ثم شرعت
في طبع قبالتها على وجنتك .. تعبتما ثم تضايقت أنفاسكما .. بدأت بعدها
قطرات الدموع تنسكب من عينيها منسالة على خديها المتوردتين . حينها تمنيت
بأشتياق أن تكون ربان الكون لكي تخضع قوانين الطبيعة لمشيتتك من أجل
تجميد لحظة عناقكما بصورة أبدية فتخرجاً معاً زفير النفس الأخير من
صدركما بصورة نهائية ..

حين خرجت للمرة الثانية من بين أصابعها المرتجفة ، قامت (هي) بوضعها
على وجهها .. أخرجت زفيرك الدخاني المنبعث من صدرك المتهيج ، ثم بدأت
رويداً رويداً تخطو مبتعداً عنها حتى غبت نهائياً عن الأنظار ..

من حينها وغلَى الآن (اليوم هو الأحد) لم تلتق نظراتكما .. أنت ذهبت لأداء
الخدمة العسكرية ، وانت تشفق لها و عيناك المفتوحتان على سعيتها تنظران
نحو الأرض وكان (الدنيا ذذ ذابت ي جمالها) .

تخلصت من بحر الأفكار و التخيلات المضطربة حين نادى عليك أخوك
الصغير قتلاً : أخي .. تقول أمي ليأتي يتناول طعامه حاولت ان تنهض و لكن
جسدك كان خاملاً ، وكنتُ ركبتاك تؤلمانك . بدأت تتمايل يميناً و يساراً
كالمخمور ، دخلت الغرفة الأخرى ثم جلست تناولت لقمتين من الطعام ، ثم
نهضت .. قالت لك أمك ..

يا ولدي ، لماذا لم تكمل أكل الطعام .
لقد أكلت وشبعت بما فيه الكفاية .

رجعت لغرفتك .. كنتُ قد رأيت صديقك (بختيار) في السوق منذ مدة لم تريا البعض .. تعانقتما و فرحتما بروية أحكما الآخر .. تحدث لك هو عن زواجه منذ سنتين ، وأخبرك بأنه قد أصبح لديه طفل سماه ((بتلين)) .
فهنته بحرارة و تمنيت له الحياة السعيدة ، ثم كرر الطلب منك في هذه المرة أيضاً بأن تقوم بزيارتهم ، وتساءل عن سبب انقطاع زيارتك لهم بصورة كلية ، فقررت أن تزورهم يوم الجمعة بعد الظهر بعد أن أعطاك عنوان بيته و كرر الطلب منك بأن تزورهم .

كانت (هي) طاهرة القلب و صادقة ، ولكن الذي فرق بينكما لم يكن في أمكانك تلافيه . حين رجعت لبيبتكم بعد فترة وجدت بأن أهلها قد رحلوا إلى منطقة أخرى . لم تعرف وجهتهم فأدى ذلك إلى أن تغوض في الألام و العذاب و الهموم . لكن الذي كان يسلي قلبك هو وجود صورها في اليومك ... كانت الأبتسامة ترسم فوق شفقتك مع كل نظرة لك في صورها ، ولكنها بدأت تذوب في أعماقك رويداً رويداً ، فكنْتُ تسكب كأس الفرحة و الموت معاً فوق روحك .. أنظر أنها الصورة الأولى .. أنت و (هي) تجلسان معاً في حديقة ((طلكند)) *
و الفرح باد على وجهيكما .. هذه هي الصورة الثانية .. و الثالثة .. و العاشرة ..
و ..

خرجت يوم الجمعة بعد الظهر من البيت .. ركبت حافلة خط (خفتات) .. تتبعث نفس العنوان الذي حدده لك صديقك ((بختيار)) .. وصلت زقاقهم ، لكن نسيت أي الأبواب هي بلهم .. تساءلت منمن الطفل الذي كان يلعب هناك عن بيت (بختيار) فأشار ، لي الباب الرابع . توقفت أمام الباب ثم ضغطت على زر جرسهم .. (هي) التي فتحت الباب .. فركت عينيك جيداً وأندهشت للأمر .. هي هذا خيال ! أم أنها (هي) في الحقيقة .. تبيست شفتاك ولم تستطع ان تنبسيبية كلمة .. بدوت في تلك اللحظة و كأنك أخرس منذ الولادة . تسمرت (هي) أيضاً ي مكانها ولم تتحرك ، لكن (بختيار) ظهر في تلك اللحظة فنادى عليك : تفضل يا أخي آزاد ..

خطوات نحو الداخل ، ولكن يا لها من خطوة !! كنتُ تسير متثاقلاً .. اصفر لون وجهك .. جلست .. رحبا بمقدمك ، ثم قدمت (هي) الشاي لك بعد لحظات .. شربته ثم نهضت تريد المغادرة .. تعجب (بختيار) من الأمر .. مالغاية من مقدمك ! وما تلك السرعة في طلب المغادرة !! لهذا قال لك :

يا أخي أزداد لم الأستعجال ؟
تريدك أن تبقى الليلة عندنا لكي نهياً لك عشاءً فاحراً ..
شكراً .. ولندعها لمرّة أخرى،لأنني اليوم مشغول..(قلت هذا ثم ودعتهما) .

حين رجعت أسرع في الدخول إلى غرفتك .. أخرجت الصور من الألبوم ، ثم أحرقتهم في حديقة الدار .. أسودت الصور أولاً ، ثم أحتزقت نهائياً .. رفعت رأسك نحو السماء فوجدتها صافية .. أجتازت مجموعة طيور مهاجرة من أمام بصرك ، ولحين غيابها عن نظرك كانت أمواج بحر أفكار تتجه نحو الخمود ، فتمنيت لهما حظاً سعيداً وحياة هانئة .

* (الدنيا قد ذابت في جمالها) هو نصف بيت شعري للشاعر الكردي أحمد همردي .
* (كلند): حديقة خضراء زاهية و جميلة المنظر و التصميم تقع في مدينة اربيل .
* (خه بات): محلة شعبية في مدينة أربيل .

الحفلة
يونس أحمد

في لحظة ما خيل إليّ إنني قد ظللت الطريق وفكرت أن هذه الأزقة الوعرة ليست غريبة عني لكنني مضطرب وتائه. أسلمت حيرتي لمتاهة الأزقة مخترقاً الصمت وهارباً من تقاطع أفكارني. فجأة ظهرت عصابة من الكلاب السائبة وسدت عليّ الطريق. هربت منها لكنها ظلت مصرة على مطاردتي ودفعتني إلى متاهة الأزقة. للكلاب رؤوس ضخمة وأرجل خفيفة وأبشع ما فيها أنها تبتسم بدل أن تنبح. دخلت زقاقاً ضيقاً وضئيل الإنارة. في نهاية الزقاق باب خشبي ضخم مساميره صدئة. أسواره العالية تندمج بالأفق استسلمت لحيرتي وقررت اللوذ به. دفعت الباب فتصاع بيصر وصرت في الفناء. كان طراز الدار من الخارج شرقياً قديماً أما في الداخل فواجهني ممر مرصوص بالكاشي وعلى طرفيه حديقة موردة. قادني الممر إلى بناء غربي الطراز حينما دفعت بابه المشرع وجدت نفسي في هول مستطيل مؤثث بقنبات رمادية. كان الصمت يختبئ في الزوايا وعلى القنبات كانت الوحدة تتشاءب بملل. قبالة الهول ممر يفضى إلى درج. تسلقت الدرجات بحذر وأنا أحلم بمخبأ آمن. الدرج الأخير انتهى بغرفة مربعة. بابها مقنوح. على محيط الغرفة كانت هناك قنبات خشبية قديمة وكانت تغص بالجلوس. الصمت الفاقع جعلني أهجم أنهم في عزاء.

بخجل صنعه الخوف وارتباك تولد من رحم المتاهة سلمت على الجالسين ومضيت مباشرة إلى قبة فارغة. لم يتكلف أحد منهم برد السلام أو حتى النظر إليّ. قبالتني يجلس شيخ كئيب أخذ يرشقتي بنظرات مشككة. حينما ألتفت على كتفي الأيسر اكتشفت أن هناك نافذة تهدلت ستارها إلى ظهري. رفعت الستارة وفتحت النافذة فتدفقت أصوات الموسيقى إلى الغرفة. أملت جسدي وصرت أحرق من النافذة. كانت النافذة تطل على حديقة المنزل الضخمة. في الحديقة كان هناك مسرح مقوس وحول المسرح نضدت الكراسي مثل أهلة متوالية وكان المدعون يملؤون الكراسي ويحتشدون في فراغات الحديقة وجوق الموسيقى يتراصف تحت أقدام المسرح. بغتة توقفت الموسيقى وساد الصمت. وألتفت الجميع إلى جهة اليمين ثم استقرت على المسرح وصعد المسرح شاب طويل القامة رياضي الجسم يرتدي بدلة شاهقة البياض وهو يرتقي بثقة وهدوء

ومهابة وفي يده بندقية صيد. وقف في قلب المسرح ومسح بنظراته جميع الجالسين. ثم رفع بندقية الصيد في وضع أفقي وأصبعه مطوية على الزناد وشرع في الرقص. صمتت الموسيقى وأخذ الحاضرون يصفقون لحناً راقصاً.

كان من الواضح أنه لا يجيد الرقص. كان يرفع رجلاً بزاوية عمودية ثم يضرب بها الأرض وظلاً يكرر هذه الحركة. بعد قليل كبر التفلوت بين إيقاع المصفيق وبين سيق الرقص. ألفت إلى الجالسين في الغرفة. كانوا ساكنين إلى درجة الشلل، ويبدو أنهم لا يدرون بما يدور في الحديقة. زارتني خاطرة وهمست لي سراً (أنه يبدو مثل حصان غير مدرب) لكن صوتاً محذراً أنبني (دماغ سز انتبه جيداً كل الحاضرين أقاربه). حاولت الاستعانة بالوجه الجامدة لكنها كانت أمينة على صمتها لذلك حذرت نفسي بعنف (دير بالك يا ولد). ارتفعت بهجة الراقص وحماسته فصار يضغط الزناد مع إيقاع التصفيق. تتأثر صوت الطلقات وتشتت إيقاع التصفيق. ثلاث أو أربع ضغطات وبعد كل ضغطة تتفجر الأكف بتصفيق الإعجاب والتشجيع. بغتة توقف الراقص عن إطلاق النار. نكس البندقية إلى الأرض واتكأ عليها وارتسمت سمات الغضب وعدم الرضا على وجهه. رغم أن المسرح كان بعيداً عني لكن بوصلة إحساسي كانت من الرهافة بحيث استطعت أن أميز بين خطوط وجهه. صرخ باحتقار شديد أمراً أحد الواقفين.

- أظن أنني قتلت أحدهم!؟

ثم خاطب الجميع وهو في ذروة الانفعال.

- تأكدوا من ذلك.

دبت فوضى هلامية في الحشد بدأت من المركز وانتشرت على جميع الأطراف. أما الذين يشاطرونني الغرفة فظلوا معتصمين بالصمت. ألصقت رأسي بالشباك خشية أن تفلت مني تفاصيل المشهد. اكتشفت أن جميع الذين في الحديقة مسلحين ببنادق رشاشة. شق الكتلة البشرية شخصان مسلحان وهما يحملان جثة مدماة من أطرافها وألقياها تحت قدميه. سكن الاضطراب. أما هو

فلم يخفض نظراته إلى الجثة. وظل منتصباً بشموخ ومهابة في قلب المسرح وهو يراقب الوجوه بازدياد.

صرخ فيهم منتهراً.

- يا أولاد القحبة أنتم لا تستحقون الحياة.

وكأنما هذا أمر مقطوع ولا يحتاج إلى إفهام فتطوع ستة من الحضور وبحركة عفوية ألقوا بأسلحتهم إلى الأرض واصطفوا خطأ واحداً على حافة المسرح وعلى الفور أصطف قبالتهم ستة مسلحين رفعوا بنادقهم إلى الكتف وعلى الفور أطلقوا النيران ثم بهدوء ورضا سلموا بنادقهم لستة آخرين واصطفوا على حافة المسرح فأطلق ستة آخرين النار عليهم وهكذا كلما قتل ستة سلموا أسلحتهم لآخرين كي يقتلوهم وهو في وسط المسرح ساكن وقد دلت الابتسامة الغامضة على أنه راض عن أداء الرجال. أظن أن الجالسين في الغرفة استشعروا نبضات ذاتي ولكنهم ظلوا على صمتهم كأنهم جزء من الجدران أو ملحق بالقبات الخشبية العتيقة. في تلك اللحظة كان كل الذين في الحديقة قد انتهوا من قتل بعضهم وتكدست الجثث فوق وتحت الكراسي وعلى محيط الأشجار وفي الفجوات أما هو فظل في المسرح متصلباً على بندقيته لكنه هذه المرة كان يبدو عليه الاستياء فصرخ أمراً مجهولين لم أكن أراهم.

نظفوا المنزل من الخطرين.

نويت أن انذر الجالسين معي في الغرفة لكن وفي عين اللحظة اقتحم الغرفة أربعة مسلحين وعلى الفور نادى أحدهم باسمي فنهضت نشطاً كئي ذاهب لاستلام جائزة.

- نعم... أنا هو

جرني من كئفي

- قف هنا. لا تتحرك أو تتلفت.

أوقفني مثل تلميذ يدربوه على الانتظام. وجهي إلى الباب المفتوح وظهري إلى الجالسين في الغرفة. كان باب الغرفة مفتوحاً لكني لم أكن أشاهد سوى

فراغ مظلم. سمعت الذي قبض علي يخاطب الذين في الغرفة وكأنه يحذرهم مني.

- هذا أخطر رجل.

وبشكل متواصل كان ينادي على أحدهم

- أنهض.

- أنت.

- قشمر.

- قف هنا.

وأنا أحرق في الفراغ الأسود كنت أحس بكل ما يجري وراء ظهري كأي أعابن تفاصيله. كنت أحس نظراتهم المستهترة وهي تخترق الملامح وردة الفعل الساكنة البليدة للذين في الغرفة ثم وقوف الرجال خلفي وبرتل مستسلم وجدران الغرفة العارية والشباك المقطوح. أصدر أحد المسلحين أو أمره.
- أقتلوهم في الحديقة الكثيرة الورود.

ومن وراء ظهري أحسست بأحد المسلحين وهو يضع يده على كتف الذي يقف خلفي ثم يهتف بفرحة المكتشف.
- هذا أخطرهم.

في تلك اللحظة حاولت تذكر ملامح أو سمات الذين معي في الغرفة لكن الخطوط والصور تشابكت في مخيلتي وفقد عقلي السيطرة عليها فتسلطت على رغبة في أن ألتفت إلى الوراء لكن الرغبة ماتت في لحظة ولادتها.
تملكني أحساس باللامبالاة واكتشفت أنني لم أكن خائفاً. طوال عمري كنت أخاف المواقف الغامضة وخاصة تلك التي تقود إلى الموت. هذه المرة سأمضي إلى موتي بلا اكتراث. دفقة شجاعة مثل عصير لذيذ انتشرت في داخلي وأشعررتني بالرضا والسرور. سرعان ما شابه الكدر حينما تذكرت أنني سأترك خلفي رغبات وأناس ربطتني بهم أو اصر حميمة لكني قلت لنفسني إذا استطعت أن أصمد لدقائق... بعد دقائق ساكون ميتاً. وستموت معي كل المقاييس والمفاهيم ولن تبقى أهمية للندم والأبوة والعشق والجنس والشجاعة لأنه لن يبقى من

يمارسها. فرحت لهذا المنطق وقلت لنفسي. الموت مثل هذا الفراغ الأسود. لا حدود ولا ملامح له وهو كل شيء ولا شيء. وصلنا الحديقة الوافرة بالحياة. وقفنا في صف أفقي وجماعة الإعدام في مواجهتنا وبنادقهم مشرعة تنتظر الإشارة. قلت لنفسي للقتل بالرصاص ميزة عظيمة. فهي تمحو الفاصلة الثقيلة ما بين انطلاق الرصاصة نحو الجسد ولحظة اختراقها اللحم الحي وذلك التوتر المشدود للمصير المعلوم. كنت في أقصى درجات الانتباه والشعور بالعبث حينما دخل شخص مسلح الحديقة. نظر إلى جماعة الإعدام فخفضوا أسلحتهم وغادروا الحديقة. صمت الرجل للحظات ثم ابتسم ورفع ذراعيه بموازية صدره بشكل استعراضى وهتف.

- اطمئنوا. لقد انتهى الأمر لقد تم إعدامكم دون أن تشعروا.

ارتبكت وداهمتني الحيرة. نظرت إلى الوجوه التي بلا ملامح فوقعت نظراتي على الجدران فقلت لنفسي.
- يا لها من جدران عريقة وشاهقة.

رفعت نظراتي محاول أن يتحمس نهاياتها لكن.. كانت عصابة الكلاب السائبة مقعبة فوق ذراري الجدران.. كانت تهز رأسها وكانت... تبتسم.

المحتويات

٧	كلمة لابّد منها
٩	مراحل القصة الفنيّة الكرديّة
١٥	آزاد اركوشي
٢١	آكو كريم معروف
٢٩	احلام منصور
٣٩	احمد سلام
٤٥	احمد عارف
٥١	احمد محمد اسماعيل
٦١	اسماعيل رسول
٦٩	اسماعيل روزياني
٧٥	اسماعيل هاجاني
٨٥	امين كرديگلاني
٩١	انور محمد طاهر
٩٧	بكر درويش
١٠٣	تحسين گرمياني
١٠٧	جيل كاكه ويس
١١٩	جيهان عمر
١٢٣	حسن سليفاني
١٣٣	حسين عارف
١٤١	حمه فريق حسن
١٦١	حمه كريم عارف
١٦٧	دلشاد مريواني
١٧٣	رضا سيد كول برزنجي
١٨١	رؤوف بيكرد
١٨٧	زينب يوسفى
١٩١	سالار اسماعيل سمين
١٩٧	سلام منمي

۲۰۳	سیامند هادی
۲۰۷	شیرزاد حسن
۲۱۷	شیرین کاف
۲۲۵	صابر رشید
۲۳۳	صلاح شوان
۲۴۱	صلاح عمر
۲۵۵	صمد احمد
۲۵۹	عارف حیتو
۲۶۵	عبدالله آگرین
۲۷۳	عبدالله سراج
۲۷۹	عبدالله صابر
۲۸۳	فرهاد بیربال
۲۹۱	کازیوه صالح
۳۰۱	کامران موکری
۳۰۵	کاوس ققطان
۳۱۵	کمال سعدي
۳۲۱	محرم محمد امین
۳۲۷	محمد رشید فتاح
۳۳۳	محمد سلیم سواری
۳۳۹	محمد موکری
۳۴۵	محمد مولود مه م
۳۵۳	محمد نوری توفیق
۳۶۱	مصطفی صالح کریم
۳۷۳	معروف خزندار
۳۸۱	نجاه نوری
۳۸۷	نجیبه احمد
۳۹۳	هیمداد حسین
۳۹۹	یونس احمد